

الدارونية والنظور في ميزان العلم

د. محمد وائل تيسير دعبول

مؤسسة الأمانة العربية للنشر والتوزيع

اسم الكتاب :: الدارونية و التطور في ميزان العلم

اسم المؤلف :: محمد وائل تيسير دعبول

رقم الإيداع القانوني : 2017/ 15955

الرقم الدولي : 7 - 367 - 783 - 977 - 978

الناشر :: مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع

دولة النشر : جمهورية مصر العربية .

سنة النشر : 1438 هـ - 2017م

رقم الطبعة : الطبعة الأولى

تذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ولا يسمح بإعادة نشر هذا

الكتاب إلا بموافقة خطية من

الناشر والمؤلف.

الدارونية و التطور في ميزان العلم

الناشر

مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

هواتف :: 3798988 – 048 – 002

المبيعات :: تحويل داخلي 13

الفاكس :: تحويل داخلي 14

إدارة النشر::00201142022174

WWW.ARABAUTHIRS.NET

كافة الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2017

المقدمة



مضى على رحيل البيولوجي تشارلز دارون قرابة المائة عام. لقد ترك في فرضيته، إرثا ثقيلا تناقلته الأجيال. يجدر بنا القول أنه لا توجد فرضية في تاريخ العلم قد أثارت زوبعة من الشكوك والنقاشات والخلافات بين حلقات المتعلمين أو بين العامة، سابقا ولاحقا، كما أثارته هذه الفرضية. ويعود ذلك إلى كونها، قد مست تحديدا معتقدات الناس. وإن ما يمس المعتقد لدى أية أمة من الأمم، عادة ما يتسبب في حدوث ردود أفعال شديدة وعنيفة داخل الأمة. وهذا بالفعل ما فعلته الدارونية والتطور - كمفهوم لاحق لها - عند أمم الأرض المختلفة. لقد انقسمت الأمم والمجتمعات بين محبذ أو مؤيد لهذه الفرضية، وبين منكر ومعارض على كل ما تضمنته. ومع مرور العام المائة على رحيل دارون، بقيت فرضيته موضع تجاذب حاد كما كانت حين خرج بها. لقد قام أنصاره وهم أنصار التطور بتولي الدفاع عن هذه الفرضية، وأضافوا إليها تحسينات جديدة، كما عدلوا في بعض الآراء التي طرحها المؤسس.

خلال القرنين المنصرمين، تم تبني الدارونية والتطور من قبل أغلب المؤسسات العلمية في العالم، وأصبحت فرضيات التطور وبشكل حصري، تدرس في معظم الجامعات، كما أخذت بها أغلب المناهج التعليمية في جميع أنحاء العالم. فهل استحققتا الدارونية والتطور معا بجدارة وكفاءة علمية، أن تكونا الأساس الذي بني عليه علم البيولوجيا الحديث، بعد أن حيدتا أية نظرية أو فرضية أو فكر مخالف. أم أن الهيئات العلمية قد بالغت في التقدير العلمي لهذه الفرضيات بشكل فيه تحيز.

يطرح هذا الكتاب آراء جريئة لكنها مدعومة بحجج علمية، تتحرى الصواب قدر الإمكان، لكن لا تستثني إمكانية الخطأ غير المتعمد مستندا في ذلك إلى الحكمة التي تقول "قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب".

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم دراسة تقييمية لهذه الفرضية في مجملها،
قاصداً أن يتناولها من مختلف الجوانب ومن خلال الآراء التي قدمها أنصار
التطور، مدلياً بالاعتراضات المختلفة التي جاء بها معارضو التطور. لقد أخذ
الكتاب بعين الاعتبار الدراسات والبحوث العلمية التي قدمها كلا الطرفين
لتأكيد وجهة نظره، محاولاً قدر المستطاع أن يكون المنهج العلمي هو المنهج الذي
تم اتباعه في التقييم وبشكل يهدف فيه ما أمكن، إلى تصويب ما صححه العلم
وتخطئة ما أنكره العلم.

والله من وراء القصد

تعريف بدارون

هو ثاني أبناء الطبيب روبرت وارنج داروين من زوجته الثانية سوزان وودجود التي توفيت عندما كان تشارلز دارون في الثامنة من العمر. جده هو الطبيب إراسموس داروين كان من المؤيدين لباكورة الآراء التطورية في حينه مثل نظرية دي ميل التي مهدت لظهور فرضيات لامارك.

في بداية تعليمه، لم يبد تشارلز دارون اهتماما كبيرا في المواظبة على المقررات الدراسية التقليدية، مما جعل مدرسيه يرون فيه تلميذا بليد الذهن. وكونه من بيئة أرستقراطية فقد عكف تشارلز -دارون على رحلات الصيد واقتناص الفئران وجمع الخنافس. ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد، أنه مرة جمع ثلاث خنافس ولم يتمكن من حملها مجتمعة بكلتا يديه، مما دفعه إلى وضع واحدة من الخنافس في فمه وإحضاها معه. ومع وضوح عدم ميله إلى الدراسة، فقد أصر والده على متابعة تعليمه، حيث قام بإحاقه بكلية الطب في جامعة إدنبرة. استمر دارون مع أخيه بالدوام في الجامعة لمدة عامين ثم انفصل عن دراسة الطب نظرا لعدم جديته في الحصول على الإجازة وكرهيته الشديدة لمعظم الأساتذة الذين قاموا بتدريسه في الكلية. وهذا أمر لم يخفيه دارون في حياته اللاحقة. تعرف دارون خلال تلك الفترة على زميلين من الدراسة هما كولد ستريم وغرانت اللذين ربما كان لهما الأثر في لفت ميول داروين إلى دراسة الأحياء المائية. خلال تلك الفترة أخذ دارون بالتردد على جمعية فيرنر وتعرف هناك على عالم الطيور ماك غالفرى.

لكن مرة أخرى ومع إخفاق دارون في دراسة الطب، فقد قرر والده أن يدرسه اللاهوت في جامعة كامبردج. التحق دارون بكامبردج عام 1827 وأمضى هناك

ثلاث سنوات عدها هو بنفسه لاحقا مضية للوقت كسابقاتها من السنوات الدراسية.

أثناء وجوده في كمبريدج، التحق دارون بشعبة النبات نظرا لحيبه للرحلات العلمية المرحة وليس من قبيل الولوج بعلم النبات. وقد تعرف هناك إلى أستاذ علم النبات "هنسلو" الذي ربطته به لاحقا علاقة صداقة مستديمة. ومنذ ذلك الوقت عرّف دارون عن دراسة اللاهوت بشكل نهائي إلى البيولوجيا.

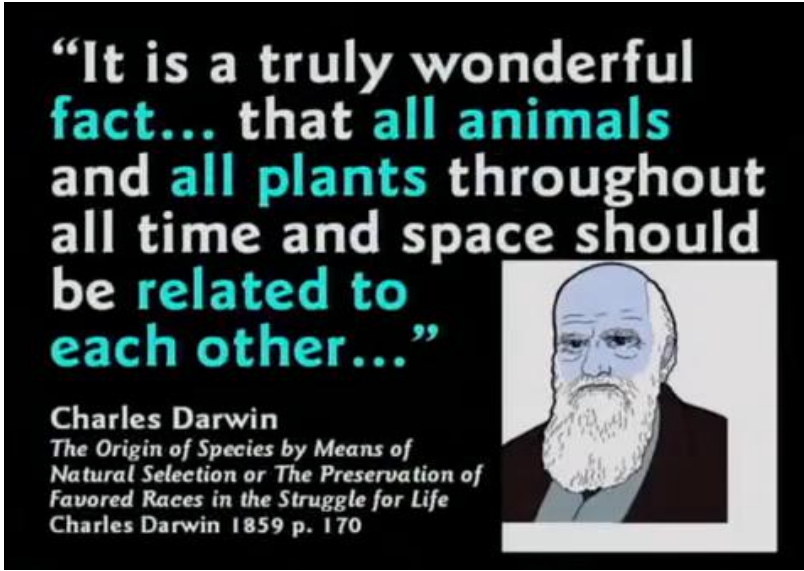
لقد أسدى هنسلو لدارون خدمة العمر حين قام بترشيحه للالتحاق بالبعثة العلمية على متن السفينة بيغل بدلا عنه حين لمس فيه الدأب والمثابرة. وبعد عودته من تلك الرحلة التي استغرقت خمس سنوات، عكف دارون على تدوين ملاحظاته بعد ان انكب على دراسة علم الحيوان وعلوم طبقات الأرض والأحافير وأخذت في تلك الآونة (عام 1844) تتبلور في ذهنه آراؤه في النشوء والتطور وذلك بعد أن قدم مقتنياته من العصافير التي اصطادها في الجزيرة إلى العلماء المعاصرين المختصين بالتصنيف الحيواني ليتم تصنيفها. وقد كان قرار العلماء في حينه أن تلك الطيور التي جاء بها وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الشكلية في مناقيرها فهي تقبع في تصنيفها ضمن نوع واحد من الطيور وهو عصافير الحساسين. أما دارون الذي لم يعجبه هذا التصنيف الصائب من قبل العلماء الاختصاصيين بالموضوع وبالرغم من محدودية خبرته في ذلك المجال نظرا لعدم إتمامه لأي من الاختصاصات العلمية الجامعية التي ولجها، فقد عكف وخلال الأعوام الخمسة عشر اللاحقة على تجميع المعلومات التي رأى فيها دعما لآرائه المخالفة قبل أن يقوم بنشر كتابه "نشأة الأنواع الحية" لأول مرة في عام 1859. وقد سبق ذلك نشره لكتاب "صحيفة البحوث العلمية في رحلة البيغل" عام 1846 وكتابه "الحيوانات النباتية" عام 1846.

عقب عودته من رحلة البيغل ، عمل دارون لمدة خمسة أعوام في لندن بوظيفة سكرتير الجمعية الجيولوجية وتزوج في عام 1839. ترك لندن عام 1842 ليقتضي بقية عمره في مقاطعة كنت مواظبا على تأليف كتبه المستمدة من ملاحظاته المدونة. قام دارون بنشر مقاله "إخصاب الأزهار" عام 1857 ومن ثم كتابه " وسائل التخصيب المختلفة للسحلبيات بواسطة الحشرات" في عام 1862. وفي عام 1871 أصدر كتابه "نشأة الإنسان" الذي طبق فيه مذهبه في التطور على الجنس البشري

ثم نشر كتابيه " النباتات المفترسة" و " النباتات المتسلقة " عام 1875 ، ثم كتابه " تأثير التهجين والإخصاب الذاتي في المملكة النباتية " عام 1876. و لاحقا في عام 1877 نشر كتابه " الأشكال المختلفة للزهور في النباتات التابعة لنوع معين"، ثم في عام 1880 نشر كتابه " القدرة على الحركة في النباتات". توفى تشارلز دارون في عام 1882 و تم دفنه في كنيسة وستمنستر .

يعتبر كتابه " نشأة الأنواع الحية " أهم كتبه، حيث قدم فيه آراءه التطورية المتعلقة بنشوء الكائنات الحية بواسطة مفهوم الاصطفاء الطبيعي، وأن الأجناس الأكثر صلاحية للحياة والبقاء هي الأجناس التي سيتسنى لها البقاء والتكاثر خلال مسيرة الكفاح من أجل الحياة. في حين أن الكائنات الأقل صلاحية سوف تعجز عن الاستمرار وبالتالي سوف تتعرض للانقراض. لذلك ومن أجل بقاء هذه الكائنات الحية مستمرة في الأجيال اللاحقة، فإن على نخبة من هذه الكائنات أن تطور مكنوناتها بشكل تصبح فيه أكثر صلاحية للبقاء في الظروف الطبيعية المتوفرة. إن هذا التعديل خليق لاحقا بأن يحدث تنوعا وتمايزا في الأنواع الحية . وهذا التمايز سيفضي حسب دارون، إلى تشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية بدءا من الأنواع الأصلية. وبهذه الطريقة تكونت تلك التنوعات غير المتناهية من

في رفضه لتصانيف العلماء أصحاب الخبرة في الموضوع وكان متسرعاً في تقديم استنتاجاته التعميمية التي تظهر بعضها في الصورة المرفقة :



مثل تلك التعميمات غير المدروسة بدقة التي قفز إليها دارون في كتابه جعلت عالماً معاصراً مثل الدكتور هوفين يتهمك عليه قائلاً " إنتظر قليلاً شارلي: إنك قد لاحظت فقط أربعة عشر فصيلة من الحساسين ومن ثم وصلت للاستنتاج أن الطيور وفاكهة الموز تتصلان ببعضهما بصلة قرابة !!! نعم كان عليه أن يستنتج أن تلك الطيور وحدها تتصل بأصل مشترك واحد وهذه هي الحدود الصائبة لاستنتاجه".

لقد كان دارون على علم بعمليات التهجين التي كان يقوم بها مربو الحيوانات الأليفة في مزارعهم وعلى مدى آلاف السنين للحصول على أصناف هجينة ذات صفات أكثر ملاءمة للإنسان وقد استند دارون في كتابه إلى تلك الهجونات كدليل فيما زعمه على إمكانية الحصول على أنواع جديدة من الحيوانات وذلك من خلال ظهور صفات جديدة لم تكن أصلاً ظاهرة. لقد تجاهل

دارون في جميع عمليات التهجين تلك ظاهرة مهمة وملاحظة بديهية لاتخفى على عين شخص حاذق مثله يفترض فيه أنه يقدم فرضية جديدة، وهي أن جميع المخلوقات المهجنة التي نجمت عن التهجين بقيت في نفس حدود الفصيل دون أن تنقلب إلى نوع جديد. فالكلاب بقيت كلابا والطيور بقيت طيورا وأنواع الورود والنباتات المختلفة بقيت في نفس أصنافها دون أي تغييرهما يكن قد طرأ على النوع.



لم يكن دارون في وقته يعرف شيئاً عن المورثات وعن انتقال الصفات بواسطة المورثات لأن علم الوراثة هو علم لاحق اكتشفه ماندل الذي عاصر دارون لكن لم يتم تداوله علمياً إلا بعد وفاة دارون بخمسين عاماً. لذلك فإن من المهم التأكيد على أن فهم دارون التطوري إضافة إلى فهم نظرائه من أصحاب الآراء التطورية الذين عاصروه، كان يرتبط مباشرة بالتبدلات الشكلية التي تصيب العضويات الحية أي على المستوى الشكلي الوظيفي وليس على المستوى الوراثي الجيني. أما ما يزعم من تبدلات إيجابية تصيب المورثات وتسمى بالطفرات وعلاقتها بالتبدلات التي تطرأ على العضويات الحية مما يفضي إلى تمايز هذه العضويات

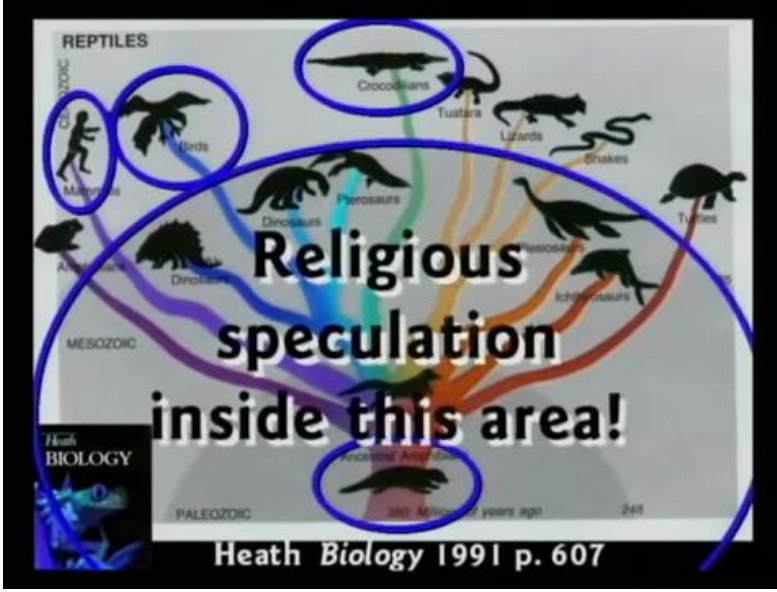
اللاحق وعبر أحقاب زمنية طويلة إلى أنواع وأجناس جديدة، فهي عبارة عن مزاعم جاء بها أنصار التطور اللاحقين ممن اعتنقوا الأفكار الدارونية وطوروها وفقا لرؤيتهم هم، بحسب ما استجد من تقدم في العلوم في الفترة التي عاصروها. لقد ميز دارون بشكل واضح في كتابه بين افتراضين اثنين لحدوث التنوع في الكائنات الحية وهما:

1 - التنوع الإيجازي (بألية معجزة) وهي في حقيقتها تحدث بواسطة الخلق المنفصل، لأن الخلق المنفصل يتم بتكون الكائن الحي باستقلال تام عما يغيره من المخلوقات فهو بذلك يكون عملا إيجازيا.

2 - التنوع التدريجي الطبيعي بحيث يحصل استحداث الأنواع الحية الجديدة ضمن ظاهرة نظامية غير موجهة بواسطة أي شكل من أشكال الذكاء وليست عرضية تمثل بالنتيجة عملية تنوع طبيعانية.

وكما هو واضح في كتابه، فإن دارون كان يرفض تماما مبدأ التنوع الإيجازي بتدخل قوى ذكية كسبب في حدوث الأنواع المختلفة للكائنات الحية. فهو بالنتيجة، يرفض أن تكون الكائنات الحية، مخلوقات قد خلقت بشكل منفصل. لقد أكد على ذلك هو بنفسه في كتابه حين كتب " إن وجهة النظر التي دأب معظم علماء التاريخ الطبيعي على اتباعها إلى وقت قريب ، والتي سبق لي اتباعها في الماضي، ألا وهي، أن كل نوع حي قد تم خلقه بشكل مستقل، ما هي إلا وجهة نظر خاطئة". . وهو يحاول جاهدا من خلال المعطيات التي بين يديه مستعينا بأراء مفكرين معاصرين له يتوافقون معه في وجهات نظره التطورية، أن يثبت الفرضية الثانية التي تبناها، وهي التنوع التدريجي العضوي في الكائنات بواسطة قوى طبيعية غير موجهة و من خلال أصل مشترك واحد. سوف نرى من خلال التقدم في فصول الكتاب أن ما اعتبره دارون وجهة نظر خاطئة في عبارته السابقة خالف فيها علماء عصره تمثل عين الحقيقة التي غفل عنها وأن ماتبناه

في فرضيته تلك هي مجرد مزاعم ناجمة عن أفكار متسرعة غيرناضجة فيها الكثير من التعميم المجافي للحقيقة كما في المثال الذي يقدمه المخطط التالي والذي يمثل مازعمه دارون من أصل مشترك للأنواع المختلفة من المخلوقات والذي هو في حقيقة الأمر ليس إلا مجرد افتراض اعتقادي



من الواضح إذن أن فرضية دارون ليست بالفرضية العلمية التجريبية بمعنى أنها ليست فرضية ترتبط بالملاحظة العلمية ومن ثم البرهان عليها بالوسائل التجريبية، بل على العكس من ذلك تماما، فإنها ليست إلا محاولة لتفسير الظواهر الطبيعية المركبة ذات الصفة العلمية (كتنوع الكائنات الحية) بقالب تاريخي عقلي تحليلي. فرضيته إذن هي فرضية تحليلية ذهنية تحاول أن تفسر ظواهر طبيعية حسية من خلال وجهة نظر أو رأي عقلي لا يخضع للاستنتاج العلمي التجريبي. لذلك يمكن الاستنتاج كما أكد العديد من العلماء أن نظرية دارون ماهي إلا رؤية فلسفية وليست فرضية علمية قابلة للخضوع للتجربة والبرهان.

مرجع المقال

كتاب أصل الأنواع (نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ
بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة)

تأليف تشارلس داروين

ترجمة مجدي محمود المليجي

المجلس الأعلى للثقافة 2004

المشروع القومي للترجمة العدد 628

-1- الدارونية والتطور الماضي والحاضر

إن الأفكار المطروحة تختلف في مصداقيتها ويمكن أن نصنفها بناء على درجة صدقيتها إلى ما يلي:

1 - المزاعم: وهي الأقوال أو الأفكار التي يتم تقديمها بدون أية أدلة يقينية تثبت أو توافق صحتها بل على العكس، تأتي الوقائع (وهي الأدلة العلمية التجريبية) والدلائل (ومنها النقل الصادق) غالباً منافية أو منكرة لهذه المزاعم. فهي إذن أقوال وادعاءات بغير سند.

2 - الافتراضات (الفرضيات): وهي المعلومات والأقوال والأفكار التي لم يتم بعد التحري عن صحتها فهي من الممكن أن تحتمل الصواب أو أن تحتمل الخطأ، وإن البرهان العلمي التجريبي أو النقل الصادق هو الذي يؤكد هذه الفرضيات أو ينفيها.

3 - الحقائق: وهي المعلومات والأقوال والأفكار التي جاءت النقل الصادقة القطعية أو البراهين التجريبية العلمية المتكررة بصحتها وأثبتتها فهي بذلك تصبح حقائق مثبتة.

فإذا ما قيمنا الأقوال والأفكار والمعلومات، فإن المزاعم هي التي ينبغي للمرء أن يتجنبها وألا يستند إليها، بحكم عدم ثبات صدقها أو صحتها. وإن الاستناد إليها أو الاعتماد على ما جاءت به أو البناء عليها، سوف يفضي بالتأكيد إلى نتائج مضللة.

الدارونية: هي رؤيا ناجمة عن أفكار وملاحظات ظهرت في القرن التاسع عشر تتعلق بالطبيعة والعلوم الطبيعية والأحياء والمستحاثات. قام بتجميعها البيولوجي (تشارلز دارون) على شكل فرضية. ملخصها أن كل الكائنات الحية

وحتى الوجود قد نشأ وتطور بعضه عن بعض خلال أحقاب زمانية طويلة تتعدى مئات الملايين من السنين، بدءاً من الأبسط وبتجاه الأعمق، من خلال قوى طبيعية غير موجهة بواسطة أية آليات تتصف بالذكاء إلى أن وصلنا إلى ما نحن عليه الآن. وعلى هذا، فهو ينكر وينفي نفيًا قاطعاً وجود أية قوة أو قدرة خارقة ذكية خارجة عن الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون أو حتى خلقت الكائنات بشكل منفصل، ويضع بدلاً من ذلك تفسيراً مادياً طبيعياً يستند فيه للصدفة والضرورة ويبرر من خلاله فحسب نشوء الكون والمخلوقات وتطورها.

التطور المحدث : هو امتداد للفرضية الدارونية تبناه أخصائيون في حقول العلوم البيولوجية والجيولوجية والفضاء والمستحاثات وغيرها، يدعمون من حيث المبدأ الأسس التطورية التي قامت عليها فرضية دارون المستندة إلى قوى طبيعية غير موجهة مع بعض التعديلات أو التصحيحات أو الإضافات بحسب رؤى هم يرونها ويعتقدون أنها صحيحة.

يتساءل المرء فيما إذا كانت الفرضيات الدارونية والتطور هي وليدة عصرها أم أنها قد ظهرت وابتدعت في حضارات سابقة قديمة. إن التاريخ القديم لم يقدم لنا أية شواهد تشير من قريب أو من بعيد إلى ما يمت بصلة إلى مفاهيم التطور في علوم الحياة وفق الشكل الذي ابتدعه دارون أو من جاء بعده. فنحن لم نسمع أو نقرأ في أية حضارة سبقت فترة دارون، أن الكائنات الحية قد تطورت عن بعضها بعضاً تطوراً ارتقائياً من خلال الاصطفاء الطبيعي. فلقد ظهر عبدة الأوثان في أماكن متعددة في العهود القديمة، ومنهم حضارات بلاد الرافدين وحضارات الإغريق والرومان والمصريين القدماء، لكنهم جميعاً كانوا يؤمنون بألهتهم التي تخلق وتبعث وتحيي وتميت. فالخلق المنفصل كان هو اليقين الغالب عند عبدة الأوثان وهم الكثرة الكاثرة من الحضارات السابقة. وكذلك الأمر عند الدهريين الذين كانوا يعبدون قوى الطبيعة فقد كانوا يؤمنون أن هذه القوى كالشمس

والقمر والنجوم والأمطار وغيرها، هي التي تمدهم بالقوة والحياة ولم نقرا أن أيّا منهم آمن بأنه قد تطور عن كائنات حية أخرى في سلسلة بدأت بالكائنات الأكثر بساطة في بنيتها منتقلة إلى كائنات أكثر تعقيدا. وحتى الهندوسية لم تتكلم بالتطور. والبوذية أيضا لم تقل في يوم من الأيام بتطور الكائنات بعضها من بعض بشكل ارتقائي. أما الديانات السماوية الثلاث الباقية، إضافة إلى الديانات السماوية المنسوخة أو التي لم يعد يتعبد بها، فإنها كلها وبشكل واضح وجلي، ترى أن جميع الأنواع الرئيسية في الكائنات الحية قد خلقها الله تعالى بشكل منفصل ومستقل عن بعضها بعضا، بحيث لا يوجد أي نوع من التطور بين تلك الأنواع المختلفة للكائنات الحية، بأي حال من الأحوال، قد أفضى إلى تواجد مخلوق بجنس (نوع) جديد منفصل في نوعه عن الجنس القديم. فجميع الديانات السماوية تقرر أن المخلوقات جميعها، كأنواع أو أجناس رئيسية قد خلقت مستقلة عن بعضها بعضا. والكتب السماوية الثلاثة مليئة بالمؤشرات التي تشير إلى مثل ذلك. وعليه يمكن القول أن الفرضيات الدارونية والتطورية على نسقها التي جاءت عليه أو مايشبهه، لم تكن في يوم من الأيام مطروحة بين البشر فيما سبق، وإنما ظهرت كبدعة لاحقا، في الحقبة الدارونية أو بعض مؤشرات خجولة قبلها بقليل.

لقد كانت هناك إرهابات دفعت إلى نشوء مثل هذه الأفكار خصوصا في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر. فخلال هذين القرنين بدأت الثورة الصناعية بالظهور، وتم ابتكار الآلة التي أخذت تحل محل الإنسان وتقوم بعمل أسرع وأكثر إنجازا مما كان يقوم به البشر. وفي الوقت الذي كان فيه الإنسان يعتمد في حياته على الطرق البدائية البسيطة التي تعتمد الزراعة أو الرعي أو الصيد أو التجارة، وكان يستخدم الوسائل اليدوية في جميع مسائل حياته، كانت طبيعة الحياة الاجتماعية مستقرة نسبيا وتقليدية على مدى العهود

السابقة ولعدة آلاف من السنين. وخلال عقود قليلة، يأتي الانقلاب الصناعي ليقب المفاهيم ويوجد أسسا اجتماعية ومفاهيم جديدة، ضربت كامل أشكال الحياة الاجتماعية وذلك بشكل خاص في أوروبا، التي كانت تعتمد الإقطاعيات الزراعية والولاء في الحكم للملك والولاء في الدين للكنيسة. في نفس الوقت، فقد ترافقت الثورة الصناعية بل وسبقت، بثورة علمية وتوسع في الأفاق العلمية لدى فئة لا بأس بها من المتنورين والعلماء في أوروبا. وفي الوقت الذي انقسم فيه المجتمع إلى شريحتين عريضتين: شريحة تواكب التغيرات الصناعية والاجتماعية الطارئة وتستفيد منها، وهي الشريحة المتمثلة بأصحاب رؤوس الأموال والصناعيين والتجار والعمال، وشريحة أخرى هي الشريحة التقليدية متمثلة في الملوك ومعها الكنيسة، وهما الفئتان اللتان تحاولان أن تحتفظا بمكتسباتهما التي حصلتاها خلال تلك القرون الطويلة. فقد كان أمرا يكاد يكون محتما أن يحصل الصدام بين تلكما الشريحتين. *1. لم يقتصر المد على أوروبا وحدها بل امتد ليشمل العالم أجمع حيث انتقلت الثورة الصناعية ونتائجها إلى مختلف أنحاء العالم واستمرت فورتها حتى نهاية القرن العشرين. أتينا سابقا على أنه في فترة الثورة الصناعية نشطت العلوم، ومع نشاط العلوم بدأت الأذهان بالتطور والارتواء من مفاهيم العلوم الحديثة التجريبية المستندة إلى الملاحظة والتي استفاد منها عامة الناس بدرجات مختلفة. والكنيسة في أوروبا كانت بعض مراكزها لا تزال تقليدية متمسكة بقناعات تأويلية ربما جانبها الصواب العلمي ذو الصفة التجريبية أو الملاحظة الدقيقة أحيانا أثناء طرحها لتفسيرات أو شروح في جوانب الرسائل السماوية الإلهية وخصوصا فيما يتعلق ببعض أوصاف للأرض من حيث كرويتها أو مركزيتها للكون. لم يكن الأمر هذا يقتصر على الكنيسة وإنما ينسحب أيضا على بعض من التأويلات البشرية في الأديان السماوية الأخرى. لقد ترسخت هذه المعتقدات

بفعل التقاليد والجهل ومحدودية المعرفة لدى عموم الناس بما فيهم بعض رجال الدين في حينه. هذا ما دفع إلى صدام بين مجموعة من هؤلاء المتنورين وبين بعض من رجال الدين التقليديين، أشعل فتيلها ليس فقط، الجانب العلمي الخلافي بل أيضا، الجانب الاجتماعي، الذي ظهر بشكل صراع مكتسبات. فبعض رجال الدين الذين كان يدين لهم المجتمع الأوربي في حينه، لم يوافقوا على بعض الآراء العلمية المخالفة لأفكار الكنيسة كالتي جاء بها غاليليو وكوبرنيكوس والذين تحدوا فيها انبساط الأرض ومركزيتها للعالم. لم يأخذوا الموضوع على أنه نقدي قابل للنقاش، وإنما اعتبروه مباشرة مسا بالكنيسة وبالدين. لقد كانوا يرون أن مثل هذه الانتقادات إن وجدت لدى العموم أذنا صاغية، فإنها سوف تؤدي بهيبة الكنيسة. ومن خلال ذلك، كان موقف الكنيسة صارما جدا مع بعض المتنورين والعلماء. ووصل بهم الأمر إلى التكفير والوصم بالردة والحرق والقتل، لأولئك الذين لم يخالفوا صراحة تعاليم الدين، ولم يجحدوه، بل ربما كانوا أكثر إيمانا وتدينا ممن سواهم من الذين أنكروا. هؤلاء المتنورين إنما خالفوا وفقا لما اكتشفوه علميا معتقدات وتأويلات خاطئة لا علاقة لها بالدين اعتقدها وتبناها عن خطأ رجال الدين هؤلاء بسبب المحدودية المعرفية في حينه. أضف إلى ذلك أن الكنيسة قد اتخذت في وقتها منحى تقليديا وتحالفت في صف واحد مع الملوك والإقطاعيين. وبما أن لكل فعل ردة فعل، فقد جاءت مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت تمثل الطرف الآخر من المجتمع 1 ♦ رافعة شعار (لا نريد ملكا ولا ديناً). فالذين اعتنقوا تلك الثورة قد رفضوا النظام الاجتماعي الحاكم باسم الملك، الذي كان يقصدهم عن نيلهم فرصتهم في حياة أفضل في البناء الاجتماعي الذي أخذ يتراءى، من خلال ذهنية الثورة الصناعية والتقدم الذي رافقها، إلا أنهم بدلا من أن يرفضوا ويعارضوا تلك الأفكار الخاطئة التي تبناها بعض الأفراد المحسوبين على الكنيسة بحكم

المحدودية المعرفية والعلمية، وإن لم يكن للدين أية علاقة بها لا من قريب ولا من بعيد، وجدنا أن دعوة هذه الفئة قد توجهت بشكل متعسف إلى الدين نفسه مطالبة بإقصائه عن جوانب الحياة*2. ومنذ ذلك الحين أصبح الدين لله يتعبد فيه في داخل المعبد. يكتب الكاتب الفرنسي الدكتور موريس بوكاي في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم " لقد كان هذا العصر الأوسط، بالنسبة لبلدان المسيحية عصر الركود والخضوع المطلق للشكليات. وكان البحث العلمي ملجأ. ليس بسبب الوحي اليهودي -المسيحي، ولكن بسبب أولئك الذين يدعون أنهم خدمته. ولقد كان لا بد بعد عصر النهضة من أن تكون ردة الفعل الطبيعية للعلماء وهي الثأر لأنفسهم من خصوم الأمس. وتتابع ذلك حتى أيامنا هذه حتى أصبح من يتكلم الآن عن الله في الغرب في وسط علمي عازلا نفسه حقيقة. ولقد كان لهذا الموقف انعكاسات على جميع الأفكار الشابة التي تتلقى تعاليمنا الجامعية بما فيهم المسلمون. " هنا يقع مكمّن الإشكال فيمن حمل مشاعل الحضارة الحديثة . فيمكننا أن نرى ردة الفعل الاقصائية واضحة منذ البداية. وهي ردة فعل ناجمة عن فعل أيضا واضح، هو الإقصاء والتنكيل الذي حصل في البداية ضد هؤلاء المستنيرين*2❖ . لقد أضرم هذا الصدام الخلاف ليس فقط بين الأفراد، وإنما انتقلت الخلافات إلى الأفكار. فبرز لدينا التطرف الفكري في وقته، الذي راح ينتقد الدين في حد ذاته. وحصل انقسام شديد وفرز في المجتمع الأوروبي. فالتقدم والحضارة أصبحتا يعنيان في بعض ما يعنياه، الاختلاف مع الدين، أما التقليدية والتخلف فهما اللذان أمسيا يصمان الدين. عبر عن هذه الأفكار بشكل واضح لاحقا أحد كبار أساطنة التطور وهو البيولوجي ورجل الدولة وأحد مؤسسي اليونيسكو جوليان هيكسلي حفيد السير توماس هيكسلي معاصر دارون ونصيره في مؤتمر حافل عقد في جامعة شيكاغو بمناسبة مرور مائة عام على انطلاق الدارونية حين تكلم وقرر أن الطبيعانية

المادية هي وحدها ستكون الملهم والمرشد للأمم خلال العقود القادمة. بما أن الخاسر في تلك المرحلة كانت الكنيسة والملك الممثل للنظام المتنحي، وبما أن التاريخ دائما يكتبه المنتصرون، فقد كان على هذه المفاهيم التي جاءت مع الحضارة الجديدة أن تسود. في حين أنه كان على الدين أن ينغلق على نفسه*3. لم يقتصر الأمر هنا على المجتمعات الأوروبية التي تدين للكنيسة بل انتقلت العدوى لاحقا إلى الحضارات الأخرى. لقد جاءت الثورة الحضارية فحملت معها أيديولوجيات جديدة منها الماركسية والرأسمالية والشيوعية، ومع نشوء هذه البنى الحضارية الجديدة على شكل دول ودويلات، كان لابد من تأصيل هذه الأيديولوجيات لتوطد هذه الحضارات المستحدثة وتثبيتها، وإلا كان مصير هذه الحضارات الأندثار كسابقاتها.

في هذا المخاض وفي القرن التاسع عشر برزت الدارونية والتطور ربما كحصيلة فكرية ذات طابع فلسفي لتلك الحقبة. وتم إقحامهما قسرا في المفاهيم العلمية لكي يقودا المرحلة اللاحقة للعلوم والبيولوجيا خلال قرنين قادمين.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، هل الدارونية والتطور من الأيديولوجيات والاعتقادات الفلسفية، أم أنهما علم وتجارب، تؤكدهما التجربة العلمية وتخضعان للقواعد العلمية التي تخضع لها العلوم التجريبية الإنسانية المختلفة. لكن قبل هذا، ينبغي التنويه إلى أن الدارونية والتطور هما امتداد لنمط اعتقادي واحد، بمعنى أن الدارونية هي التي بدأت بطرح مفاهيم التطور والارتقاء في مختلف الكائنات الحية، ثم مع تقدم المفاهيم العلمية تم إجراء تعديلات على مفاهيم التطور (Evolution) من قبل أنصار التطور - وهم المعتقدون لأفكار دارون من اللاحقين - لكي تلائم وتدعم اعتقاداتهم، وفي نفس الوقت تمت تنحية بعض المعتقدات الدارونية القديمة جانبا والتي ثبت خطأها، حيث حصلت

التنحية ليس لمجرد الانتصار للعلم والاعتبارات العلمية الصريحة فحسب، وإنما لحماية التطور كمفهوم، من النقد الذي سيمارسه خصوم التطور على معتقدات التطور. لهذا عندما يتم الكلام عن (التطور) كمفهوم، فإن ما يقصد به هو الدارونية ومعتقدات أنصار التطور المستحدثة في هذا السياق.

لقد بدأ عهد التنوير والتقدم العلمي في أوروبا مصاحبا ومشاركا لهذه التبدلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي هزت بعنف الكيان الاجتماعي الإنساني. وظهرت مع هذه التبدلات أفكار راديكالية تماما، ضربت بعرض الحائط كل المفاهيم والقيم والاعتقادات السابقة. كما بقيت المفاهيم والقيم التقليدية موجودة تدافع عن بقائها. وبدأت بالظهور أمم شابة، كما في الأمريكيتين وشاخت أمم كالأمم الأوربية (القارة العجوز). وبين تلك الأفكار المفترطة في الراديكالية وتلك المعتقدات المغرقة في التقليدية، كانت الخلافات تنشب بين المتعصبين لأقصى التطرف إلى اليمين وأقصى الانحراف إلى اليسار. وكما هو معلوم، فإن الأمم التي أصابها الشيخوخة، عادة ماتكون تقليدية وتتحوأكثر من غيرها نحو التمسك بالمفاهيم التي تبنتها. في حين أن الأمم ذات الروح الشابة كما في أمريكا، فقد كانت أكثر انفتاحا ونقدا ودراسة وتقييما ومعالجة لمختلف المفاهيم والمعتقدات والأفكار، سواء التقليدية منها أو الجديدة. لذلك فإن المعالجة التي أبدتها الولايات المتحدة خلال العصور الحديثة للمفاهيم الجديدة والقديمة، كانت أكثر نجاحا. ويبدو أن هذا الأسلوب المتميز في النقد والتقييم وقبول الأفكار الأميل للصواب، ورفض المعتقدات الخاطئة، هو الذي دفع أمريكا نحو المقدمة، لتكون الأمة الرائدة بين أمم الأرض، على الأقل، منذ مائة عام وإلى الآن. فبالعودة إلى الدستور الأمريكي: يبدو بوضوح أن أمريكا لم تتخل عن الدين أبدا، بل إن الدستور الأمريكي نفسه قد استند واضعوه في مصادرهم، من بين ما استندوا إليه، إلى الإنجيل وإلى القرآن الكريم كما هو جلي في رسومات

الكونغرس ومكتبته، وهذا أمر يدل على النضج. ويشهد بالفضل فيه إلى أولئك الآباء الأوائل الصانعين للولايات المتحدة. وإن القارئ للدستور ليستشعر بعض ملامح الروح الإيمانية الواضحة في الدستور الأمريكي (انظر بيان إعلان الاستقلال الأمريكي) حيث جاء فيه " أثناء الأحداث الإنسانية، عندما يصبح ضرورياً لأمة واحدة أن تحل الروابط السياسية التي ربطت بينها وبين أمة أخرى، وأن تنتحل سلطة بين سلطات الأرض، تمثل محطة منفصلة ومحقة للمساواة، تخولها إياها قوانين الطبيعة ورب الطبيعة، ومن خلال احترامها اللائق لرأي الإنسان، فإن هذا يتطلب منها وجوب إعلان الأسباب التي دفعتها إلى الافتراق.

نقدم هذه الحقائق لكي تكون شاهداً: إن كل البشر قد خلقوا متساوين، وبأنهم وهبوا من قبل خالقهم حقوقاً مؤكدة لا يمكن سلبها، والتي من بينها الحياة، الحرية وتحقيق السعادة. انتهى. انك لتلاحظ ذكر الخالق رب الطبيعة في المقدمة كما وتلاحظ كيف أنهم نوهوا أن الناس خلقوا وأنهم وهبوا من قبل خالقهم وليس من خلال فعل منسوب إلى العفوية أو الضرورة ولا إلى الذاتي أو التطوري. إذن لقد كان الرعيل الأول في أمريكا يؤمنون بالخلق والخالق وهذا ما قامت عليه دولتهم. أضف إلى ذلك: فإن واضعي الدستور الأوائل قد اعتمدوا مبدأ فصل الدين عن الدولة لا ليقصوا الدين عن جوانب الحياة كما قد يتراءى للبعض وإنما ليستندوا إلى ذلك المبدأ في وضع قوانينهم ومفاهيمهم حول الحياة المدنية الحديثة التي يسعون لبنائها. وهذا أمر يمكن تفهمه في مجتمع متنوع الأعراق والأطياف والأديان. فأمريكا كما يبدو، لم تتخل في يوم من الأيام كدولة وكأمة عن الإيمان، ولم تجحد أو تنكر الدين والإيمان، وإنما فقط فصلته عن جوانب الحياة المدنية درءاً للتجاذبات نتيجة لوجود مجموعات بشرية ذات خلفيات دينية وطائفية متنوعة كثيرة*4. بل إن أمريكا بين الأمم المسيحية، لاتزال تعتبر من أكثر الأمم تديناً. أما في الجانب الحضاري، فإن المرء

لا يسعه إلا أن يشعر بالإعجاب لما يراه من إخلاص لدى العديد من أفراد المنظومة العلمية في أمريكا، ممثلة في مؤسساتها التعليمية في استكشاف وابتكار وتقديم الجديد من المعلومات العلمية وإشراكها دون إثرة لديها، لسائر الأسرة الإنسانية في هذه المعلومات، وإن لم تخل بعض هذه المعلومات أحياناً من هفوة هنا أو هنة هناك، وهذا أمر متوقع، إذ لا أحد من البشر يمكنه أن يبلغ درجة الكمال. وإن الروح النقدية والعلمية التي تجدها عند علمائها تظهر متفوقة نسبياً عنها لدى نظرائها من العلماء في بقية الأصقاع. فالعلماء في أمريكا، تراهم أكثر مرونة وأكثر تقبلاً للنقد، بل وأكثر رجوعاً عن معتقدات علمية ثبت خطأها. إن ما يعيننا في هذا الإطار هو أنه، وبحكم كونها أمة فتية تتمتع بالمرونة الكافية والرؤية العلمية المتميزة، فقد استطاعت أمريكا بشكل لا بأس به أن تستوعب الأفكار الحديثة التي جاءت مع الثورة الصناعية واستطاعت أن تحتفظ بإرث إيماني وديني، وأن تبقى عليه دون أن تتخلى عن الدين، كما حدث في كثير من الدول الأخرى وبدرجات متفاوتة، من تنحية الدين³ ❖. فأمريكا لم تنبهر بالحضارة بل أسهمت في صياغة هذه الحضارة الحديثة. لذلك نجد في جامعاتهم ، وهي عنوان الحضارة في هذا العصر، تبني لأفكار متعاكسة ربما تكون في بعض الأحيان مخالفة لوجهة النظر الرسمية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على ذلك الحراك الداخلي وعلى تلك القدرة على التجديد والعطاء لدى أفراد هذا المجتمع. وعلى الرغم من أن أمريكا كغيرها من أمم الأرض، قد تبنت الدارونية والتطور في مناهجها الجامعية والتعليمية كفرضيات، إلا أنها لم تتقبلها كحقائق مطلقة غير قابلة للنقد. فالروح النقدية وحب البحث عن الحقيقة العلمية وتبنيها، هي من صفات المجتمع المتجدد. فلا ينبغي له والحالة هذه أن يتبنى أي فكرة أو فرضية أو نظرية بصفة القبول والإذعان بدون النقد والتأكد من المصادقية. لذلك لوحظ في أمريكا وعلى مدى القرن الماضي بروز اعتراضات

وانتقادات علمية للدارونية وللتطور فاقت بكثير في عددها وفي مدلولاتها الاعراض والانتقادات التي كانت تلاحظ في أوروبا وبقية دول العالم. حتى أننا نرى في ولاية (Tennessee) أن الولاية قد أقرت مبكراً في عام 1925 قانوناً هو قانون بتلر ضد التطور الذي قضى ونص على أن تدريس التطور في المدارس العامة هو أمر مخالف للقانون*5.

كما ألف الأستاذ - كريسي موريسون وهو عضو سابق في المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي في الولايات المتحدة، وزميل المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في منتصف القرن الماضي كتابه (الإنسان لا يقوم وحده) عارض فيه وبشدة الدارونية ومعتقدات جولييان هيكلسي التطورية في كتابه (الإنسان يقوم وحده).4. ❖

وقد قدم الدكتور وولتر إدوارد لاميريتس وهو يحمل دكتوراه من جامعة كاليفورنيا بعد أن عانى من صراع فكري مع الذات، ونقاش محتدم مع بعض الطلبة، رأيه في التطور وجاء فيه: "وقد اتضح لي كثير من الحقائق، فعلم الوراثة مثلاً لم يقدم لنا دليلاً على صحة الفرضين الأساسيين اللذين أقام عليهما دارون نظريته في نشأة الأنواع" ويتابع "ولكن هل يمكن أن تكون الطفرات حقيقة وسيلة للتطور؟ إن الدراسة الطويلة المتصلة لهذه الطفرات في كثير من الكائنات وبخاصة ذباب الفاكهة المسماة درسوفيللا ميلانوجيستر تدل على أن الغالبية العظمى من الطفرات تكون من النوع المميت. أما الأنواع غير المميتة منها، فإن التغيرات المصاحبة لها تكون من النوع الذي يؤدي إلى التشويه".5. ❖

أما الرئيس السابق لجامعة هارفرد البروفيسور جيمس ب. كوانانت فيقول "مسألة الحياة على هذه الأرض كيف نشأت مسألة لا تزال إلى اليوم غامضة كغموضها عند دارون وفي أيامه. إن الذين يستخرجون من الكتب الدراسية قناعاتهم، لا يدركون ما صادف كبار العلماء في طريقهم، من مصاعب في كل

الأحقاب. لقد كانت حياتهم جهادا بين ملاحظات خاطئة وأحكام مطلقة مضللة، وصيغ لتضمين المعاني والمبادئ غير كافية." ويقول أيضا " إن كثيرا من تلك النظريات المتعلقة بأصل الحياة ومنشئها ليست نظريات علمية على الإطلاق من حيث كونها أدلة للعمل. إنها مجرد أفكار تأملية نظرية لا يعرف أحد كيف يتم الملاءمة بينها وبين الاختبارات والملاحظات الحديثة. والرأي العام - بالمناسبة - عند هذه النقطة، هو عرضة للارتباك والحيرة إلى درجة قصوى. ذلك أن الناس يخفقون في التمييز بين نظرية عن أصل الحياة أو أصل الغرانيت أو البترول، هي مجرد فكرة تأملية نظرية، وبين نظرية أخرى تتأتى منها نتائج يمكن إخضاعها للاختبار". 6 ❖

أما أستاذي الدكتور (Rafael-A.Cuello) أستاذ أمراض الدم والتشريح المرضي في مستشفى بريدجبورت، ففي محاضرة له عن الجهاز البولي وبعد أن استعرض البنية النسيجية لأجزاء الكلية المختلفة وتناول فيزيولوجية وعمل الكلية قال " لا يمكن لمن ينظر إلى هذا العضو الفريد في خصائصه وتركيبه وبنيته أن يراوده أدنى شك في أن هنالك مصمما حكيما قد ركب هذا الجهاز في أعظم طريقة ليحقق الوظائف المثلثي التي وجد هذا العضو من أجلها".

ومن خلال هذه الروح النقدية داخل المجتمع، ومن خلال تقبله للحقيقة العلمية وقدرته على الاعتراف وتمييز الأخطاء، فقد برزت في أمريكا هيئات علمية وجهات اختصاصية قام على إنشائها علماء وأساتذة ودكاترة أخصائيون في الكيمياء والفيزياء والبيولوجيا والطب والقانون وغيره من العلوم، أخذوا على عاتقهم القيام بتنقيح وإنجاز دراسة تفصيلية للفرضية الدارونية والأفكار التطورية. استطاعت هذه الطائفة من العلماء بعد أن درسوا واستوعبوا وحلّلوا وقيموا الفرضيات المختلفة والتأويلات المتنوعة والأفكار والحجج التي قدمها الدارونيون وأنصار التطور والتي بمقتضاها يصرون على أن العلم كله يستوجب

فيه أن ينطلق من خلال افتراض أن الطبيعية المادية هي الأساس الأوحيد لأي تفسير علمي وعلى هذا الأساس لأبد من وجود آلية طبيعية هي التي أوجدت الحياة. تمكنت تلك المجموعات العلمية المناوئة من أن تصل إلى نتائج علمية تختلف فيها مع تلك الافتراضات التطورية والدارونية وتؤكد حتمية وجود تصميم ذكي له الدور الرئيسي في إنجاز الوجود . من ثم قاموا بتفنيد المزاعم والأخطاء التي عشروا عليها. وقد تأكد هؤلاء العلماء ومن خلال المعطيات الصحيحة التي وصلوا إليها وقاموا بنشرها، أو من خلال المناظرات العلمية التي أجروها في مختلف الجامعات في أمريكا، كما فعل أساتذة من أمثال الدكتور Duan T. Gish والدكتور Michale Behe وCharls Thaxton والقاضي Phillip Johnson، و جوناثان ويلز Jonathen Wells وويليام ديمبسكي وستيف ماير، وغيرهم العديد أن يصلوا لنتائج مفادها أن التطور والدارونية كعلم وكنظرية علمية يشوبهما خلل واضطراب في تفسير المعطيات والنتائج، بل وفي كثير من الأحيان، تأويلات خاطئة للمعطيات وتفسيرات لا تحتملها المعلومات العلمية التي استندوا إليها أو بنوا عليها ، وأحياناً كان هنالك تسرع من قبل أنصار التطور لتقرير النتيجة بدون أن يملكوا السند العلمي اللازم . إضافة إلى أن هؤلاء العلماء اكتشفوا تزييفات وتحويرات، قام بها علماء سابقون ولاحقون ممن تبنا النظرية الدارونية والتطور وتعصبوا لها بهدف الدفاع عن نظريتهم ودعمها . لقد امتدت الانتقادات للتطور لتشمل العالم أجمع حتى بلغ عدد النقاد المتشككين بالتطور ممن يحملون درجة الدكتوراة في العلوم المعاصرة المختلفة والكثير منهم أساتذة جامعيين عشرات الآلاف. العالم دانتون وهو طبيب وعالم أسترالي في البيولوجيا الجزيئية، هو من بين كبار المنتقدين للدارونية والتطور حيث قام باتهام المنظومة العلمية العالمية بتبني مزاعم التطور،

مستبعدة في ذلك عددا لا يحصى من الشواهد التي اكتشفها في حقله العلمي وهو البيولوجيا الجزيئية والتي تناقض هذه المزاعم. *6

بعد ذلك بدأ هؤلاء العلماء المنتقدون للتطور من خلال هيئاتهم العلمية يوضحون للرأي العام وللعلماء الذين التبت عليهم جوانب الخلل في المفاهيم الدارونية وللطلاب في المدارس والجامعات، المغالطات التي تحملها فرضيات دارون والتطور. وأخذوا يطالبون أيضا ببعض الإجراءات الإدارية على مستوى الولايات في أمريكا لإشراك تدريس فرضيات أخرى ثبتت صحتها بالدليل العلمي أو في الحد الأدنى لفت الأنظار إلى وجود مدلولات جديدة مبنية على أسس علمية تجريبية تتقاطع وفرضيات التطور. لقد تكلم مجهود تلك الفئة المخلصة من العلماء بالنجاح في استصدار قوانين في بعض الولايات الأمريكية تسمح بتدريس فرضيات علمية ونظريات بديلة للدارونية، كما حدث في ولاية كنساس عام 1999 حين استطاعوا أن يستحصلوا على أمر من قبل هيئة بورد التعليم يحد فيه من قيمة التطور كقيمة سامية في المقام العلمي لا يسمح بانتقادها. *7

ولاحقا في عام 2001 وبتضافر تلك الجهود المشكورة تم تقديم طلب من قبل السيناتور الأمريكي سانتوريوم للحصول على تعديل دستوري في مجلس الشيوخ سمي بتعديل سانتوريوم وحظي بموافقة 91 صوتا مقابل ثمانية أصوات اعترضت على التعديل مع تقريظ من قبل السيناتور تيد كندي. وهذا هو نص التعديل " هذا هو توجه أعضاء مجلس الشيوخ: - ينبغي في التعليم العلمي الصائب أن يتم إعداد الطلاب كفاية كي يكونوا قادرين على تمييز المعطيات العلمية القابلة للاختبارات التجريبية عن تلك الادعاءات أو الآراء الفلسفية أو الدينية التي يجري تقديمها باسم العلم. - وحيث يتم تدريس التطور البيولوجي ينبغي على المنهج التعليمي أن يساعد الطالب على فهم السبب في أن موضوعا ما قد

يحدث بشأنه الكثير من الجدل، كما وينبغي أن يتم تأهيل الطالب ليكون قادرا على إبلاغ المشاركين حول النقاشات العامة التي تجري بشأن الموضوع".

يعترض الدكتور احمد أبو زيد في مقاله بمجلة العربي "الدارونية والتنمية التطورية" عدد 612 تاريخ تشرين الثاني 2009 على الدور الرائد الذي يقوم به هؤلاء العلماء المعارضين للتطورقائلا " إن محاولات منع تقديم برامج دراسية في بعض الجامعات في الخارج وفي أمريكا بالذات (قاصدا بذلك مقررات لبعض المعتقدات التطورية) تعتبر في نظر الكثيرين نوعا من النكوص والارتداد عن مسيرة العلم والتقدم والتطور الحضاري". 7 ❖ هذه التصريحات نشرت كثيرا كحقائق في الإعلام لكنها ببساطة لم تكن صحيحة حيث لم تمنع هيئة البورد تدريس كل مايتعلق بالتطور من مفاهيم في المدارس وإنما قررت أنها ستقوم باختبار الطلاب فقط في المواضيع المعرفية الخاصة بالتطور الجزيئي وليس العام والتي تبدو بشكل معقول علمية .

فإذا كان البحث العلمي والدراسات المستفيضة قد قدمت تلك النتائج العلمية التي تفند أخطاء ارتكبت باسم العلم، من قبل أنصار التطور واستمرت في عقول العامة والخاصة زهاء المائتي عام، وحن الوقت لكشف ملابساتها وتوضيحها. فهل هذه الاكتشافات تمثل نوعا من النكوص والارتداد عن مسيرة العلم والتطور الحضاري خصوصا وأن العديد من العلماء وفي جميع أنحاء العالم لديهم شكوك كبيرة حول موضوع التطور!

إن من أهم ما يميز العالم المتمكن، اعترافه بخطأه عندما يخطئ. والتراجع عن الخطأ هو فضيلة. فلماذا الدفع باتجاه الخطأ، والتحريض على التمسك به. لنضع العلم يقول كلمته الفصل. ثم إن هذه الجهات لم تعمل على منع تقديم البرامج الدراسية في بعض الجامعات كما يزعم الدكتور أبو زيد وإنما تطالب بإشراك فرضيات أخرى ثبتت صحتها مع فرضيات التطور (تقديم الآراء المختلفة

وتدريس الجدليات)، وعدم استثثار التطور بكل وسائل المعرفة والعلوم. وجميع الأحوال، فما الضير في أن يمنع تعليم فرضيات ومزاعم بصرف النظر عن الجهة التي قدمتها، إذا ما ثبت عدم صحتها من الواجهة العلمية؟ أم أن على الإنسان أن يتماذى في مزاعم لا تدعمها الحقائق العلمية!

يضيف الدكتور أبو زيد في نفس المقالة "والمهم أن معظم الجدل يدور الآن ليس حول إذا ما كان التطور حدث بالفعل في الماضي، وسيحدث بشكل ما في المستقبل، أو حول مجالات ذلك التطور، ولكنه يدور حول كيف حدث هذا التطور في الماضي؟ وكيف يحدث الآن؟ وسيحدث في المستقبل؟".

من خلال الدراسات العديدة والأبحاث العلمية المتنوعة، فإنه من الواضح أن الجدل الذي يدور في هذه الأيام، وخلافا لما تفضل به الدكتور أبو زيد ليس فقط، حول ما إذا كان التطور قد حدث بالفعل سواء في الماضي أو يحدث في الحاضر وسيحدث في المستقبل، بل أيضا حول مصداقية التطور كمفهوم علمي، هل له أصل في العلم أم أنه لا أصل علمي له، وأنه مجرد مزاعم وهو اجس لا تدعمها الحقائق العلمية.

إن هؤلاء العلماء المعارضين للتطور ناشطون الآن في بحوثهم العلمية القيمة التي تقدم البدائل العلمية الصحيحة لتلك الفرضيات التي جاء بها دارون ومن بعده، أنصار التطور. *8

إن العلوم خلال الثلاثين عاما الأخيرة قد نمت بشكل هائل وقد جاءت بغير المتوقع من المعلومات الغزيرة التي قدمت أبعادا جديدة للعلم لم تكن معلومة من قبل قلبت الكثير من المفاهيم. لقد وصل هؤلاء العلماء من خلال أبحاثهم العلمية الدقيقة التي قاموا بها إلى نتائج تؤكد أن التصميم الذكي يستولي على الجانب الأهم في نشأة الكون وتطوره. وهكذا فقد توجت تلك الأعمال الحثيثة من قبل العاملين في التصميم الذكي بتقديم مناظرات في الجامعات

كان من أهمها المناظرة التي جرت في جامعة بيلورتيكساس في أمريكا حيث دعي إلى تلك المناظرة اثنان من العلماء من ذوي الميول الطبيعية يحملان جائزة نوبل وهما كريشسيان دودو وستيفن واينبرغ الممثلان للاتجاه العلمي الرسمي. كما دعي إليها العديد من الأساتذة الجامعيين من حملة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفرد. وكان في الجهة المقابلة في المناظرة والتي تمثل جانب التصميم الذكي كل من البروفيسور فيليب جونسون أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا والبروفيسور مايكل بيهي أستاذ الكيمياء الجزيئية في جامعة ليهي في بنسلفانيا والدكتور بيرلينسكي حيث أشرف الدكتور ديمبسكي على الإعداد لتلك المناظرات القيمة .

تلك كانت البداية لكسر الجليد بين الفئتين وعرض المعطيات أمام الجمهور من الطلبة الجامعيين والعامّة لإتاحة الفرصة للاستماع إلى وجهات النظر المختلفة والحكم عليها من خلال المنطق العلمي من دون أي تحيز. وهكذا فإن كل المعطيات تؤكد على أن الدين وما جاء في الكتب السماوية، لم يكن في يوم من الأيام مخالفا للعلم أو نقيضا له كما يزعم أنصار التطور وأن المشكلة ليست في الدين، ولا في العلم، وإنما مكمّن المشكلة هو في تبني أفكار معينة معلبة مسبقا، والتعصب لهذه الأفكار من قبل بعض المتطرفين، مما يولد القطيعة والصدام بين كلا الطرفين. إن الانفتاح في المجتمع الأمريكي ومعه الأمم الأخرى، على تقبل الأفكار وتنقيحها، و القبول بالصحيح منها، لكفيل بان يساعد على كسر الجليد وردم الهوة وإعادة العلاقة الصحيحة بين الدين وبين العلم، وهذا ما بدأنا نستشعره في هذا العصر.

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - الثورة الفرنسية. المعرفة الموسوعة.
- 2 - صبحي غندور. مشكلة مصطلحات ومفاهيم. المؤتمرنت. الفهم الواعي للإعلام الإلكتروني 26- 4- 2007
- 3 - هريرت فيشر. أصول التاريخ الأوربي الحديث. دار المعارف
- 4 - موريسون أ - كريسي العلم يدعو للأيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكي، مكتبة النهضة المصرية سنة 1954.
- 5 - مجموعة من العلماء الغربيين، الله يتجلى في عصر العلم ، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1968.
- 6 - كونانت جيمس مواقف حاسمة في تاريخ العلم ترجمة الدكتور احمد زكي، دار المعارف بمصر.
- 7 - الدكتور احمد أبو زيد "الدارونية والتنمية التطورية" مجلة العربي ، عدد 612 تاريخ تشرين الثاني 2009.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية:

- 1 <http://en.wikipedia.org/wiki/Anti-Catholicism> 2008.
- 2 "You Can't Legislate Morality"?The Standard Fr. Justin, & the Times. O Tempora! O Mores! 1998.
- 3 The French Revolution a Pattern of Global Disaster. APFN, 08/03/98
- 4 Bryant Gumbel and Gwen Ifill, In focus: God in America, Flashpoints USA,2004.
- 5 Butler Act, From Wikipedia, the free encyclopedia, 27 December 2009

Donald A. Yerxa, Phillip Johnson and the Origins of the -6
Intelligent Design Movement, 1977–1991 Perspectives on
Science and Christian Faith. Volume 54, Number 1, March
2002.

Duane T. Gish SCIENCE, EDUCATION, AND THE -7
SUBJECT OF ORIGINS, Impact #375
DUANE T. GISH, Ph.D. A DECADE OF -8
CREATIONIST RESEARCH (Part I + II), Creation
Research Society Quarterly 12(1):34-46 June, 1975-1999

-2- إشكاليات في فرضية التطور

مقدمة وهدف البحث :

العلم التجريبي والنظريات العلمية: تقتصر من حيث أدائها على محاولات لتفسير كيف يعمل هذا الكون بما في ذلك الأحياء التي تعيش فيه. فالنظريات لكي تحقق صفة العلمية ينبغي أن تندخل داخل إطار العلوم التجريبية، وينبغي أن تخضع وأن تكون قابلة للاختبار. والفرضية التي تقع خارج إطار العلم التجريبي، والتي لا يمكن اختبارها، لا يمكن اعتبارها نظرية علمية. بناء عليه فإن الكثير من "الفرضيات" التي ابتكرها العلماء لا يمكن أن ترقى إلى مؤهل الفرضيات العلمية. فالفرضيات التي تتناول أصل الكائنات وتطورها والكون، هي افتراضات تاريخية بعيدة تمام البعد عن فرضيات العلم التجريبي. إذ ليس بيننا أحد قد شاهد سمكة تتطور إلى حيوان برمائي، أو قردا يتطور إلى إنسان. إضافة إلى ذلك : ليس بمقدور أحد أن يذهب إلى المختبر ويجري اختبارا على القرد، وكيف يحتمل أن يكون قد تطور إلى إنسان. إن فرضية التطور هي فرضية تتعلق بالتاريخ الغابر، وإن الفرضيات التي ترتبط بالتاريخ غير المنظور لا يمكن أن تعتبر فرضيات علمية (1). هذا ما حدا بالبروفيسور لويس باونر وهو الرئيس السابق لجمعية البيولوجيين في ستراسبورغ للقول بان التطور هو "قصة مدوقة تستحق أن يقرأها المراهقون. إن هذه الفرضية لم تساعد على الإطلاق على تطوير العلوم. إنها عديمة الفائدة ."

فرضية التطور تتعارض مع القوانين العلمية الخمسة التالية :

1 -قانون المشيئة الإلهية: القرآن، الإنجيل، التوراة، والكتب السماوية.

2 - قانون علم الحياة Biology إذ لا يمكن للحياة أن تنشأ من أصل ليس فيه حياة.

3 - القانون الأول للثيرموديناميك (Thermodynamic): المادة لا تفسى ولا تنشأ من العدم.

4 - القانون الثاني للثيرموديناميك (Thermodynamic): إن الأنظمة الكونية تصبح مع تقدم الزمن اقل انتظاما مع غياب أي تأثير خارجي عليها.

5 - قانون السببية (Cause & Effect Law): لكل نتيجة سبب هو المتسبب في حدوثها.

ومع هذا فإن المشكلة الكبرى كما يراها Phillip-Johnson في العلوم المعاصرة (2) " هي أنها تحمي فرضيتها المحبذة في التطور، وذلك من خلال افتراض أساسي يرمي إلى استثناء الخالق من الصورة، والالتزام بهذا الافتراض تباعا ومع كل إجراء لاحق."

فالتطور إذن كما يراه البروفيسور (Maciej-Giertych): (3) " لا يمثل استنتاجا قد تم اشتقاقه من الملاحظات، وإنما هو نمط للتفكير يتم فيه تطبيق الملاحظة عندما يكون ذلك مناسبا وإهمالها عندما يصبح من غير المناسب استخدامها."

إلا أنه وبسبب الزخم الإعلامي والدعم المادي والتركيز المستمر على دفع مفاهيم التطور دائما إلى الواجهة على أنها تمثل الحقيقة العلمية الخالصة، فقد دفع ذلك العامة لأن يعتقدوا بها، بل أصبحت بمثابة حقيقة علمية. يوضح ذلك Walter J. Bock حين يقول (4) " إن قانون الهندسة الوراثية قد أصبح متجنرا بشكل عميق في المعتقد البيولوجي، بحيث أصبح من غير الممكن استئصاله على الرغم من الإيضاحات التي تم تقديمها بشأن خطأ هذا المعتقد من قبل أعداد هائلة من الباحثين المعاصرين."

وعليه، ومن خلال رؤية نقدية لمدى تفهم الباحثين في المنظومة العالمية لمفهوم العلم، يرى In W. Smith (5) " إن هنالك تمايزا حادا، غالبا ما تم إغفاله، بين مفهوم الحقيقة العلمية، ومفهوم الهاجس أو الاعتقاد العلمي.... وهذا يوضح أن الكثير من المعتقدات الرئيسية، التي تمت شرعنتها باسم العلم، ليست في الواقع حقائق علمية، وإنما هي مجرد هواجس علمية، ليس لها أي دليل يشير إلى صحتها على وجه الإطلاق."

إن هذه الهواجس التي يقدمها التطوريون يترتب عنها نتائج خطيرة يعكسها لنا البروفيسور William B. Provine (6) " دعوني أخص لكم وجهة نظري فيما تقوله لنا البيولوجيا التطورية الحديثة بصوت مرتفع وبوضوح... انه ليس هنالك اله، ولا غاية، لا وجود لأية قوى تتجه نحو هدف ما. لا وجود لحياة بعد الموت. عندما أموت، فإنني على يقين بما لا يدع مجالاً للشك من أنني سأخلد هامدا. وهذه هي النهاية بالنسبة لي. لا يوجد أي مفهوم لمعنى الأخلاق، ولا معنى للحياة، ولا أية إرادة أيضا للإنسان."

نتساءل إذا، لماذا هذا الإصرار المبالغ فيه على ذلك الكم من الأخطاء باسم العلم؟ يجيب Ian T. Taylor (7) " لربما تساءل المرء لماذا يبقى الإصرار على هذه الأوهام غير العلمية قائما على الرغم من تعريتها أمام الهيئات العلمية، ولماذا يحتفظ بها في وعي عامة الناس لمدة نصف قرن في بعض الأحيان. إن أسباب ذلك لا تعود في جذورها إلى أنها حقائق علمية مجردة وإنما تعود - بالأحرى - إلى تلك المعتقدات الفلسفية والمنظورات الاجتماعية المكرسة التي لم يتم إثباتها أو البرهان عليها."

من جهة أخرى يعتبر علم الاحتمالات من أهم علوم الإحصاء وذلك لأن معظم النظريات والطرق الإحصائية بنيت من الأساس عليه. إن مفهوم الاحتمال الإحصائي هو مفهوم افتراضي: يقصد به توقع حدوث حدث معين مع تقدير

حسابي لإمكانية حدوثه وفقا لنسبة مئوية من خلال تكرار المحاولة في نفس الشروط ومن خلال إجراء عدد مقرر من التكرارات. (8) إن الاحتمال هو دراسة للتجارب العشوائية. ويعرف احتمال حادث ما بأنه التكرار النسبي لهذا الحادث عندما يكون عدد المشاهدات كبيرا جدا. أي انه نهاية التكرار النسبي عندما يسعى عدد المشاهدات إلى ما لانهاية 1 ❖. ويعرف الاحتمال أيضا بأنه مقياس لحالة عدم اليقين وهو قيمة رقمية بين الصفر والواحد الصحيح لتوقعات حدوث حدث معين، حيث الصفر يعني استحالة حدوث الحدث والواحد يعني التيقن من حدوثه. ويرتبط حساب الاحتمالات بما يعرف في علم الإحصاء بالتجارب العشوائية (Random Experiments) والمتغيرات العشوائية (Random Variables). ويعرف أيضا بأنه نسبة حدوث الحدث المعين إذا ما تم إجراء التجربة العشوائية لعدد كبير من المرات 2 ❖. فهو في هذا الإطار اصطلاح اعتباري توقعي وافتراضي وضعه البشر قد يصيب وقد يخيب.

إن مفهوم العشواء أو المصادفة في حدث معين يعني أن حدثا ما قد حدث بطريقة ما من تلقاء نفسه دون وجود عوامل مؤثرة ومقررة ذكية ذات قدرة تقديرية هي التي تحكمت في حدوث الحدث. فالصدفة هي حدث يشترط فيه أ) لا يمكن التنبؤ به، وب) لا يخضع لسيطرة النية أو القانون. إن أي شخص قد رعى عملا في كازينو أو لعب الورق، أو لعب بقطعة النقد فهو يدرك معنى الصدفة. مع استخدام الحسابات الإحصائية يمكننا التنبؤ باحتمالية وقوع حدث معين على الرغم من أننا لا نستطيع أن نعرف على وجه اليقين متى أو أين سيحدث. والعشواء قد عرفت رياضيا بأنها التساوي في فرص الحدوث لقيم المتغير أو التجربة. وكمثال تطبيقي على ذلك: فإن استخدام الطرق الإحصائية العشوائية وذلك بغية توزيع المرضى ضمن الزمر العلاجية يعتبر المفتاح الأساسي في تصميم أية تجربة. إن الهدف الرئيسي من التوزيع العشوائي كما هو

مفترض، هو الحول دون حدوث أي تحيز قياسي أثناء توزيع المرضى مثلما يحصل عند توزيع أفراد العينة بين فئتي العياري و التجربة العلاجية. ومن خلال تحليل المعطيات الإحصائية، فإن العشوائية تهدف إلى التأكيد على خلق التجانس بين كلتا الفئتين اللتين سيتم مقارنتهما قبل بدء العلاج. إن هذا التجانس سوف يحسن من مصداقية النتائج المستحصلة بعد العلاج، وذلك يمنح فعالية أفضل لنتائج الطريقة العلاجية. إن المفهوم الأساسي لمخطط العشواء هو أن يتم توزيع كل مريض بشكل أنسب من حيث التجانس، إلى حيث الفئة التي سيكون فيها، سواء الفئة المعيارية أو الفئة التجريبية. أما الطريقة التي يتم فيها هذا التوزيع العشوائي، فهي تتنوع وفقاً للتصميم الذي يتم إجراء الدراسة من خلاله. وبأية حال، وفي الأشكال الدراسية البسيطة، تتم محاكاة الانتقاء العشوائي، من خلال رمي قطعة النقود لكل مريض لتحديد أية فئة علاجية في التجربة سيتم اختيارها له. ومن الطرق المستخدمة للحصول على العينة العشوائية، منح أرقام معينة لكل فرد في المجتمع ومن ثم توضع تلك الرقاقات الخاصة بالأفراد في صندوق ثم يتم سحب عدد معين من الأرقام من الصندوق والذي سيمثل عدد أفراد العينة. إن الأرقام المختارة بواسطة اليانصيب من الصندوق سوف تطابق الأفراد الذين سيتم اختيارهم في العينة بشرط أن يتم خلط الرقاقات بشكل كامل عند السحب. وعموماً في الحالات العامة، فإن هذه الطرق يتم إجراؤها باستخدام قائمة الأرقام العشوائية المستحصلة بواسطة الكمبيوتر (9).

الطفرة (وفقاً لتعريف التطوريين) هي تغير ذو آلية عشوائية يطرأ في موقع المورثة، على اصطفاًف من الحموض النووية المتسلسلة في مستوى النيوكليوتيد فيحدث تبديلاً أو تعديلاً في اصطفاًفها. يمكن للطفرة في 10000/9999 من الحالات أن تكون خاطئة وفي 1/10000 أن تكون صحيحة (10) تفضي إلى تغير

إيجابي على مستوى المورثة (Genotype) وينعكس تغيرا إيجابيا على النموذج الشكلي (Phenotype) .

ثلاثة مفاهيم هي الاحتمال ، العشواء والطفرة هي مفاهيم اصطلاحية اعتبارية تفتقر إلى الكثير من الوضوح ويشوبها عوز كبير في تقديم تعريف محدد لها و شرحها والتعبير عنها بشكل دقيق وواضح.

يهدف البحث إلى الكشف على بعض من ملابسات هذه المفاهيم التي أقحمت في فرضية التطور والتي أصبحت نتيجة لكثرة استخدامها متداولة كركن من أركان البحث العلمي، على الرغم من وجود المؤشرات العلمية التي تبرهن على غير قليل من الشك في أهليتها لتكون مفاهيم مقبولة من الناحية العلمية. يطرح البحث هنا التساؤلات التالية محاولا تقديم الإجابات عليها :

- هل يصح الاستدلال على قوانين الاحتمالات من خلال الاستعانة بقطعة النقود أو النرد أو أوراق اللعب 3 ❖ .

❖ هل يصح ربط الاحتمال بمفهوم الصدفة أو العشواء.

❖ ❖ أليس شرط الاختيار العشوائي للعينات في التجربة العلمية هو شرط مسبق يؤثر على مفهوم الحيادية في التجربة العلمية ويفضي إلى نتائج موجهة مسبقا.

❖ ❖ ❖ هل قوانين الاحتمالات (Probability) هي قوانين صحيحة أم أن قوانين التكرار (Frequency) هي القوانين الصحيحة.

طرق العمل والنتائج:

❖ الاستدلال على قانون الاحتمالات من خلال الاستعانة بقطعة النقود أو النرد أو أوراق الشدة:

كما هو مقدم في المناهج الرياضية فان احتمال وقوع قطعة النقود على أحد وجهيها هو $1/2$ أي 50%. بمعنى انه لدى إلقاء قطعة النقود، فإنها ستقع على وجهها في 50% من الحالات وفي 50% من الحالات الأخرى ستقع قطعة النقود على ظهرها عندما يتم تكرار عدد مرات التجربة إلى عدد لانهائي من المرات، بحيث يتم فيها إلقاء قطعة النقود ضمن شروط الحياد المطلق (الارادة) الصدفة العشوائية).

من خلال المنظور العلمي لهذا الاحتمال نقدم الملاحظات التالية :

1 - في تجربة قطعة النقود المذكورة فان النتيجة الصائبة لاحتمال وقوع القطعة على أحد وجهيها في كل مرة تتم فيها التجربة هو إما 100% وإما 0%. تحدث ال 100% عندما تتطابق نتيجة إلقاء القطعة مع المتوقع بينما تكون 0% إذا خالفت النتيجة المتوقع. وعلى هذا الأساس فان احتمال ال 50% المفترض دائما يكون في الحالات الفردية أو قليلة العدد احتمالا بعيدا عن الصحة ولا يفيد التنبؤ شيئا.

2 - لنفترض أن قطعة النقود هذه جاءت في المرة الأولى على ظهرها، فينبغي وفقا لقاعدة الاحتمالات أن تأتي قطعة النقود في المرة الثانية على طرفها الآخر لتتحقق القاعدة وتكون قريبة من المتوقع. لكن ذلك لا يحدث في الواقع العملي بما يكفي لاعتبارها قانونا يمكن أن يستنبط منه قوانين أخرى، وبما أنه لا يمكن أن يحدث. فلا يمكننا بحال، التنبؤ في أية تجربة لقطعة النقود، إلى ما ستؤول إليه نتيجة الرمية التالية. وليس هنالك وسيلة قطعية يمكنها أن تحسم لنا في كل مرة أن قطعة النقود هذه ولو في المرة الألف، سوف تقع على الجهة المقابلة، أم أنها ستقع على نفس الوجه مرارا وتكرارا. وعلى هذا الأساس، فان نسبة

ال50% كنسبة احتمالية افتراضية هي نسبة لم تفد حتى التنبؤ شيئاً ، ناهيك عن أن تخصيص العموميات كما فيما سبق سيكون مدعاة لاستنتاجات خاطئة.

3 - من الناحية العلمية فإن أي تجربة علمية ينبغي لكي تكون مقبولة علمياً أن يتحقق فيها شروط. يقول الدكتور Gish ما نصه (1) " إن أية فرضية تقع خارج إطار العلم التجريبي والتي ليس من الممكن اختبارها هي فرضية ليست علمية. إن الفرضيات التي تتعلق بأحداث فريدة، غير قابلة للتكرار، غير ردودة، وهي خارج إمكانية التطبيق التجريبي لا يمكن أن تحقق مسمى الفرضية العلمية".

لنختبر الآن في تجربة قطعة النقود كونها قابلة للتحقيق: فالافتراض بان عدد مرات تكرار التجربة ينبغي أن يكون لانهايا كي تتحقق الاحتمالات، بحيث تكون قطعة النقود في 50% من المرات على الوجه الأول وفي ال50% من المرات على الوجه الثاني، هو افتراض غير قابل للتحقيق. فلا يمكن الاستمرار في إجراء التجربة إلى اللانهاية. فافتراض اللانهاية في التجربة هو افتراض غير قابل للتحقيق.

وفي الشروط العلمية للتجربة أنها، ينبغي أن تكون قابلة للتكرار. وفي حالتنا هذه فالتجربة لا يمكن تكرارها. و حتى ولو تم تكرارها سواء بعدد محدود من الحالات أو غير محدود، فسوف لن تعطينا نفس النتائج بدقتها في كل مرة يتم فيها إجراء التجربة. فهي أيضا غير ردودة، لأنها لا تستند إلى قواعد يمكن أن يتم التحكم بها والسيطرة عليها، بل هي في أساسها وتعريفها ينبغي ألا تخضع لتحكم الإنسان وإرادته، وهذا يعني أنها تجربة تحتل الشك في صحتها، والنتائج التي ستنتج عنها ستكون غير دقيقة وفيها نسبة ارتياب عالية.

- 4

ن الهدف من التجربة هذه هو تخصيص الحالة التجريبية التي في يدنا ذات العدد

غير المحدد والكبير من أفراد العينة الإحصائية، على حالات خاصة، ضمن نطاق عدد محدد من أفراد العينة الإحصائية. إن تخصيص الحالة، يحتمل نسبة عالية من الارتياح والشك، وذلك عند تطبيق هذه الحالة على الحالات الخاصة. وكمثال على ذلك، فعند حساب النتائج عند كل مرتين فقط من رمي النقود، نجد أن هنالك تبايناً هائلاً بين المحتمل الافتراضي الذي هو 50%، أي مرة تأتي النقود على ظهرها وفي المرة الثانية على الوجه الآخر، وبين النتائج التجريبية التي تعطينا تكرار النتيجة على نفس الوجه. إن الإشكالية الكبيرة التي تواجهنا هنا، هي أنه عادة ما تستخدم هذه الطريقة للاستدلال بها على حالات خاصة محدودة.

5 -

إن هذه التجربة ليست قابلة للقياس، ولا يمكن تكرارها عملياً، بحيث تعطينا نفس النتائج في كل مرة، فيمكن تقييمها بأنها تجربة ذات نتائج ارتيابية وصحتها أمر غير مؤكد.

6 -

بالعودة لمفهوم الاحتمال: ما الذي يسعى إليه الباحث من خلال الاستعانة بالاحتمال في أي حدث أو أية ظاهرة؟ إن الإجابة هي التوقع المستقبلي إلى ما ستؤول إليه الظاهرة أو الحدث وقراءة ذلك التنبؤ من خلال قيمة رياضية تتراوح بين الصفر والواحد أو بنسبة مئوية تتراوح بين الصفر والمائة المئوية. فالاحتمال إذن هو تنبؤ واستشراف لحدث ما في المستقبل من خلال قيمة رياضية نسبية. فهل تستطيع التجارب المفترض أنها عشوائية ممثلة بقطعة النقد أو حبة النرد عند رميها، أو أوراق اللعب، أو حتى الأرقام العشوائية المزعومة في الكمبيوتر أو القرعة، أن تقدم لنا منهجاً قياسياً مضموناً وثابتاً سواء أثناء أداء تلك التجارب بعدد محدد من التكرارات أو بعدد غير محدد من المحاولات، يمكن تكراره والتعويل عليه

في دراسات علمية كالدراسات البيولوجية مثلاً؟ إن المقاربة بين التجارب ذات الصفة العشوائية المزعومة (كالنرد وقطعة النقود) ومحاولة تطبيق قوانينها على التجارب ذات الصفة العلمية (كالدراسات البيولوجية) هي مقاربة خاطئة. ففي مثل هذه الأنواع من التجارب (قطعة النقود والنرد)، فإن عدم خضوع هذه المحاولات مباشرة لإرادة الإنسان وسيطرته وتحكمه، ينفي إمكانية التحكم بالتجربة. وبالتالي فإن النتائج حتى عندما تنتهي عدد المحاولات إلى اللانهاية، سوف تبقى نتائج تكهنية تنبؤية. فهل يصح تطبيق القوانين التي يتم استنباطها من مثل تلك التجارب التكهنية على وقائع وأحداث بيولوجية مثلاً، كاحتمالات جنس الجنين واحتمالات أشكال أو أنواع البازلاء عند تهجينها؟ أم إن الأصح هو اللجوء إلى استقراء ما ستؤول إليه نتيجة التجربة البيولوجية في هذه التجارب، ومن ثم استنباط القانون وفقاً للتكرار النسبي لحدوث الظاهرة العلمية. إن الظواهر البيولوجية كلها من غير استثناء لم يثبت بالقطع أنها عشوائية، وبالتالي لا ينبغي تصنيفها كظواهر عشوائية. لذلك فربما من الخطأ أن يتم استخدام القوانين التي تنسب للعشوائية كالقوانين المشتقة من تجارب النرد وقطعة النقود للاستدلال بها على مثل هذه الظواهر.

❖ هل يصح ربط الاحتمال بمصطلح الصدفة أو العشواء:

لقد تم تحميل مبدأ الاحتمالات الذي هو تعريف اصطلاحى مفهوماً ليس له أساس علمي يدعمه أو يؤكده، وهو ربط قوانين الاحتمالات بالمصادفة والعشواء وتم الاستناد في ذلك وبشكل (مسبق) (Subjective) إلى تجربة قطعة النقود والنرد و أوراق اللعب (الشدة).

وبالعودة إلى تجربة النقود، فقد افترض في أصل التجربة أنها تخضع للصدفة المحضة (اللاإرادة) أثناء أدائها، أي عند رمي القطعة النقدية. والصدفة المحضة في تعريفها هي عكس القرار الواعي، والذي يتأتى عن إرادة واعية.

فالصدفة وفق ما أريد أن يفهم منها لا ينبغي أن تخضع لأية إرادة تقديرية على الإطلاق. فهي بالنتيجة تخضع لما يزعم بأنه العشواء. أما التعريف الرياضي للصدفة فهو التساوي في فرص الحدوث لقيم المتغير أو التجربة. إن إمكانية ذلك التساوي في فرص الحدوث هي هنا إمكانية معدومة مهما حاولت أن تضبط ظروف وشروط التجربة وذلك ببساطة نظرا لغياب العوامل القياسية الدقيقة التي تتحكم بأداء التجربة. وبما أن الاحتمال قد استند في أساسه على تجارب، كالنرد وقطعة النقود وأوراق اللعب، فهذا يعني انه أريد به أن تكون قاعدته هي العشواء والصدفة المحضة المزعومة. ولننظر في مدى صدقية هذا الافتراض:

إن القطعة النقدية عند رميها تخضع لعدة قوى منها قوة الدفع التي أطلقها الشخص المؤدي، ومنها قوة الجاذبية المرتبطة بثقل قطعة النقود، ومنها مقاومة احتكاكها بالهواء، هذا إضافة إلى عوامل أخرى محددة يمكن قياسها . فإذا تم إحصاء وقياس جميع العوامل المؤثرة، فانه من المؤكد أننا سنعرف بدقة على أي وجه ستقع قطعة النقود في كل مرة يتم فيها رميها. وعلى هذا الأساس، فان تقدير وقوع قطعة النقد أو النرد ليس أمرا عشوائيا، ولم يحصل بمجرد الصدفة المحضة، وإنما حصل بحكم قوانين محددة.

من هذا نستنتج أن استخدام قوانين الاحتمالات الافتراضية، للاستدلال بها على المصادفات المحضة وعلى العشواء هو استخدام غير مبرر ومشكوك في صحته. فقطعة النقود أو النرد لم يقع على موقعه بفعل المصادفة وإنما كما وضحنا آنفا حدث وفقا لعوامل وقوانين قياسية. أما بالعودة إلى أوراق اللعب أو سحب الأوراق فإن الانتقاء لأية ورقة من الأوراق يخضع أيضا إلى العامل البشري الذي قام باختيار الورقة على الرغم من انعدام تقدير من قام بالاختيار لكن مع وجود الإرادة لديه فهذا ينفي أن الأمر كان عشوائيا سواء وفق التعريف المجازي للعشواء الذي يلغي الإرادة كليا وهذا الأمر لم ينتفي هنا، أو من خلال التعريف الرياضي

الذي يؤكد على تساوي فرص الحدوث والذي اختل هنا في لحظة الاختيار، وإن انعدم التقدير لأن الإرادة عند من سحب الورقة بقيت حاضرة وهي ستبقى حاضرة أيضا ولا يمكن نفيها حتى من خلال استخدام الوسائل الإليكترونية كالحاسوب وغيره. بالتالي فإن العشواء أو الصدفة المحضة في الواقع، هما ظاهرتان لا أصل لهما. فكل ما في هذا الكون يخضع لقوانين محددة. وإن الجهل بهذه القوانين لا ينفي وجودها، ولا يجعل البديل هو العشواء. فافتراض العشواء أو الاختيار العشوائي لأية تجربة علمية هو اختيار مسبق موجه ومتحيز سوف يفضي بالتأكيد إلى نتائج منحرفة ومعلولة. فالعشواء إذن هي مفهوم اصطلاحي، وإن إقحامه في المفاهيم العلمية قد يتطلب أو يحتاج إلى إعادة نظر من وجهة نظر علمية.

يستنتج أن إدماج مفهوم العشواء والصدفة في المفاهيم العلمية، من خلال اعتبارها إحدى أسس وطرق الإحصاء العلمي، ومن ثم الاستناد إلى هذا المفهوم، وربط ذلك بمفهوم الاحتمالات الافتراضي والقوانين المتضمنة فيه، بحيث تبنى معادلات الاحتمال وقوانينه و كشرط لصحة النتائج في التجارب الإحصائية المستندة على مبادئ الاحتمال، على شرط الصدفة المحضة والعشواء المطلق، سوف يترتب عنه نتائج مطعون في مصداقيتها.

❖ ❖ ❖ أليس شرط الاختيار العشوائي للعينات في التجربة العلمية هو شرط مسبق ينسف مفهوم الحيادية في التجربة العلمية ويفضي إلى نتائج موجهة مسبقا: فعلى سبيل المثال، إن الحيادية المبتغاة في التجربة العلمية والتي تقوم عليها صحة تلك التجربة ومصداقيتها تقتضي عند اختيار وتوزيع أفراد العينة المدروسة، أن يكون التشابه والتناظر بقدر الامكان قائما بين صفات الافراد لدى توزيعها في الزمر المختلفة المدروسة. ان اختيار العينة بطريقة العشواء، سوف لن يحقق شرط الحيادية كما تم تعريفه آنفا. لان العشواء لن يفضي إلى حدوث

تشابه وتناظر دقيق بين صفات الافراد عند توزيعها في الزمر المختلفة المدروسة لأنه يخضع إلى غياب التقدير كما ورد في تعريفه، وإن غياب التقدير في التوزيع سوف يقدم توزيعاً غير متحكم به فقط، لكنه لن يقدم التناظر والتشابه المنشودين في صفات الأفراد بين الزمر المختلفة واللذين لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال التقدير الواعي وليس غياب التقدير. يمثل هذا الشرط المسبق إذن (شرط الصدفة والعشوائية المزعومين) تحكما مسبقاً في سير التجربة العلمية، مما يجعلها تجربة موجهة. وبالتالي فإن النتائج التي ستنتج من خلال هذه التجربة سوف تكون نتائج مبرمجة مسبقاً. وهذا يخالف من جهتين أصول البحث العلمي:

فمن جهة، هنالك اضطراب واضح في مفهوم العشوائية وإقحامه في الإحصاء بغير حق كما تم تبيانه. ومن جهة ثانية فإن التجربة العلمية لا يجوز أن تكون خاضعة لقواعد وشروط مسبقة تؤثر على النتائج وتوجهها. فعلى سبيل المثال، كيف وصل الاحصائيون إلى أن تلك الأرقام التي يقدمها الكمبيوتر بزعمهم، أو غيرها من الأرقام الأخرى (وهي الأرقام المختارة من بين بقية الأرقام أو الأعداد؟ و التي زعمت بعض الكتب الإحصائية أنها تمثل العشوائية) هي في حقيقة الأمر، القيم الحقيقية التي تمثل الأرقام العشوائية التي تدل على الاختيار العشوائي المفترض؟؟ وهل إن الاختيار العشوائي وفق تعاريفه السابقة هو الاختيار الذي سيحقق الحيادية المطلوبة في أية تجربة علمية؟؟؟ إن الحيادية والعشوائية هما أمران متخالفان إن لم يكونا متنافيين.

❖❖❖ هل قوانين الاحتمالات (Probability) هي القوانين الصحيحة أم أن قوانين التكرار (Frequency) هي القوانين الصحيحة.

إن قوانين الاحتمالات (Probability) ليست في مجملها، قوانين ذاتية مبتكرة تجريبياً وإنما على ما يظهر تم اشتقاقها من قوانين التكرار (Frequency) التي هي قوانين قابلة للتكرار وقابلة للتحقيق تجريبياً:

فعلى سبيل المثال في تجربة قطعة النقود: فان تكرر ظهور أحد وجوه القطعة النقدية دون رميها، هو واحد من اثنين حيث تحوي القطعة النقدية على وجهين. وفي حالة النرد فان تكرر ظهور أحد الأرقام هو $6/1$ واحد من أصل ستة أرقام، هي أرقام وجوه حبة النرد. بناء على ذلك، فان تكرر وجود رقم معين وليكن 1 أو 1 في قطعتي نرد هو $6/1 \diamond 6/1 = 36/1$ واحد من بين ست وثلاثين، وهو عدد الحالات التي تتكرر فيها التوزيعات المختلفة الممكنة لأرقام النرد. هذه القيم هي قيم قياسية قابلة في كل مرة للتجربة والإعادة. فبالإمكان إجراء التجربة وملاحظة التوزيعات المختلفة للأرقام في كل مرة تتم فيها التجربة، وهي ثابتة وقابلة للتكرار. فالقيمة $36/1$ تمثل تكرار ظهور الرقم 1,1 في قطعتي النرد بين الأرقام الـ 36 التي تمثل كافة توزيعات الأرقام الممكنة. لكن هذه القيمة (التكرارية) $36/1$ لا تعني بحال من الأحوال ولا تمثل التقدير الاحتمالي لظهور الرقمين 1,1 حين يتم رمي قطعتي النرد. فعند رمي قطعة النرد، فان ظهور أي من الأرقام الستة لا يعادل $6/1$ بمعنى أنه من بين كل ست رميات يفترض ظهور الرقم المختار مرة واحدة. ولا يمكن أن نتكهن أو نتنبأ متى يظهر الرقم المفترض. كما أن ظهور رقمين اثنين بعد رمي قطعتي النرد، بالتأكيد لن يكون $36/1$ (مرة من كل 36 مرة) يتم فيها رمي النرد. إضافة إلى أن التجربة بهذه الطريقة لن تكون قابلة للتكرار. فالأرقام ستكون مختلفة في كل مرة يرمى فيها النرد. وعلى هذا الأساس، فان هذا القانون يتحقق بدقة في التكرار (Frequency) وهو تكرر توزع الأرقام المختلفة الممكنة، لكن ليس في الاحتمال (Probability) عند رمي قطعة النرد. لقد تم سحب قوانين التكرار بشكل غير مبرر وإسقاطها على أنها هي نفسها قوانين الاحتمال. واعتبرت أيضا هذه القوانين (الاحتمالية) مفسرة ومميزة للمصادفة التي تمثل ظهور رقم ما عفويا عند رمي النرد، أو أحد وجهي قطعة النقود عند رميها. فعلى حين أن التكرار قابل للقياس، يكون

الاحتمال إجراء متعذر القياس. وعليه فان نتائجه تعتبر مدعاة للتساؤل حول دقتها.

وعلى هذا الأساس ومن خلال ما سبق، فعندما قام العالم مانديل بتجاربه الوراثية الشهيرة على البازلاء، إنما كان يقيس في الأجيال الجديدة من خلال ملاحظاته الاستقرائية تكرار ظهور نسل في صفات شكلية محددة، وليس احتمال ظهوره. وهذا التكرار يخضع لقوانين التكرار (الذي هو واقع ملموس يستند إلى الملاحظة) وليس للاحتمالات (التي هي مجرد تكهنات وتنبؤات).

كمثال على المقصود: في التجارب البيولوجية فإن الأعراس الذكورية عند البشر نصفها تحمل الصبغي الذكري Y والنصف الآخر يحمل الصبغي الأنثوي X بينما عند الإناث، يكون الصبغي المؤنث X هو الوحيد الموجود. وعند التزاوج وظهور الأجنة لا نرى في الأسرة الواحدة، استنادا لاحتمال المبني على شرط الصدفة، أن 50% من أفرادها إناث و 50% ذكور. بل على العكس نرى مزيجا لا حصر له من نسب الذكور والإناث، بحيث تختلف النسبة من أسرة إلى أخرى. إن عدم التناظر في النسبة هو دليل على أن التزاوج الذي يحصل بين الأعراس يخضع لقوانين يدخل فيها التصميم والإرادة الخاصة الواعية التي ليست في معظم أحوالها بشرية، وهي التي ستقرر نسبة جنس إلى الآخر (حيث هذا هو الواقع الملموس). ولعل الملاحظات التجريبية في هذا المجال تقدم دليلا قويا على وجود نظام معلومات ذكي هو من يقرر مسبقا جنس المولود وبالتالي يقدم برهانا آخر على التصميم الذكي يرفد ما استدل عليه الدكتور ديمبسكي من خلال كشفه عن المعلومات التي تحملها ال دي إن إي كدليل على وجود المصمم الذكي. إن ما تم التطرق إليه في المثال السابق ينسحب على جميع الصفات الوراثية في عالم الأحياء. أما الاحتمالات التي تبني على مايفترض بأنه الصدفة والعشواء والتي يمثلها رمي النرد وقطعة النقود، فلن يكون لها أن تقرر نسبة جنس

إلى الآخر. وإذا ما تم استخدامها لإنجاز هذا التقدير فإن النتائج ستكون من دون شك خاطئة . بناء على ذلك فإن استقرار تكرار ظهور حادثة معينة كما تظهر في المجتمع وليس (الاحتمال التنبؤي المستند في أصله على العشواء المزعوم) هو الأصوب والأجدر أن يستعان به من أجل الدراسة الإحصائية اللاحقة والتوقعات الافتراضية المستقبلية في عالم البيولوجيا .

إن الاضطراب في وضع مفهوم وتعريف واضح للاحتمال يشكل معضلة علمية أخذ يشكو منها الآن العلماء الذين يتعاملون مع الذكاء الاصطناعي كأجهزة الكمبيوتر و الحواسيب المختلفة، خصوصا عند تلقينهم أجهزة الحاسب لمنطقيات تتعلق بالاحتمالات، لذلك فإن كثرة كاثرة من المؤلفين قد رفضوا الاحتمالات معللين ذلك بعدم كفاية مدلولاتها لأسباب متنوعة منها: تعريف الاحتمال بأنه نسبة تكرارية بدلا عن كونه تقديرا يقينيا، فتفسير الاحتمال بالتكرار يقيد بشكل شديد الحدود التطبيقية لهذا الاحتمال. إضافة إلى ذلك فهناك مشكلة في التمييز بين مدلولي الاحتمال النسبي والاحتمال اليقيني، والتمييز بين الاحتمال كمفهوم وغياب الجزم فيه. وأيضا التفاعل بين المنطق كمفهوم والاحتمال كمدلول (11)

مثال تجريبي حول الالتباس في تطبيق قوانين الاحتمالات وإشكالية ارتباطها بمفاهيم الصدفة المحضة:

في آراء (التطور) المستندة إلى (المصادفة) والى قوانين (الاحتمالات) وقاعدة (البقاء للأصلح) (والاصطفاء الطبيعي) تم افتراض قرد الشمبانزي فيما سمي بالرئيسيات ليكون أكثر الحيوانات الحية قرابة من الإنسان من حيث النسب، حيث تأتي المخلوقات المنقرضة الاحفورية (الانتقالية من الرئيسيات) بين القرد وبين الإنسان، في درجة أعلى في سلم التطور الافتراضي كأجداد متتابعة للإنسان. مثال كائنات (12) Pliopithecus, Proconsul

(13) Dryopithecus). (على الرغم من أن جميع هذه الكائنات المذكورة هنا

قد أعيد تصنيفها علمياً على أنها قرود حقيقية منقرضة).

وفي الدراسة الوراثية الجزيئية، ومن خلال قوانين الاحتمالات، فقد افترض انه من بين كل عشرة آلاف (طفرة خاطئة) تقريباً يمكن أن تحصل في جنس معين من الأحياء، هناك احتمال ظهور طفرة مميزة (جيدة) إيجابية وفقاً لزمع التطوريين(10).

لنقم بإجراء دراسة حسابية بسيطة وفقاً لقوانين الاحتمالات للتعرف على التحولات الحاصلة من أجل انتقال قرد الشمبانزي إلى الإنسان الحالي وفق ما تقتضيه مزايم التطور. لنفترض على سبيل المثال، أن عدد المورثات البشرية لدى الإنسان هي 25.000 مورثة بشرية محمولة على 46 من الصبغيات. هذه المورثات قد تطورت 500 مورثة منها، بواسطة الاصطفاء الطبيعي عن طريق الطفرات، وفقاً لقوانين الاحتمالات عن مورثات قرد الشمبانزي المحمولة على صبغياته الثمانية والأربعين.

إن المورثات البشرية الـ 500 هي مورثات أصلح في كاملها من مورثات القرد وفقاً (لقواعد التطور). وبناء عليه فقد ظهرت هذه المورثات تباعاً لدى ما يمكن أن نسميه (المخلوقات الافتراضية الانتقالية) بين هذا القرد وبين الإنسان (وفق منطق التطور).

بحسب الاحتمالات، فلكل طفرة تطراً لتحصيل مورثة صحيحة هنالك 10000 طفرة خاطئة. ومن أجل ظهور طفرة (بصرف النظر عن نوعها) في نوع كقرود الشمبانزي ذات التكاثر المحدود نسبياً، نحتاج افتراضياً إلى توالد 1000 قرد. فهذا يعني انه للحصول على طفرة صحيحة جيدة، نحن نحتاج إلى: $1000 \times 10000 = 10$ ملايين قرد متوالد لظهور طفرة واحدة (إيجابية) وفقاً لقوانين التطور. ولنفترض الآن أننا نريد طفرتين اثنتين منفصلتين وإيجابيتين

في نفس الوقت. فهذا يعني وفقا لقواعد الاحتمالات، أننا بحاجة إلى 10/1 ملايين ❖ 10/1 ملايين = 1/100 مليون تكاثر في سلالة القرود للحصول على طفرتين منفصلتين إيجابيتين في نفس الوقت. طبعاً إن هذا غير ممكن في جيل واحد. فلذلك نعود إلى الافتراض الأول وهو ظهور الطفرة الإيجابية الواحدة في كل جيل (بمعنى أننا بحاجة إلى جيل واحد كامل من قرود الشمبانزي للحصول على طفرة جيدة في اتجاه التطور نحو الإنسان). (وهنا نحن نفترض أن جميع الطفرات الإيجابية التي ستظهر هي طفرات ستتحول إلى طفرات بشرية وليس إلى أي طفرات إيجابية أخرى ربما لأشكال ونماذج لأحياء مزعومة أخرى (مما يعني أننا والحالة هذه قد فقدنا صفة العشواء والمصادفة منذ البداية في التجربة) لأن ظهور طفرات غير بشرية وإيجابية سوف يفضي (وفق مزاعم التطور) إلى أشكال وكائنات أخرى غير منتهية في العدد. في حين أن الإنسان كما يزعم التطوريون، هو الكائن الوحيد الذي تطور عن الشمبانزي إلى هذا الوقت، إن هذا يعني أن طفراتنا هذه هي طفرات (ذكية وذات اتجاه محدد). إذن فالطفرة الجيدة الثانية سوف تظهر في الجيل اللاحق وهكذا إلى أن يكتمل عدد الطفرات في الجيل 500 فنحصل على الإنسان وفقاً للتطور المزعوم. لكن في الجيل الثاني نتساءل عن عدد المترافقات بين أزواج الطفرات الإيجابية التي يمكن أن تلتقي مع بعضها في نفس الكائن القرد - بشري. وفقاً لقانون التكرار (Frequency) يكون لدينا 499 زوج من المترافقات الممكنات بين الطفرات الممكنة لظهور طفرتين جيدتين لدى الجيل الثاني من هذه القرود. وبنفس المقياس فإن الجيل الثالث سوف يقدم وفقاً للتطور 499 ❖ 498 = تقريباً 250000 نوع متميز من القرود المختلفة تحمل ثلاثة مورثات طفرية متميزة إيجابية باتجاه الجنس البشري. وبما أن هذه الأرقام ترتفع بشكل لوغاريتمي غير

قابل للتطبيق أو للحدوث فإنني سأتوقف عند هذا الرقم وسأقوم بتقديم افتراض
ابسط:

لنفترض أن المورثات التي ستصاب بالطفرة بدلا من 500 مورثة (وهي
المورثات البشرية المختلفة) قد تم اختصارها إلى عشرة مورثات، أي أقل من ربع
صبغيات الإنسان، وبمعنى آخر، إن الطفرة عندما تصيب هذا القرد تحيل أربع
صبغيات كاملة بما تحمله من مورثات إلى صبغيات طفرية جديدة !!! ولتكن
المورثات افتراضيا التالية: 1 - مورثة انتصاب القامة 2 - مورثة الطول 3 -
مورثة حجم الجمجمة 4 - مورثة تشكل الدماغ 5 - مورثة تأنف الأنف 6 -
مورثة تشكل الشعر في الرأس 7 - مورثة انتظام العينين في الوجه 8 - مورثة
انتظام مفاصل اليدين 9 - مورثة الأسنان في الفم 10 - مورثة الأظافر.
ولندرس بنفس الصورة الأجيال من القرود البشرية التي سنحصل عليها : ففي
الجيل الأول يكون لدينا قرد واحد نبدأ به. وفي الجيل الثاني هنالك تسعة أنواع
من القرود المختلفة التي تحمل مورثتين جديدتين طفريتين وفي الجيل الثالث
لدينا $9 \diamond 8 = 72$ نوعا متمايزا و مختلفا من القرود البشرية، وبنفس الطريقة
يكون في الجيل الرابع $9 \diamond 8 \diamond 7 = 500$ نوع، والجيل الخامس $3000 =$ نوع
وهكذا إلى الجيل العاشر الذي سيكون فيه عدد أنواع القرود البشرية المختلفة
والمنفصلة من حيث الصفات الوراثية والشكلية، والتي ينبغي أن تظهر، هو تقريبا
3 ملايين وخمسمائة ألف نوع جديد من القرود البشرية المتطورة عن قرود
الشمبانزي . بالتأكيد فان هذه القرود البشرية جميعها، وبحكم الاصطفاء
الطبيعي، وكون مورثاتها هي الأفضل، لابد أن تكون الأفضل قدرة على البقاء
من قرد الشمبانزي الأصل. إذن من خلال قانون الاحتمالات المترافق بالصدفة
المحضة، فهناك ضرورة لظهور ثلاثة ملايين و خمسمائة ألف نوع جديد من
المخلوقات الجديدة الانتقالية القردو - بشرية المؤهلة للبقاء فقط وفقط إذا

كان لدى البشر عشرة مورثات مختلفة عن مورثات الشمبانزي. ناهيك عن 500 مورثة مختلفة . بمعنى آخر، ووفقا لقوانين التكرار، فإن عدد المترافقات الممكنة من بين المورثات الـ 500 الطفرية التي ستولد الكائنات المختلفة الانتقالية سيكون 500 ❖ 499 ❖ 498 ❖ 2..... = وهذا العدد يزيد بالتأكيد عن (10 قوة 1000) نوع من تلك المخلوقات الانتقالية الافتراضية التي ينبغي ان تشاهد بين الانسان وبين قرد الشمبانزي. لك ان تتخيل اننا لو احصينا من كل صنف من هذه الكائنات البيئية الانتقالية، مجموعة واحدة وراكمناها فوق بعضها، لشغلت هذه الجماعم حيزا في الفراغ يزيد عن 10 قوة 100 سنة ضوئية!! إن هذا يعني ان بلايين من الكرات التي بحجم كرتنا الارضية لن تكون كافية لملئ حيز الجماعم المفترضة من الكائنات الانتقالية الوسيطة بين الانسان وقرد الشمبانزي فيما لو اخذنا فقط مجموعة واحدة من كل نوع مختلف. إن هذا المثال بالتأكيد ينطبق على كل المخلوقات على الأرض وليس فقط الشمبانزي والانسان. لكننا لانرى في المستحاثات المزعومة إلا الندرة النادرة من تلك الجماعم و التي يعرضها فقط علينا أنصار التطور. فأين اختفت بقية الجماعم المزعومة التي ينبغي ان تشغل في حجمها بلايين الكرات الارضية!!

يمكن الاستنتاج من المثال السابق أن الاحتمال وقوانينه قد أخفقا مرتين مرة في تفسير الفرضية التطورية لظهور الكائنات الحية وفقا لمنظور التطوريين، ومرة في إدخال مفاهيم العشواء والمصادفة إلى الاحتمالات في الإحصاء العلمي.

المناقشة :

فإذا كان القرد الشمبانزي ومن هو أدنى منه وفقا للتصنيف التطوري قد أكد قدرته على البقاء والتكاثر حتى هذا الوقت، فمن باب أولى أن تكون هذه السلالات

الهجينة وراثيا هي أكفأ في البقاء من الشمبانزي. وعليه، يفترض أن تكون موجودة في مكان ما على الأرض وإن لم يتم اكتشاف مكانها بعد!

بناء على ما ذكر، نستنتج وفقا لفرضية التطور وقوانينها ووفقا لقوانين الاحتمالات والصدف المحضة انه في حال تحول فقط عشرة مورثات من مورثات الشمبانزي وبشكل ذكي وموجه إلى مورثات بشرية، وليس إلى أية مورثات أخرى جيدة ولكن ليست بشرية، يفترض أن نرى أنواعا مختلفة من القرود البشرية الانتقالية حية تعيش وتتكاثر على هذه الأرض لا تقل في عددها عن ثلاثة ملايين نوع مختلف. هذا على مستوى الشمبانزي إلى الإنسان، فكيف هو الحال إذن مع بقية المخلوقات الأخرى الموجودة؟. إن الحيز الزمني والمكاني للكثرة الأرضية لا يسمحان حتى بقبول وجود افتراضات نظرية كهذه الافتراضات وذلك بخلاف وجودها الواقعي. لقد عبر عن وجهة النظر هذه السيد (E.R.) Leach (14) قائلا " إن فقدان الاستمرارية في تعاقب المستحاثات كانت مثار قلق عند دارون. لقد كان متأكدا من إمكانية ظهورها في النهاية. إلا أنها لا تزال مفقودة ويبدو أنها ستبقى كذلك دائما ". ومما يثير التساؤل حقيقة أن هؤلاء التطوريين يرجعون إلى الاحافير أو إلى أجيال الحصان والفيول ويدعون أن هذه السلالات الافتراضية هي دليل للتطور. إلا أن ما يريد الناس رؤيته في الواقع، هو تلك الأشكال اللامنتهية من المخلوقات الحية الانتقالية بين الأنواع، وليس قطعاً من جماجم وأضراس وبقايا عظام مأخوذة من أماكن بعيدة عن بعضها (15) تبنى عليها افتراضات لا صحة لها في معظم الأحيان، وغالبا ما تكشف الأيام اللاحقة زيف كثير منها (كما فعل هيغل في بعض رسوماته للأجنة التي أقر بتزييفها)، أو أن يتم نقضها لاحقا كما هو الحال في كثير من المستحاثات البشرية المزعومة التي نقضت لاحقا، بعد أن اعتبرت دليلا للتطور (12,13).

فالموضوع في واقعه العلمي والكلام هنا يتناول الملاحظة والتجربة العلمية، لا

يتعلق بتتبع استكشاف مستحاثات ذات تعاقب انتقالي يتم العثور عليها هنا أو هناك وتستخدم كبرهان على التطور. فهي وإن وجدت وحتى وإن كان تنوعها كبيرا وبأعداد غزيرة فلا يزال الأمر وفقا لمنظور التطور يتعلق بأعداد فلكية تتجاوز الترليون من التنوعات الشكلية يجب تضافرها ضمن المخلوقات البيئية وذلك لحدوث الانتقال من نوع لآخر. هذا ما عبر عنه السيد Stephen Jay Gould من جامعة هارفرد وهو أحد أعمدة المتحدثين بالتطور (16) "إن الندرة الهائلة للأشكال الانتقالية في سجلات المستحاثات تقبع كسر من أسرار علم الاحافير. إن أشجار التطور التي تزين الكتب المرجعية لدينا تغطي بياناتها فقط ذرى ونهايات الفروع، أما ما تبقى فهو ليس إلا مجرد استنتاجات.... وليست أدلة من المستحاثات". وكلامه هذا لا يدع مجالاً للشك أن التطور هو مجرد افتراضات وأوهام وليس حقائق.

لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك وبعد أن قام الإنسان بسبر كل شبر من الكرة الأرضية في برها وبحرها وسمائها، انه لا وجود حتى ولو لنوع واحد حي (أو غير حي إلا ما زعمه التطوريون) من هذه الأشكال الانتقالية للقروذ البشرية أو لغيرها من الأنواع الانتقالية بين الكائنات الأخرى. بل إن كل ما وجدناه هو شمبانزي وإنسان و اسماك وزواحف وطيور وفقاريات متنوعة. إن فرضيات التطور تؤكد حتمية وجود هذه المخلوقات حية متكاثرة لأنها المخلوقات الأكثر رقياً والأكثر صلاحية للبقاء وفقا لمبدأ الاصطفاء الطبيعي (Natural selection) ومقارنة بالمخلوقات التي تندرج دونها في سلم التطور المزعوم. ليس هذا فحسب، بل إن فرضية التطور هذه، ومن خلال استنادها المتصلب إلى قوانين الاحتمالات والصدفة وتبنيها لهما كأساس لا يستغنى عنه في الاصطفاء الطبيعي والتطور، يحتم وفقا لقواعد الاحتمالات وجود أشكال حية لانهاية من المخلوقات

الانتقالية غير المنقرضة تندرج بين المخلوقات المعروفة الحية التقليدية، لا تزال تتكاثر وتعيش بيننا في هذا الزمان.

إن الغياب الحقيقي لوجود مثل هذه المخلوقات الانتقالية حية الآن يمكن تبريره بأحد سببين:

- 1 - إما أن هذه المخلوقات قد تواجدت في وقت ما على سطح الأرض وانقرضت.
- 2 - أو أن هذه الكائنات لم تكن في يوم من الأيام موجودة أبدا باستثناء تواجدها كمجرد أوهام عند أنصار التطور.

ففي الحالة الأولى، فإن انقراض هذه الكائنات بشكل استثنائي مع بقاء الكائنات الأدنى منها والأقل منها فرصة للبقاء إلى هذا الوقت، يدل على أن هنالك آلية ما اصطفاائية ذكية ومقررة، هي التي اختارت بشكل انتقائي واع لهذه الكائنات، على الرغم من رقيها في درجة التطور، أن تنقرض دون أن تمس بقاء الكائنات الأدنى. وفي هذه الحالة فإن هذه القدرة الواعية، هي في الواقع، المتحكمة بشكل اصطفاائي في حياة هذه المخلوقات وبقائها. فإن صح هذا الافتراض، فإنه أيضا يتطلب ضرورة اكتشاف هذه الأعداد اللامنتهية من الكائنات الانتقالية في الاحافير والمستحاثات. وهذا ما لم تثبته المستحاثات، على الرغم من الاستكشافات المستفيضة في هذا المجال. وعليه يمكن إسقاط هذا الافتراض. يحدثنا الدكتور Gish عن رأيه في هذا الموضوع (17) فيقول " هنالك صخور ورسوبيات منتشرة حول العالم قد عرفت باسم الرسوبيات الكامبرية. يعتقد التطوريون بان هذه الرسوبيات قد بدأت بالترسب منذ 530 مليون عام خلال مدة تقارب الخمسة إلى عشرة ملايين عام. تتكون هذه المستحاثات من لا فقاريات معقدة، مثل الأسماك الصدفية، الحلزون، ثلاثية الفصوص، قنديل البحر، الإسفنج البحري، زنبق البحر، وما إلى ذلك. إن الملايين من هذه المستحاثات نجدها في الطبقة الكامبرية. توجد أسفل الطبقة الكامبرية صخور الحقبة ما

قبل الكامبرية . يعتقد التطوريون أن الحقبة ما قبل الكامبرية قد ترسبت خلال عدة مئات من ملايين السنين سبقت ومن ثم قادت إلى الحقبة الكامبرية. إذا كان التطور حقيقة، فإن الصخور ما قبل الكامبرية يجب أن تحتوي في ثناياها على بلايين المستحاثات الانتقالية بين ما يفترض انه الأسلاف من وحيدات الخلية لهذه اللافقاريات المعقدة وبين هذه اللافقاريات. ينبغي علينا أن نكون قادرين على اقتضاء اثر هذه الأشكال الانتقالية التي تربط هذه اللافقاريات بأسلافها الافتراضية. إن هذا يجب أن يكون حقيقة فيما إذا كان التطور حقيقة. إلا انه، يبدو أن كل واحد من هذه اللافقاريات قد تشكل بشكل كامل دون أي اثر مستحاثي لهذه الأسلاف ودون أي اثر لتلك الأشكال الانتقالية التي تربط هذه اللافقاريات بأسلافها المزعومة. إن هذه الحقيقة معترف بها بشكل واسع في أدبيات التطور وهي كافية وحدها لتنسف التطور. فمن المستحيل حدوث مئات الملايين من أعوام التطور التي تتحول فيه وحيدات الخلية إلى لافقاريات معقدة دون أن تترك أي أثر. ينبغي أن يكون هنالك إذا كان هناك موضوعية، بلايين من المستحاثات الوسيطة. "ويقول في موقع آخر " يظهر كل نوع رئيسي من الأسماك في سجل المستحاثات مكتمل الإنجاز دون وجود أي اثر للأسلاف ، ولا يوجد أي شكل من الأشكال الانتقالية على الإطلاق تربط هذه الأشكال المتنوعة من الأسماك بأسلافها التقليدية."

ثم يتابع الدكتور Gish فيقول " إن هذه الإشكالية في حد ذاتها هي السبب الذي دفع عالم الأحياء التطوري السويدي , Soren Lovtrup (18) كي يرفض الدارونية معتبرا إياها " أكبر خديعة في تاريخ العلم".

ويبقى إذا أمامنا الافتراض الثاني، وهو الغياب الفعلي لظهور مثل هذه الكائنات، وهذا يرجعنا وبشكل منطقي وعلمي إلى الاستنتاج بان الخليقة تكونت عمليا بشكل مخلوقات منفصلة تماما في أصولها كل منها تشكل على حده

وبشكل مستقل تماما عن المخلوق الآخر. فالإنسان بالتأكيد قد توالد عن إنسان من زوجين ذكر وأنثى، كما أن القرد قد تولد عن زوجين من القرود ذكر وأنثى، وكذلك الطيور والحيوانات الأخرى والتمعضيات الخ.... وهذا ما تدل عليه الدراسات الجادة على المستحاثات وعلى المخلوقات الحية الآن حيث لا وجود لأي شكل من أشكال المخلوقات الانتقالية على الإطلاق بين أي جنسين من أجناس الكائنات الحية أو المستحاثات تؤكد أو تشير إلى هذا التطور الانتقالي المزعوم وإنما هو انفصال كامل. وما تعليق ستيفن جي. غولد " إن أشجار التطور التي تزين الكتب المرجعية لدينا تغطي بياناتها فقط ذرى ونهايات الفروع، أما ما تبقى فهو ليس إلا مجرد استنتاجات" إلا دليل قاطع من أحد أساطنة التطور على الإقرار على الغياب الفعلي لتلك الكائنات الانتقالية الافتراضية والانفصال الكامل بين الأنواع المختلفة من المخلوقات.

فإذا كانت هذه المخلوقات كما بينا، قد نشأت بشكل مستقل تماما عن بعضها بعضا، فإن السؤال البديهي الذي يتبع ذلك هو كيف نشأت هذه المخلوقات . هل من خلال قدرة ذاتية وضرورة أم من خلال قدرة منظمة عظيمة مهيمنة قادرة مميزة هي التي قامت بتصميم كامل وفي آن واحد لكل مخلوق وبشكل مستقل عن المخلوق الآخر؟ نترك الإجابة على هذا السؤال لكل إنسان كي يقرر هو بنفسه.

بالعودة إلى البنية الجزيئية وعلى مستوى المورثات فكثيرا ما أشار التطوريون إلى هذا التشابه الفريد في البنى الوراثية لبعض المورثات لدى المخلوقات الأكثر قربا في معيار التطور (حسب زعمهم) كما هو الحال في حالة مورثة الغلوبين B في خضاب الدم لدى القرود والبشر. بحيث يستندون في هذا التشابه في تتابع تسلسل الحموض النووية DNA على انه دليل يفيد التطور. ويقصدون في ذلك، أن هذه المورثة وفقا لتسلسل حموضها النووية قد انتقلت إلى النوع الثاني من

الكائنات الحية، مع حصول طفرات أخرى في مواقع أخرى مما أدى لاحقا إلى تطور أنواع وأجناس جديدة بعضها من بعض. (19, 20).

إن ما نراه من وجود التشابه في هذه المورثات إنما يفيد في دلالة شيئا واحدا فقط، وهو أن هذه المورثات قد وجدت لتكون متشابهة أو متطابقة في تلك الأجناس نظرا لتقارب الأداء الوظيفي لتلك المخلوقات والتي تحتاج فيه إلى مورثات تنتج صفات شكلية قريبة في أداؤها. فعلى سبيل المثال فإن أبعد الثدييات عن الإنسان في سلم التطور تكون فيه نسبة التشابه في مورثات الغلوبين B مقارنة بالإنسان حوالي 75%. أما الشمبانزي فتشابه مورثات هذا البروتين الخضابي هو 100% أي أنه متطابق مع غلوبين الإنسان وقل مثل ذلك تقريبا في العديد من المورثات المتبقية. لكن الشمبانزي في النهاية وبالرغم من تطابق مورثة البيتا غلوبين فإنه في صفاته الشكلية والوراثية قد اكتمل تكوينه كجنس منفصل تماما عن الإنسان لا يختلف في ذلك البتة عن الفأر الذي تتشابه مورثات الغلوبين عنده بالإنسان بنسبة 75%. كلاهما منفصل تماما في جنسه وفي أداؤه الوظيفي وفي فيزيولوجيته وفي نمط حياته وفي سلوكه عن الإنسان وعن بعضه بعضا كنوع مستقل بشكل مميز واضح غير ملتبس. فإذا كان الانفصال في المخلوقات هو الصفة النهائية بين الأنواع المختلفة كما هو مبين فإن هذا يؤكد بخلاف ما يعتقد ويذعمه أنصار التطور أن القصد من تشابه أو تطابق المورثات لا يمكن استخدامه دليلا على تطور الكائنات الحية من بعضها وإنما هو دليل على أن تلك المخلوقات المنفصلة في جنسها قد تم رسم خارطتها الوراثية بتقدير دقيق من قبل مصمم واحد لتلك الخرائط الوراثية لجميع تلك المخلوقات ليجمع منها أجناسا وأنواعا مختلفة. يؤكد ذلك اكتشاف جينات حديثا مستقلة الأصل منقطة الصلة بغيرها (Orphan Gens) بين الأنواع المتباينة. ولو أن الأمر كما يزعمه أنصار التطور لكان هنالك ضرورة إلى وجود أشكال من

الاندماج الوظيفي والسلوكي والنفسي السايكولوجي والأدائي بين المخلوقات المختلفة بحسب نسبة تشابه مورثاتها. لكن وعلى سبيل المثال: إن ما نراه من عناية فصيلة الأسود بجراء الفهود والتي هي إختوها في التطور كما يزعم أنصار التطور لا تتعدى بحال العناية التي تؤديها القردة لصغار الجردان التي هي أبناء عمومته البعيدين تطوريا. فلماذا إذن يطلب من المرء وفقا لأنصار التطور أن يستدل من خلال هذه التطابقات أو التشابهات على أن هذه المورثات قد انتقلت وقفزت من نوع معين من الكائنات إلى نوع آخر بدل أن يستدل على أن من أنجز التصميم هو نفس المصمم؟ إن الدليل الذي يستخدم للتدليل على الفرضية ونقيضها لا يمكن استخدامه كدليل لصالح فريق ضد الآخر. وهكذا فإن على التطوريين كي يبرهنوا على صحة افتراضهم أن يأتوا بالدليل الذي يقطع بانتقال هذه المورثات أو الحموض النووية بهذا التسلسل من كائن حي إلى كائن حي آخر وأن ينفوا التصميم وهذا بالتأكيد أمر غير ممكن.

إذا كانت وظيفة الأعضاء في كائن ما تتطلب أن تكون الصفات الظاهرة ذات أداء معين كما هو الحال في الخضاب عند قرد الشمبانزي. حيث أن أعضاء الظاهرية في شكلها وأدائها هي الأقرب من بين المخلوقات الأخرى إلى شكل أعضاء الإنسان، وهذا أمر لا ننكره بل نؤكد، فالأمر المنطقي أن تكون بعض المورثات الخاصة به مشابهة أو مطابقة لبعض المورثات البشرية خصوصا في الأعضاء أو الأجهزة في الجسم التي يكون فيها الأداء متشابهة لدى المخلوقين. كما أن التباعد الشكلي والوظيفي بين مخلوقات أخرى والإنسان، يقتضي منطقياً بعض التباعد في تسلسل وبنية المورثات. فمن الواضح أن المورثات الخاصة بشكل الحافر عند الحيوانات ذات الحافر، لن تكون مطابقة أو مشابهة للمورثات التي تعطي شكل الكف عند البشر أو عند القرود، لأن التكوين الشكلي والوظيفي لهذه الأعضاء عند الحيوانات ذات الحافر، مختلف تماما عنه عند الإنسان أو القرود. على حين

انه ليس من المستبعد أن تكون هذه المورثات لشكل الكف عند الإنسان والقرد، أكثر تشابهاً في تسلسل حموضها النووية. وفي جميع الأحوال فإن هذا الأمر وهو تشابه أو تطابق بنية بعض المورثات، لا يؤكد بحال من الأحوال قضية التطور كما انه لا ينفي بل يؤكد قضية التصميم. وإلا ومن خلال منظور تطوري مقارن: كان على العظاءة أن تكون اقرب الحيوانات في شكلها إلى الإنسان، حيث تطابق في عدد صبغياتها عدد الصبغيات عند البشر. هنالك ملاحظة أخرى مهمة وهي أن الكائنات الحية تقف على بعضها. فإذا ما اختلفت البنية الوراثية كلياً عن بعضها لتحولت النباتات و لحوم الكائنات المختلفة أو مشتقاتها إلى سموم لا يمكن أن تستفيد منها الكائنات الأخرى التي تقف عليها وبالتالي ماتت تلك المخلوقات جوعاً.

من الشائع عندما يتكلم خبراء التطور عن التطور أن يطرحوا موضوع البكتيريا كمثال : حيث أن بعض البكتيريا القولونية عندما تتعرض لظروف خاصة كتنقص نوع معين من الغذاء وليكن السكاكر التي تعتمد عليها، فإنه يطرأ نوع من التبدلات في مستوى الجين وتسلسل الحموض النووية فيها، بحيث تتولد جين جديدة تقوم بتوليد أنزيم يستطيع أن يقوم بتفكيك نوع جديد من المواد الغذائية. مستبدلاً في ذلك المورثة القديمة أو مستعيضاً عنها بمورثة جديدة(21) .

لنبدأ من تعريف الطفرة: الطفرة وفقاً لتعريف التطوريين، هي تغير عشوائي يطرأ على سلسلة من الحموض النووية يمكن في 10000/9999 من الحالات أن تكون خاطئة وفي 1/10000 أن تكون صحيحة تفضي إلى تغير إيجابي:

أما التحول في هذه البكتيريا فإنه تحول يطرأ دائماً على نوع محدد من الجراثيم وليس كل الجراثيم وهذا بالتأكيد أداء اختزالي واصطفائي. وهذا يعني أن لدى هذا الصنف أو الجنس من الجراثيم قدرة مميزة خاصة تدفعها

لإعادة ترتيب حموضها النووية وفق نظام محدد يتلاءم مع حاجاتها في أوقات الأزمات. وإلا كان من الضروري أن يحصل هذا التحول في جميع أنواع البكتيريا الأخرى وبنفس النسبة. أو أن يحصل هذا التحول عفويا لدى هذا النوع من البكتيريا، حتى في أوقات توفر الغذاء التقليدي. وحتى لو حصل هذا التحول في كل أنواع البكتيريا فان هذا لا يعني ولا يدل على التطور. لان ذلك يحصل كما يعرف علماء التطور في نفس الجنس والنوع، وهذا لن يفضي بأي حال من الأحوال إلى التطور إلى نوع جديد أرقى. فكل ما ابتدأنا به هو بكتيريا وما حصلنا عليه في النهاية لا يزال بكتيريا. يمكننا أن نشبه عمل هذه البكتيريا بالخلية الليمفاوية البائية عند الإنسان. فهي عندما تتعرض لنوع معين من المستضدات، تتمايز هذه الخلية بشكل متفرد لتقوم لاحقا بتوليد أصداد نوعية محددة لهذه المستضدات. وعلى الرغم من أن المورثات التي تقوم ببناء الأصداد تتوزع على ثلاثة كروموزومات منفصلة وهي الصبغيات 2,22,14 حيث تقوم كل واحدة منها بتوليد سلسلة محددة في تركيبه بنية الجسم الضدي (22). فان الشيء المثير للاهتمام هو أن هذه المورثات المختلفة الثلاث يتضافر عملها وفق آلية نوعية، تضي بها لاحقا إلى توليد وبناء نوع محدد ووحيد من الأصداد النوعية موجهة ضد هذا المستضد الخاص. فهي إذن لا تقوم احتماليا (وفق زعم التطور) بإجراء عدد لانهاية له من الاصطفافات التجريبية لسلاسل أجزاء الجسم الضدي المختلفة حتى تحقق البناء النوعي المناسب والمتلائم مع المستضد. و إلا كان لابد لهذه الأصداد لكي يتم بناؤها، أن تحتاج لأعداد لانهاية من الاحتمالات من أجل أن تصطف هذه السلاسل الثقيلة والخفيفة لتتقدم لنا هذا الضد النوعي. إن الاختزال في عدد حالات الاصطفاف في الجسم الضدي إلى واحد فقط وهذا بالتأكيد أداء اختزالي واصطفائي قطعي هو دليل أيضا يردف القواعد التي وضعها الدكتور ديمبسكي كدليل على التصميم الذكي. فهل نقول أن هذه

الخلية المصورية الناجمة عن تمايز الخلية البائية في كل مرة تفعل ذلك إنما تتطور. نحن نعلم وعلماء المناعة يعلمون انه منذ وجد المخلوق الذي اسمه إنسان، وجدت خلية ليمفاوية اسمها الخلية البائية. وان هذه الخلية منذ ذلك الوقت والى الآن لا تزال تقوم بنفس هذه الوظيفة. ولم نعلم في يوم من الأيام أن هذه الخلية البائية قد تطورت فأصبحت تؤدي وظيفة خليتين مختلفتين كالخلية البشرية والبائية مثلا في نفس الوقت. فكما أن توليد الأضداد لدى الخلية البائية كان ولا يزال جزءا من وظيفتها، فان هذه البكتيريا الحاوية على البلاسميد، أو أن فيروسات الأنفلونزا عندما تقوم بتغيير شكل مستضداتها على سطحها وتبدي تعديلات جينية في مورثاتها، فإنما هو أداء اختزالي واصطفائي وبالتالي فهي قدرة ممنوحة لها في أصل مورثاتها، وجزء من مكنونها الوراثي، لا علاقة للطفرة التي هي مسحوبة ومحسوبة على العشواء بأي حال من الأحوال في تغييرها أو تطويرها. إن الأشكال الجديدة لفيروسات الأنفلونزا التي تظهر بين الحين والآخر، يمكن تشبيهها بالسحنات المختلفة للبشر التي نراها. شكليا، البشر لا يتشابهون مائة بالمائة في أشكالهم فهل يقال أن كل إنسان بسحنة مختلفة هو إنسان قد تطور. أم انه من نفس جنس الإنسان. وكذلك الأمر في الجنس الواحد فإذا حصلت تحولات في بنية المورثات على المستوى الجزيئي وظهرت صفات شكلية جديدة، فإن هذا لا يعني أن طفرة ما قد حصلت، وإنما هنالك قدرة في أصل موروث النوع داخل مورثاته مبرمجة بطريقة ما لتقبل أو تقوم بتحول على المستوى الجزيئي، لتحقيق غاية معينة ضمن النوع الواحد، وتنتظر على المستوى الشكلي بظهور صفات جديدة لم تكن موجودة سابقا. يحدث هذا دون أن نخرج في ذلك عن نطاق النوع. وعلى هذا الأساس، فنحن نقبل في النوع الواحد بعض التحولات الشكلية التي تتبعها أو تصاحبها تحولات وراثية (وليس طفرات) على مستوى المورثات. وتفسير ذلك افتراضيا كما يلي:

عامل خارجي (بيئي) يؤثر على المستوى الخارجي لعضوية أو لخلية في الإنسان وبوجود استعداد خاص وراثي مسبق لديه ذو طابع اختزالي واصطفائي يمكن أن يدفع الخلية لاحقا إلى إحداث تغيرات في تسلسلها الوراثي بحيث تتلاءم بشكل ما مع هذا العامل البيئي. فالتكيف هنا هو تكيف موجه مبرمج كونه يختزل ويصطفي وليس عشوائيا عفويا فهو إذن مصمم تصميميا ذكيا.

كمثال على ذلك مرض الملاريا حيث يتطفل الطفيلي على الكرية الحمراء ويتكاثر فيها ويؤدي إلى تخريبها. لوحظ أنه في نفس الرقعات الجغرافية التي يحصل فيها الوباء، هنالك ترافق مع مرض آخر وراثي يصيب السلسلة بيتا في الخضاب يتم فيها استبدال الحمض الأميني (فالين) بالحمض غلوتاميك. علل ذلك من قبل أنصار التطور بسبب خلل في نقل المعلومة الوراثية، بحيث يصبح الخضاب المتكون هو خضاب منجلي S. كما لوحظ أن الكرية الحمراء التي تحمل الخضاب المنجلي هي خلية مقاومة لطفيلي الملاريا.

تم تفسير سبب المرض المنجلي الوراثي من قبل أنصار التطور على انه ناجم عن طفرة جيدة طرأت على مورثة الهيموغلوبين وذلك بقصد توليد حماية للبشر من فتك طفيلي الملاريا بالكريات الحمراء. خصوصا لدى هذه السلالات من البشر التي تحمل مورثات مزدوجة سليمة ومرضية مما يجعل هؤلاء الناس مقاومين للمرض ويعيشون حياة طبيعية. وهذا يدل برأي أنصار التطور على شكل ما من أشكال التطور العضوي.

أما من وجهة نظر أخرى، إن وجود كلا المرضين في نفس الموقع أولا قد لا يبرر أن يكون أحدهما وهو طفيلي الملاريا هو سبب لحدوث الآخر وهو المنجلية الوراثي. فهنالك أمراض أخرى وراثية مشابهة تستوطن المنطقة كالثلازيميا لم يتم ربطها بالملاريا. فربط الملاريا بالمنجلية بهذا الشكل، ليس ضروريا أن يكون ارتباط سبب ونتيجة، وإنما أن كلا المرضين تصادف أن تواجدا في نفس البقعة.

بالرغم من هذا، فإذا افترضنا أن طفيلي الملاريا له تأثير حقيقي في التسبب في إحداث تحول وراثي على المستوى الجيني، فإن هذا التحول إن حصل، فهو تحول موجه. فهو إذن، اختزالي ينادي التطور الذي في أساسه عشوائي. لقد بين البروفيسور (Maciej-Giertych): (3) أن الطفرات في حقيقتها تمثل تشوهات في المورثات وهي لن تفضي إلى أية إضافات تتسبب في حصول أي تطور في نوع الكائن الحي وهي إن وجدت كما في المثال السابق فستمنح الجمهرة الوراثية مورثة مشوهة سيقصر عملها الإيجابي فقط على عدد محدود جدا من الأفراد في حين أن عملها السلبي سيكون أكثر ضررا من خلال انتقال تلك المورثة عبر الأجيال والتسبب بين الحين والآخر بظهور الداء المنجلي الذي لاعلاج ناجع له. لقد تبين حديثا أن طفيلي الملاريا استطاع سريعا أن يحقق مقاومة للصادات الحيوية المختلفة في الوقت الذي عجز فيه عن أن يخترق تلك الخلية المنجلية بالرغم من الوقت الطويل المتاح له وهذا يؤكد لديها التصميم الذكي. يمكن تشبيه هذا التحول حينئذ، بما طرأ على البشر من تغير في سحتهم نتيجة معيشتهم في بيئات ذات ظروف مناخية مختلفة. فلو أخذنا حصرا لون البشرة، وهو مثال أكثر وضوحا ودلالة من المثال السابق الخاص بالملاريا نجد فيه تأثير البيئة على إحداث تغيرات على المستوى الجيني ضمن النوع الواحد، وذلك بهدف إحداث نوع من التلاؤم والتوازن التكيفي لدى العضوية الحية مع البيئة. فإننا نلاحظ لدى سكان خط الاستواء أن لون البشرة الداكن هو العلامة المميزة لجميع سكان خط الاستواء، سواء في الهند أو في إفريقيا أو في منطقة اليمن. وكلما اتجهنا إلى المناطق الأقل حرارة، نلاحظ أن الناس تتراجع لديهم هذه البشرة الداكنة، ويتدرج لون البشرة. تصبح البشرة سمراء ثم سمراء فاتحة ثم بيضاء كلما اتجهنا باتجاه الشمال. ينجم لون البشرة الداكن هذا عن زيادة تركيز صبغ الميلانين في الخلايا المولدة للصبغ في الجلد. ويزداد هذا الصبغ

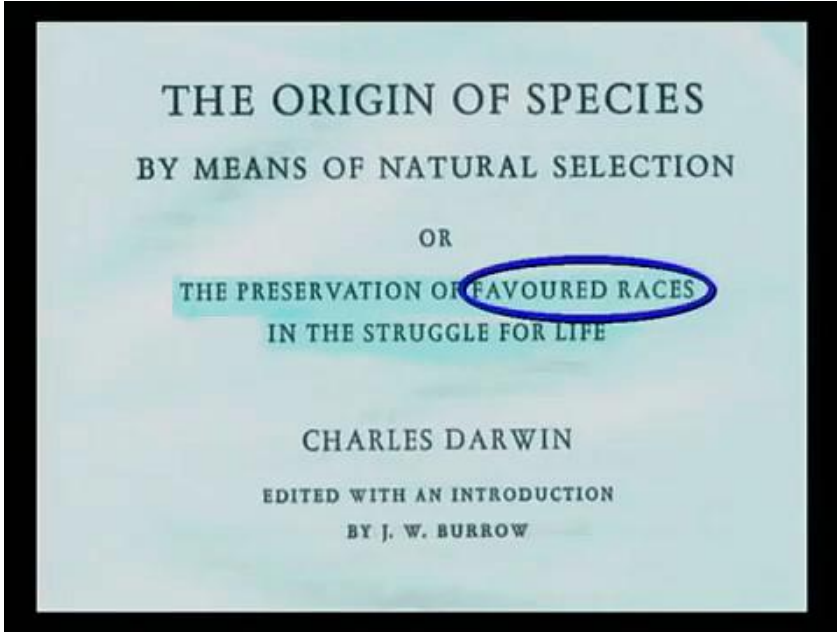
لدى البشر ذوي اللون الداكن ويقل لدى البشر ذوي اللون الفاتح. إن هذا الصباغ له دور وقائي من التعرض لأشعة الشمس والإصابة بالسرطانات الجلدية التي قد تنشأ عنها. لذلك نلاحظ تفشي سرطانات الجلد لدى البشر ذوي البشرة البيضاء الذين يتعرضون لأشعة الشمس بشكل لافت. في حين لا تظهر لدى ذوي البشرة الداكنة هذه النسب من السرطانات، بسبب الفعل الوقائي الذي يؤمنه لهم صباغ الميلانين في الجلد. ومعلوم أن انصبغ ولون البشرة هو عامل وراثي يرتبط بالمورثات. لكن هنالك أيضا ترافق بين الانصبغ وبين درجة الحرارة وحدة ضوء الشمس، بشكل يبدو معه أن الارتباط هنا هو ارتباط سبب فنتيجة. أي أن زيادة لهيب وحدة ضوء الشمس، يترافقان بشكل له دلالتة في تلون البشرة الداكن. ونقص وحدة الشمس يترافق بابيضاض لون البشرة. أما تفسير ذلك:

انطلاقاً من كون جميع البشر قد أتوا من أم واحدة وأب واحد، ومن ثم انتشروا في مختلف أنحاء الكون، فمن المنطقي الاستنتاج أن التغيرات التي طرأت على لون البشرة، قد نجمت لاحقاً، نتيجة للتباينات في الجمهرة الوراثية في المورثات وحدوث الانفصال، إضافة إلى تأثير العوامل المناخية والحرارية على الأجيال المتكاثرة من البشر. ومع وجود برمجة خاصة واستعداد وراثي خاص مسبق للتفاعل لدى هؤلاء البشر مع البيئة، بشكل يشبه عمل البلاسميد لدى البكتيريا في مقاومة بعض الصادات الحيوية في الظروف غير الملائمة. فانه قد طرأ شكل ما من أشكال التفاعل ما بين الظروف البيئية وما بين المورثات الخاصة بالصباغ، بحيث أتاح ذلك من خلال آلية اختزالية تكيفية إلى حدوث تعديلات على المستوى الجيني لمورثات الصباغ. أفضت هذه التعديلات الوراثية في حالة سكان المناطق الاستوائية إلى توليد صباغ الميلانين بتركيز مرتفع. بعكس سكان المناطق الباردة وقليلة حرارة الشمس حيث لا ضرورة للصباغ فقد أصبحت المورثات تفضي إلى إنتاج مقدار محدود أو معدوم من الميلانين. يدل هذا على أن العوامل

البيئية والاستعداد الوراثي يتفاعلان بطريقة معينة، بناء على استعداد وجاهزية مسبقة مبرمجة في أصل المورثات. إن هذا التعديل الذي طرأ على مورثات اللون هو تعديل اختزالي موجه ومنظم. ولا يمكن القول بأنه تعديل قد تم وفق آلية عشوائية (لأن العشوائية تقتضي حصول هذه التبدلات في أي مكان وتحت أي ظرف حراري. بينما الذي نلاحظه هو تعديل منظم اصطفاي اختزالي). إن هذا الشكل من أشكال التعديل الوراثي لا ينطبق على الإنسان فقط بل على جميع المخلوقات في هذا الكون ويفسر بوجود آليات تنظيم ذكي قد خططت لتلك التعديلات.

وعلى هذا الأساس، فنحن لا ننفي إمكانية حدوث تعديلات تكييفية منظمة إيجابية ليست عشوائية (لا يجوز تسميتها تطورا أو طفرة كما عرفها أنصار التطور نظرا لغياب صفة العشواء في آلية حدوثها) لدى المخلوقات الحية جميعها، على المستوى الجزيئي، ومن خلال استعداد في مستوى المورثات، مبرمج ومنظم، للتفاعل مع مختلف العوامل البيئية الحية أو غير الحية، بحيث ينعكس ذلك بشكل تغير طفيف وراثي على مورثة أو أكثر من مورثات النوع. وهذا يعكس تلاؤما خاصا من قبل العضوية الحية، مع العوامل البيئية المختلفة. لكن هذا التعديل بالتأكيد لن يتسبب في حدوث انفصال في الجنس، وتطور مخلوقات جديدة بدءا من قديمة، وإنما تبقى هذه التعديلات ضمن النوع الواحد لا تتعداه، وتحت تنظيم إرادة تصميمية مقتدرة عالمة، هي التي تضبط وتنظم هذه التحولات، وليس بصورة عشوائية فهي مورثات متخلقة . Orphan gens يبقى هنالك سؤال مهم جدا وأساسي وهو لماذا التطور ولماذا هذا التكالب على التمسك بهذه الفرضية التي تم نقضها في مرات لا تكاد تحصى كما جاء في (1,2,10,13) وكما أكده أعداد هائلة من أساطنة أنصار التطور أنفسهم لا يكادون يحصون. نتكلم عن المحاسن أو المساوئ التي قدمتها فرضية التطور:

- 1 - إن فرضية التطور تزعم أن الكون قد وجد بنفسه من خلال فعل ذاتي وقوى غير موجهة لا يد فيه لأي قدرة فاعلة ذكية خالقة، فهي إذن تمثل فلسفة تتنكر لوجود خالق قد خلق هذا الكون (6,23).
- 2 - بما انه ووفقا للتطور قد وجد الكون بدون موجد وبما أن الإنسان قد تطور بزعم التطوريين عن القرد فان هذا يسوغ للإنسان المعتقد لهذا الاعتقاد التفلت من الالتزامات والعمل بأهوائه بدون أي رادع أو معاقب (6,24).
- 3 - إن أحد أهم هذه الأهواء هو حب التسلط عند البشر. فان فرضية التطور تقدم المبرر الشرعي لشعوب و جماعات أو لأفراد رأينا ظهور العديد منهم في التاريخ القريب يدعون أنهم العرق الأصح والأكثر تطورا، ويقومون بتصنيف الأعراق من البشر حسب أهوائهم، ومن ثم يسوغ بعضهم لنفسه القيام بأعمال التطهير العرقي بناء على هذه الفرضيات الخاطئة.
- 4 - كما أن هذه النظرية تقدم مبررات فكرية وفلسفية لفرضيات فلسفية أخرى، كما هو الحال في النظريات الماركسية، التي اعتبرت أن فرضية التطور هي الدليل المادي الذي يقدم الدعم لهذه النظرية. يكتب ماركس في رسالته إلى Lassalle زاعما أن كتاب أصل الأنواع لدارون " مهم جدا وقد أوفى إلي بالأسس الطبيعية العلمية لصراع الطبقات عبر التاريخ. " (10) .
- 5 - إن مزاعم التطور تورث الأحقاد والضغائن بين مختلف الأعراق البشرية. فهناك من أفراد العرق الأبيض من يدعي انه هو الأكثر تطورا من بين العروق ولقد ورد في برنامج تلفزيوني تم تقديمه في أمريكا، قول المقدم لهذا البرنامج، أن القس جيسي جاكسون لن يكون سعيدا إذا ما علم أن البيض في أمريكا قد تطورا عن العروق الأفريقية من البشر. (هذا الكلام هو كلام ناجم عن قناعة ولم يكن يقصد به السخرية من التطور). التوضيح المرفق.



كلمة أخيرة : لقد أثبتت الأيام وخصوصا لدى الجنس البشري منذ أن ترك الإنسان أثره من خلال الكتابة منذ ما يزيد عن الخمسة آلاف سنة أن جميع العروق البشرية من دون استثناء كانت لها حضارات متقدمة في مراحل متعددة ومتفاوتة من مراحل التاريخ. وإن هذه الحضارات قد ساهمت بمجموعها، في صياغة ما نحن عليه الآن من ازدهار وتقدم ورخاء، وهذا ينفي بل وينسف فكرة التطور على الصعيد التطبيقي. فالإنسان أينما كان هو من سلالة هذا الإنسان عندما يقوم ببذل جهده وتحسين مؤهلاته وأدائه والعمل على تطوير ذاته، فانه مهما كان عرقه أو لونه، سوف يتفوق بصرف النظر عن العرق مهما كان هذا العرق. وخير مثال على ذلك العديد من الأفارقة الأمريكيين المتفوقين و أبناء شعوب شرق آسيا من هؤلاء المتميزين الذين حققوا ما حققوه من إنجاز، ليس من خلال مفاهيم التطور، و إنما من خلال جهودهم الشخصية ومواظبتهم وعملهم المتواصل وكدهم الدؤوب.

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - محمد شفيق ياسين، الرياضيات، 1984 - 1985 المطبعة الجديدة، دمشق صفحة 45.
- 2 - الدكتور مصطفى بابكر، الاحتمالات، المعهد العربي للتخطيط، الكويت
- 3 - أنيس كنجو، الإحصاء وطرق تطبيقه في ميادين البحث العلمي، مؤسسة الرسالة صفحة 34.

References: مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- 1- SCIENCE, EDUCATION, AND THE SUBJECT OF ORIGINS. Duane T. Gish. Impact. September 2004.
- 2- Phillip Johnson, "Defeating Darwinism by Opening Minds", Intervarsity press: Downers Grove (USA), 1997 p:88-89
- 3- Professor Maciej Giertych (M.A., Ph.D., D.Sc.) head of the Genetics Department, Polish Academy of Science, at the Institute of Dendrology, Kornik, Poland – in CEN, Vol. 17, No. 3, 1995 p:48
- 4- Walter J. Bock (Department of Biological Science, Columbia University) in Science, Vol. 164, May 1969 p:684.
- 5- In W. Smith, "Cosmos and Transcendence: Breaking Through the Barrier of Scientific Belief", Tan, Books & Pub: Rockford (USA), 1984 p:168.
- 6- William B. Provine (Professor of Biological Sciences, Cornell University), Origins Research, Vol. 16, No. 1/2, 1994 p:9

- 7- Ian T. Taylor, "In the Minds of Men" (3rd edition), TFE Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:279
- 8- Donald H. Sanders. Statistics. A First course, Fifth Edition. McGraw Inc. 1995 U.S.A Page-121
- 9- Weintraub, Douglass, Gillings. Biostats. Data analysis for dental health care professionals. CAVCO Inc., Chapel Hill, N.C. U.S.A page-268.
- 10- Duane T. Gish, Ph.D., Gish Responds to Critique. Published in the *Skeptic*, Vol. 5, No. 2, 1997, pages 37-41 (*Skeptics Forum*)
- 11- Peter Cheeseman SRI International 333 Ravenswood Ave., Menlo Park, California 94025
- 12- Science News, Dec 15, 1990 p:380)
- 13- Dr Duane T. Gish "Evolution - The Fossils Say No!", Creation-Life Pub: San Diego (USA), 1978 p:102).
- 14- E.R. Leach, Nature 293:19, 1981.
- 15- Stephen Jay Gould (*Natural History* 86:22-30, 1997)
- 16- Stephen Jay Gould *Natural History*, 86(5):13, 1977
- 17- Duane T. Gish, PhD. The Fossil Record is Incompatible with Evolution. THE SCHWARZ REPORT / MARCH 2007 Volume 47, Number 3.
- 18- Soren Lovtrup, Darwinism: The Refutation of a Myth, 1987, p. 422.
- 19- 32 Fairbanks, 2007, pg. 130.
- 20- <http://www.indiana.edu/~ensiweb/lessons/p.stdnt.pdf>.
- 21- Barry G. Hall and Daniel L. Hartl, "Regulation of Newly Evolved Enzymes," *Genetics*, vol. 76 (1974), pg. 391-400; Miller, 1999, pg. 145-147.
- 22- Catherine Sheehan, Clinical Immunology Principles and Laboratory Diagnosis. J. B. Lippincott Company. Philadelphia, Pennsylvania. U. S. A . 1989. p-37

23- Duane T. Gish, Ph. D. The Origin of Life THE
SCHWARZ REPORT / MARCH 2007 Volume 47, Number
3.

24- Richard Lewontin, “Billions and billions of demons”,
The New York Review, 9 January, 1997

-3- النظائر المشعة وقياس أعمار المستحاثات

يعتمد التطوريون في حسابهم لعمر الأرض وعمر الكائنات المختلفة على المواد المشعة، حيث يقومون بقياس مقدار التحرر الشعاعي للمواد المشعة المندخلة في الجمامد أو الكائن المدروس بالاستناد إلى نصف العمر الافتراضي لأي مادة مشعة. ومن خلال تقدير ما تبقى محتبسا من المادة المشعة يقومون بتقدير أعمار الجمامدات أو الكائنات.

هذا القياس يمكن أن يكون عرضة لعدة أخطاء من خلال ما يلي:

1 - هم يفترضون أن مقدار المادة المشعة المندخلة في الجمامدات أو الكائنات التي يراد تحديد أعمارها عند بدء نشأتها معلوم ومحدد.

وهذا الافتراض غير دقيق. فليس هنالك دليل يؤكد أو ينفي أن هذه المادة المشعة قد اندخلت لاحقا ولا دليل يدل على تقدير معلوم لمقدار المادة المشعة المندخلة عند تنشؤ الكائنات كما لا يمكن قياس التركيز الأولي للمادة الناجمة عن التفكك أثناء البداية وهذا يعني أن كل شيء في البداية يخضع للتكهنات وليس للحقائق.

2 - وهم يفترضون في حساباتهم انه بعد تنشؤ الكائنات المدروسة لا يحصل أي اندخال أو تحرر نوعي استثنائي للمواد المشعة من هذه الأنظمة: (الكائنات والجمامدات المدروسة).

وهذا افتراض مشكوك بأمره إذ لا يمكن منطقيًا الافتراض بان هذه الكائنات هي كائنات موجودة في ظروف مخبرية ويتم دراستها وفقا للشروط المخبرية وذلك من خلال تثبيت كافة المتغيرات والعمل على متغير واحد.

3 - وهم أيضا في حساباتهم يفترضون أن نسبة تفكك المواد المشعة

هي نسبة ثابتة منذ حصول التكون إلى تاريخ الحساب.

وهذا أمر غير دقيق ، حيث أن تفكك المواد المشعة لا يكون دائما ثابتا بل انه قد يختلف من وقت لآخر بحسب العوامل الخارجية والداخلية المتعلقة بالمادة المشعة وتأثير العوامل المختلفة الخارجية عليها وباختلاف الأزمنة. وبالتالي فان افتراض ثبات نسبة التفكك الشعاعي هو افتراض مشكوك بصحته.

قدم أحد العلماء المثال التالي التوضيحي كموجه لما يعترض حسابات أعمار المستحاثات من عقبات: لنفترض وجود شمعة مشتعلة موجودة أمام مسطرة وطلب إلينا معرفة الوقت الذي انقضى على اشتعال تلك الشمعة دون تقديم معلومات إضافية. أول شيء نحتاجه هو معرفة طول الشمعة عند بدء إشعالها، ثم تاليا معرفة الزمن النسبي لاحتراق تلك الشمعة ومقدار النقص في طولها بعامل الزمن والاحتراق. ثم ثالثا التأكد من أن الاحتراق هو عملية منتظمة بعامل الوقت. كل ذلك هو أمثلة يمكن مقارنتها باستخدامات المواد المشعة في تحديد عمر المستحاثات. فنحن نجهل متى اندخلت المادة المشعة ونجهل أيضا الدورة الإشعاعية في أي مرحلة كانت أثناء اندخالها كما نجهل ما إذا كانت المادة المشعة قد تعرضت لأسباب وعوامل مجهولة سببت عدم انتظام تحررها.

بناء على ماسبق فإن بعض الافتراضات الأولية للطريقة التقليدية المتعلقة بثابت الدورة الزمنية لتحويل الفلزمن/ إلى Rb-Sr ينبغي أن يتم تعديلها . وان ثابت الدورة الزمانية لتحويل الفلزات لا يمكنه وبشكل مؤكد تقديم معلومات مقبولة عن عمر أي نظام جيولوجي. حتى ولو تم توكيده باستخدام الطريقة الإحصائية الخاصة بجودة الانطباق (Goodness of fit) للحصول على النقاط البيانية للمعطيات في التجربة، من خلال رسم النقاط البيانية لتحويل المعدن Sr 87/ Sr 66 مقابل رسم مخطط التحويل Rb87/Sr 66. فان هذه

المشكلة لا يمكن أن تحل، خصوصا عند تقدير معيار الوقت الترقيمي. إن مثل هذه التساؤلات يجري طرحها أيضا عند تطبيق التحول المعدني من/إلى Sm-Nd أو أثناء استخدام طريقة ثابت التفكك الشعاعي لتحويل اليورانيوم إلى الرصاص U-Pb . 1*

إن السلوك المتشعب لهذه النظائر المشعة بالإضافة إلى ثابت التفكك الشعاعي المتعلق بها، قد بينت وبوضوح، أن تلك الأعمار الجيولوجية التي تم اشتقاقها منها، يمكن اعتبارها من الناحية الجيولوجية وبدون أي استثناء، لاغية لاقيمة لها. وعلى هذا الأساس فمهما كان العنصر المشع المستخدم في تقدير الأعمار الجيولوجية سواء اليورانيوم - الثاليوم - أو الرصاص فان نظام القياس الشعاعي هذا هو نظام غير مقبول. 2*

ينبغي علينا إذن، ألا نصاب بأية صدمة بعد الآن، من تلك المزاعم التي تقول بان التقدير القياسي الشعاعي لتحويلات الفلزات المشعة من وإلى U-Th-Pb لتحديد العمر الجيولوجي للأرض، ومن خلال ما يمكن تسميته بالعمود الجيولوجي قد برهن وفقا لتلك المزاعم، على أن عمر الأرض والطبقات الرسوبية والمستحاثات فيها، يعود إلى أحقاب مغرقة سحيقة من الزمن. 4.5 بليون سنة* 3

فلقد قدمت الدراسات باستخدام اليورانيوم المشع عمرا للأرض يقارب الأربع مليارات وخمسة مائة مليون عام. هذه المادة المشعة أثناء تفككها يتحرر منها الهيليوم المشع في الهواء. لذلك ينبغي أن تكون نسبة الهيليوم المشع في الهواء متناسبة مع مقدار التفكك الذي طرأ على اليورانيوم في الأرض. لكن ثبت من خلال الدراسات أن عمر الأرض المقدر وفقا لمقدار الهيليوم المشع في الهواء لا يتعدى المائتي ألف عام. إن التناقض بين القيمتين يدل على مدى الخلل القياسي في استخدام المواد المشعة لقياس العمر الحقيقي لمختلف المكونات الجيولوجية. مثل هذا الخلل تم

استقصاؤه من خلال تجارب عديدة استحصلت فيها عينات لصخور تولدت حديثا من براكين ناشطة طلب من مختبرات متنوعة تقدير أعمارها وجاءت التقارير تشير إلى أعمار تتعدى الملايين من السنين لتلك الصخور. ومن المؤسف له ، انه ولمدة جاوزت العشرين عاما ، فقد عرف أن أنظمة التفكك الشعاعي وتحول Rb- Sr ، إضافة لنظام تفكك K-Ar كانت تقدم " أعمارا" متضاربة للرسوبيات البازلتية المقاسة، وما ترافق معها من بقايا مستحاثات من وحيدات الخلايا، ظهرت في الشقوق والحواف الصخرية والحواجز في المتنزه الشهير في أمريكا (Grand Canyon)، ومع ذلك فقد استمر الجيولوجيون في استخدامها. *4. من المعلوم أيضا أن الهيليوم مادة سريعة التحرر والزوال لذلك فإن تحررها أثناء تفكك اليورانيوم المشع منذ بلايين السنين سوف يكون قد نضب منذ أمد بعيد فيما لو كان التفكك الذي طرأ على اليورانيوم قديما وكما يزعمون منذ بلايين من السنين. المثير للاهتمام في الموضوع أن العديد من العينات لفلز جوهر الزيركون والتي قدرت أعمارها ببلايين السنين وفقا لتفكك اليورانيوم فيها لاتزال تحتوي على مقادير معتبرة من غاز الهيليوم تفوق كثيرا المقادير المتوقعة، مما يؤكد أن تلك العينات هي بعمر افتراضي حديث لا يتعدى بضعة آلاف من السنين.

من الواضح بان طرق القياس الشعاعية لا يمكن اعتبارها الطرق المثالية الصائبة في تقدير الأعمار الجيولوجية كما زعم من قبل إن الشك المتأصل في التقدير للأعمار الجيولوجية بالقياسات الشعاعية يعتبر مقلقا والى حد بعيد لكل من الجيولوجيين وأنصار التطور على حد سواء... *5

وعلى ضوء ما تم التعرف إليه حول طريقة الكربون المشع وآلية استخدامها ، فإنه قد ثبت أن عامل الزمن لتفكك الكربون المشع هو 5600 عام. وعلى هذا فإن الكربون المشع لا بد أن يكون قد زال منذ أزمنة سحيقة لدى تلك الحيوانات التي

تم تأريخ عمرها باستخدام الكربون المشع نفسه كالدائنصورات ببضعة مئات الملايين من السنين. إن وجود بقايا الكربون المشع لدى تلك الحيوانات يؤكد أن أعمارها لا تتعدى الآلاف من السنين. من المذهل ما نراه من أن كثيرا من المؤلفين يلجؤون إلى الاستشهاد بالمواد المشعة كبرهان على ما يعتقدونه هم.... فالتواريخ والأعمار المقبولة بالنسبة لهم هي في الحقيقة أعمارهم يختارونها كما يحلو لهم. " إن هذا الشيء المريب لا يختلف عن الخزعبلات التي كان يشعوذ بها كيميائيو القرن الثالث عشر. أما التواريخ المتعلقة بأعمار الأرض والكائنات في حد ذاتها، فهي تعتمد في تقديرها، على أية مقالة مسلية تقرؤها وأي فلز تستخدمه وترغب في أن تستند إليه".*6

وفي الحقيقة، فإن عمر الأرض بدقة غير معروف، لأنه عادة ما يتم قياسه بطريقة غير مباشرة، ويعتمد العمر المقدر على أية طريقة لا مباشرة تم اللجوء إليها لحساب العمر. أما الطرق المختلفة المستخدمة فهي:

- 1 - التراكم الزماني للألمنيوم في المحيطات من الأنهار
عمر الأرض 100 عام
- 2 - التراكم الزماني للثيتانيوم في المحيطات من الأنهار
عمر الأرض 160 عام
- 3 - التراكم الزماني للمغنيز في المحيطات من الأنهار
عمر الأرض 1400 سنة
- 4 - انتقال الهيليوم -4 إلى الغلاف الجوي
عمر الأرض 1750 - 175000 عاما
- 5 - تفكك الكربون -14 في أشجار الحقبة ما قبل الكامبري
عمر الأرض 4000 سنة

- 6 - التراكم الزمني للسيليكون في المحيطات من الأنهار
8000 سنة
عمر الأرض
- 7 - التراكم الزمني للنيكل في المحيطات من الأنهار
9000 سنة
عمر الأرض
- 8 - انتقال اليورانيوم من الأنهار إلى المحيطات
10000 - 100000 سنة
عمر الأرض
- 9 - التراكم الزمني للزئبق في المحيطات من الأنهار
42000 سنة
عمر الأرض
- 10 - التراكم الزمني للنحاس في المحيطات من الأنهار
50000 سنة
عمر الأرض
- 11 - التراكم الزمني للباريوم في المحيطات من الأنهار
48000 سنة
عمر الأرض
- 12 - تفكك النظام المغناطيسي
100000 سنة
عمر الأرض
- 13 - تكون الكريون -14 في النيازك
100000 سنة
عمر الأرض
- 14 - تراكم مادة الكربونات في المحيطات
100000 سنة
عمر الأرض
- 15 - ارتشاح مادة الكلور من القارات
مليون عام
عمر الأرض
- 16 - تراكم الكالسيوم في المحيطات
مليون عام
عمر الأرض

17 - تراكم مادة البوتاسيوم في المحيطات

عمر الأرض

11 مليون عام

7*, 8* , 9* , 10* , 11* , 12*

يمكن الاستنتاج مما تم تقديمه أعلاه، أن تقدير أعمار المستحاثات والصخور باستخدام النظائر المشعة هو مثير شك حقيقي إن لم يكن خطأ واضحاً. وعليه، فلا ينبغي الاستناد إلى تلك التقديرات التي تمت أو اعتبارها تقديرات صحيحة والاعتماد عليها في بناء فرضيات تستند إلى تلك الأعمار خصوصاً وأن أنصار التطور يميلون دائماً إلى تقديم تلك المقاييس التي تدعم افتراضاتهم مثل اليورانيوم المشع ويتغاضون عن طرائق أكثر دقة ودلالة في إجراء التحديد التقريبي للأعمار. فعلى سبيل المثال إن أي مادة حيوية مثل البروتين أو الـ DNA لا يمكنها علمياً أن تبقى ثابتة دون تفكك حتى في الظروف المثالية من التجميد خلال مدة تفوق المائة ألف عام. ومن المعلوم أن تقدير أعمار الديناصورات حين انقرضت وفقاً لأنصار التطور قد تجاوز الملايين الكثيرة من السنين. لكن المثير هو ماتم اكتشافه حديثاً من وجود مستحاثات للديناصورات في سيبيريا لا تزال تحتفظ في تركيبها ليس فقط بالبروتينات والأحماض النووية سليمة غير متفككة، بل وبعض العناصر والمكونات الدموية كالكريات الحمراء. مثل تلك الاكتشافات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن عمر تلك المخلوقات لا يتعدى بضعة آلاف من السنين. وفي مجموعتنا الشمسية فإن المذنبات تمثل كتلاً ثلجية متوهجة نشأت مع نشوء الأرض. وهي لا يمكن أن تكون قد نشأت منذ بلايين السنين لأن الوقود اللازم لتوهجها لابد أن يتبدد خلال بضع آلاف من السنين. وهو عمرها الحقيقي. وهذا يطابق أن الأرض حديثة النشوء.

وعلى أية حال فقد اختار أنصار التطور للأرض وللكون أعماراً سحيقة تصل لعدة بلايين من السنين وذلك من أجل دعم فرضيتهم في التطور التي تستند إلى أن

الكون وما فيه من المخلوقات قد نشأ بواسطة قوى غير موجهة عن طريق العشواء و قوانين الإحصاء والاحتمالات المتعلقة بها. لكن ربما يعيدون النظر في مزاعمهم حول بلايين السنين لعمر الأرض إذا ما تبينوا أن دراساتهم في الاحتمالات تستوجب حتمية وجود تنوعات من الأجناس والمخلوقات غير منتهية العدد تتجاوز حدود الترليونيات قد عمرت ولاتزال سطح هذه الكرة الأرضية وذلك نسبة إلى زيادة عامل الزمن والإغراق في القدم ، بحيث أنه كلما زاد عمر الأرض قدما وفق توقعاتهم كلما تطلب الأمر زيادة في التنوع العددي لأجناس المخلوقات المختلفة وفق متواليات حسابية ترتفع بشكل مطرد مرتبطة مباشرة بعامل الزمن. إن العدد المحدود جدا من أنواع الكائنات الحية التي نراها الآن أو من خلال المستحاثات المكتشفة والتي يفترض أن تتجاوز التريليونات وفقا لمعطيات التطور والعشواء والاحتمالات ولا تتعدى حقيقة حدود مئات الآلاف من المخلوقات المتنوعة الحية لايدع مجالاً للشك بل ويسقط كل ما يشير إلى عمر الكون السحيق الذي يتجاوز عدة بلايين من السنين بل ويشير علميا وفقا لتلك المتواليات الحسابية في تنوع الأجناس أن عمر الأرض لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين. ربما على أنصار التطور بدلا من الاستعانة باليورانيوم المشع لتحديد عمر الأرض الاستعانة بالتراكم الزمني للسيليكون أو النحاس في المحيطات من الأنهار، لأن نتائجها أقرب إلى التقدير الخاص بالتنوع للمخلوقات المختلفة المدروسة والمقاسة وفقا للملاحظة العلمية.

Creationist's interpretation	Fact	Evolutionist's interpretation
It formed quickly by lots of water and a little time	Grand Canyon exists	It formed slowly by a little water and lots of time
The layers are from the flood of Noah	The earth has layers of sedimentary rock	The layers form slowly over millions of years

مراجع البحث باللغة الانكليزية

- 1- Y.F. Zheng, "Influence of the Nature of the Initial Rb-Sr System on Isochron Validity", Chemical Geology, Vol. 80, 1989 p:14
- A.A. Snelling, "U-Th-Pb 'Dating': An example of False 'Isochrons', *Proceedings of the Third International Conference on Creationism*, Technical Symposium Sessions, 1994 p:503.
- S.A. Austin & A.A. Snelling, "Discordant Potassium-Argon Model and Isochron "Ages" for Cardenas Basalt (Middle Proterozoic) and Associated Diabase of Eastern Grand Canyon, Arizona", *Proceedings of the Fourth International Conference on Creationism*, Technical Symposium Sessions, 1998 p:35
- Dr William D. Stansfield (Instructor of Biology, California Polytechnic State University) in his book "The Science of Evolution", Macmillan: New York, 1977 p:84
- 6- Robert E. Lee, "Radiocarbon: Ages in Error" in *Anthropological Journal Of Canada*, Vol. 19, No. 3, 1981 p:9
- 7- Nature, Vol. 179, January 26, 1957 p:213
- 8- Journal of Geophysical Research, Vol. 77, No. 2, 1972 p:367-368
- 9-Melvin A. Cook, "Prehistory and Earth Models", Max Parrish: London, 1966
- 10- J.P. Riley & G. Skirrow (eds), "Chemical Oceanography" (Vol. 1), Academic Press: New York, 1965 p:164
- 11- Dudley J. Whitney, "The Face of the Deep", Vantage Press: New York, 1955

12-Theodore W. Rybka, "Geophysical & Astronomical
Clocks", American Writing & Pub. Co: Irvine (USA), 1992

-4- الجيولوجيا والتطور:

يفترض التطوريون أنه خلال الأحقاب السحيقة من الزمن، أخذت الطبقات الرسوبية بالترسب بشكل متدرج وفقا للأحقاب التاريخية، بدءا من الأقدم ومتسلسلة نحو الأحدث، وهي تضم بباطنها أشكالاً من المستحاثات التي عاشت في تلك الفترة وعاصرت تلك الطبقات الرسوبية. لذلك فإن هذه الطبقات، ومن خلال الاستناد إلى التحولات التطورية الطارئة، وفق الفرضيات التطورية، يتم تحديد هويتها من خلال المستحاثات التي تميز تلك الطبقة. وعلى هذا الأساس، فإن الطبقات الكامبرية تم تمييزها من خلال ثلاثيات الفصوص التي وجدت فيها، حيث استمرت لمدة ثمانين مليون عام بدءاً منذ ستمائة مليون سنة خلت. يعتقد جيولوجيو التطور، أن تلك الطبقات الرسوبية قد ترسبت خلال الفترة المسماة باسم (الحقبة الكامبرية). وبالإضافة إلى أشكال ثلاثيات الفصوص، فقد ترافقت تلك الحقبة مع الاسفنجيات والديدان وقناديل البحر وأشكال أخرى للافقارية. لقد كانت تسبق هذه الحقبة حقبة أخرى، هي الحقبة ما قبل الكامبرية، والتي شوهدت فيها المستحاثات متعددة الخلايا، لكن لم يشاهد في هذه الحقبة أي أشكال يفترض أن تكون أسلافاً لمستحاثات الكائنات التي شوهدت في الحقبة الكامبرية. تلت الحقبة الكامبرية، الحقبة الأورديفيشية والحقبة البنسلفانية و الحقبة الميسيسيبيية والحقبة الديفونية. وعلى الرغم من عدم مشاهدة أي من أشكال الأسماك في الحقبة الكامبرية فقد ظهرت الأسماك فجأة في الحقبة الأورديفيشية بينما ظهرت الحيوانات البرمائية في الحقبة الديفونية ولم تشاهد في أي من الحقب الأخرى السابقة. ثم ظهرت الزواحف ومن ثم الطيور وبعد ذلك الثدييات.

لقد تم ترتيب هذه الأحقاب التاريخية وفقا للرسوبيات التي تحتوي عليها، بحسب التسلسل الافتراضي لتطور الكائنات وفق مزاعم أنصار التطور، من الكائنات اللافقارية إلى الأسماك إلى البرمائيات إلى الزواحف إلى الثدييات إلى الرئيسيات ومن ثم إلى الإنسان. وسمي هذا الترتيب باسم العمود الجيولوجي. فإذا ما اعتبر هذا التسلسل مضبوطا، فإنه ينبغي أن يكون متدرجا من الأقدم إلى الأحدث ما لم تحدث كارثة كبيرة تفضي إلى قلب هذا التدرج. لكن ما تمت ملاحظته هو وجود أعداد كبيرة ومتعددة من هذه الترتيبات المقلوبة وفي أماكن متنوعة في العالم، بحيث تجلس الطبقات المفترض أن تكون الأقدم، مضطجة أعلى الطبقات الأحدث. لقد تسبب ذلك في أن يعيد أنصار التطور من الجيولوجيين النظر في افتراضاتهم، مفترضين بان (عيوبا اندفاعية) تسببت بهذه الإشكالية. تزعم هذه الفرضية الجديدة لأنصار التطور، بان جزءا من القشرة الأرضية قد اندفعت للأعلى ومن ثم اندفعت جانبا بشكل طية رسوبية. بعد ذلك تآكلت الطبقة السطحية بفعل عوامل التعرية، وبالتالي ظهرت الطبقة السفلية الأقدم فوق الطبقة الأكثر حداثة والتي ظهرت تحتها. أما الجيولوجيون الذين يعتقدون بالخلق، فقد هاجموا تلك الفرضية بالاستناد إلى أسس فيزيائية واختلال في الشواهد الملاحظة عمليا، والتي لا تسمح بإمكانية قبول تلك الفرضية التطورية إلا في حال كون الفرضية المتعلقة بحدوث طيات جانبية، قد حدثت على مستوى محدود من الحالات. أما عندما يكون الأمر على مستوى أشمل، فإن تكرر وجود انقلاب في الطبقات من خلال ملاحظات كثيرة، دون وجود مؤشر على هذه الانطواءات، سوف يفضي إلى إلغاء مفهوم العمود الجيولوجي برمته.

If the
geologic
column
existed in
one
location it
would be
**100 miles
thick!**

Biology P. 385
A Beka Books



الشنوذ المستحاثية :

عندما تشاهد نوعا من المستحاثات في طبقة لا يمكن وفقا للاعتبارات التطورية أن تكون موجودة أصلا فيها ، فان ذلك يسميه أنصار التطور باسم الشنوذات المستحاثية. وفي هذه الحالة، فان أنصار التطور يهملون الموضوع ناسبين ذلك إلى انه شكل من أشكال الشنوذات المستحاثية. وبخلاف ذلك، فان بعض العلماء من الخلقيين قد قدموا العديد من التقارير بهذا الشأن ومن أمثلة ذلك: لقد قام البروفيسور ويلبرت روش *1 بدراسة على آثار بصمات أقدام بشرية وجدت في ولاية كنتاكي. لكن الموضوع اخذ اهتماما اكبر حين عثر على آثار بصمات أقدام بشرية مترافقة مع بصمات أقدام ديناصور في الصخور الكلسية العائدة للحقبة كريتيشياس في منطقة نهر بالوكسي قرب (غلين روس) في تكساس . قدم البروفيسور تقريره بان هذه البصمات البشرية كانت في بعض

الأحيان حقيقية. لكن لم يثبت كون هذه البصمات المشاهدة مجاورة لبصمات أقدام الديناصور حقيقة ذات أصل بشري، مما أدى إلى سحب الفيلم الوثائقي الذي كان قد صور في البداية حول تأكيد الموضوع*2.

قدم (Burdick Clifford) *3 تقريراً عن اكتشاف هيكلين عظميين لكائنين بشريين مدفونين في الطبقة (Cretaceous) في سبخة ديكوتا (والتي يفترض أنها بعمر 100 مليون عام) قرب (Moab, Utah) أثناء التنقيب في منجم عن النحاس، وقد استنتج (Burdick) أن العظام قد كانت بالتأكيد في ذلك الموضع، لغياب أي دليل يشير إلى أن الصخور قد زحزحت أو طرأ عليها أي تغيير. لذلك فهو يعتقد أن هذه الهياكل قد تم دفنها في هذا الموقع أثناء ترسب الحجارة الرملية في الموقع خلال الفترة العائدة إلى حقبة (Cretaceous). مما يعني أن تلك الحقبة غير مغرقة في القدم كما يزعم أنصار التطور. لكن التطوريين يختلفون معه في هذا التحليل ويعتبرونها شذوذاً مستحاثياً.

قام الدكتور (Gish) *4 لاحقاً بصحبة البروفيسور (Wilbert Rusch) بمعاينة الهياكل العظمية المكتشفة والتي تم حفظها في جامعة (Utah). وتبين لهما أن تلك الهياكل قد دفنت من دون شك عميقاً في تلك الطبقات كما ذكر (Burdick) في تقريره. وعلى الرغم من أنه لا يوجد ما يدل على أي تغيير أو تعديل في الموقع، فقد بقي لدى العلماء افتراض احتمال أن يكون الهيكلان قد وصلا إلى تلك الأعماق من خلال شق قد طرأ على التربة.

قام العالم هارولد سلاشار*5 من جامعة تكساس بإجراء اختبار على الاندفاع المفترض في جبال فرانكلين قرب منطقة الباسو. حيث لوحظ وجود صخور كلسية تعود للعهد الأوردوفيشي (بعمر يقارب 450 مليون عام) إلى الأعلى من طبقة تعود للحقبة الكريتيشي (والتي يفترض أنها تعمر 130 مليون سنة) لكن البروفيسور والجيولوجيين المرافقين له لم يجدوا أي دليل على

وجود اندفاعات أو طبقات في الموقع تشرح هذا التبدل في تراكب الطبقات. وهذا يعني بطبيعة الحال وفقا لسلاشار أن تلك الطبقات قد نشأت وتدرجت وفق ماهي عليه عند اكتشافها دون أي تأثيرات لاحقة غيرت من تراكب الطبقات. وهذا يطرح تساؤلا حول مصداقية العمود الجيولوجي.

ويليام مايستر*6 عندما كان يبحث في منطقة انتيلوب سبرينغز قرب دلتا في ولاية يوتا، عثر على آثار بصمة صندل بشري في شق صخرة احتوت أيضا على مستحاثات لثلاثيات الفصوص. فإذا صح هذا الأمر، فإن هذا يعني أن هذه البصمة قد تشكلت، عندما كانت ثلاثيات الفصوص حية. لكن ثلاثية الفصوص من المفترض أنها انقرضت قبل 500 مليون عام من ظهور الإنسان. إن علماء المستحاثات من أنصار التطور لم يعيروا هذا الموضوع أي اهتمام معتبرين إياه شذوذا مستحاثيا. هذه الملاحظة تشير إلى نقطتين مهمتين: الأولى أن البشر قد عاصروا ثلاثيات الفصوص فإن صح ذلك فهذا يعني أن ثلاثيات الفصوص ليست مغرقة في القدم كما يزعم أنصار التطور. والثانية هي أن وجود الإنسان بجوارها في فترة واحدة سينفي أية إمكانية للتطور كما يزعم أنصاره حيث المعقد والبسيط قد جاء في حقبة واحدة معاصرا بعضه بعضا.

في عام 1956 -57 قام الدكتور لاميرتز*7 بزيارة موقع يسمى اندفاعات لويس في المتنزه الوطني (Glacier) حيث تمتد اندفاعات لويس من 15 -30 ميل. لقد افترض أنصار التطور سابقا أن طبقات مكونة من 1000 قدم من الصخور العائدة للحقبة البريكامبرية بعمر 600 مليون عام قد دفعت إلى الأعلى من طبقات من الزيت الحجري التي تعود لحقبة الكريتشياس، والتي يقدر عمرها ب 100 مليون سنة. قام الدكتور لاميريتس بدراسة موقع الاتصال مع الجبل الأصلي ومن ثم قدم تقريرا يدل على أن جميع الدلائل تشير إلى أن هذا التموضع هو تراكم ناجم عن طبقات رسوبية عادية أكثر مما يدل على وجود عيب على

شكل طية اندفاعية*8. لقد قدم العديد من العلماء تقارير مشابهة. فإذا ما صحت تقارير هؤلاء العلماء، فإن هذا يعني أن مفهوم العمود الجيولوجي كتسلسل متدرج للأحقاب الجيولوجية بالكلية، هي دراسة مشكوك بأمرها.

علم المستحاثات الخاص بغبار الطلع والابواغ :

قام العالم Burdick*9 10* , بإجراء دراسة حول هذا النوع من المستحاثات في منطقة (Grand Canyon) .والذي أشار الدهشة في دراسته، هو اكتشافه لوجود حبيبات لنباتات في الطبقات الرسوبية التي يفترض أنها أقدم بمئات الملايين من السنين من الفترة التي كان يعتقد أن النباتات قد بدأت تظهر فيها إلى الحياة على سطح الأرض. لقد أبلغ عن اكتشافه لنباتات صنوبرية ونباتات مزهرة في الحقبة الكامبرية وما قبل الكامبرية. هذه الحقب التاريخية والتي يعتقد التطوريون انه، باستثناء بعض الكائنات البحرية المتواجدة مثل اللافقاريات كقناديل البحر والإسفننج، فهي خالية من أية نباتات أو كائنات حيوانية، حيث يعتقد التطوريون أن تلك النباتات و الكائنات الحيوانية قد ظهرت لاحقا. وقد ظهرت تقارير كثيرة تشير إلى ملاحظة وجود نباتات صنوبرية في الصخور العائدة للحقبة الكامبرية. وحتى أشجار الغابات، قد أبلغ عن وجودها في صخور الحقبة الكامبرية. من الواضح أن مثل هذه الاكتشافات تدحض مزاعم التطوريين حول عدم وجود أية نباتات في العهد الكامبري، وان النباتات قد تطورت وظهرت للوجود لاحقا . كما أن هذه الاكتشافات تتطابق مع الحقائق العلمية التي ترى ضرورة وجود النباتات الخضراء في مراحل مبكرة من الحياة لأنها ستساعد على تحرير الأوكسجين في الغلاف الجوي الذي هو ضروري لتنفس وحياة كل المخلوقات. هذه الحقائق التي أتينا عليها، لا تتواجد في كتب البيولوجيا والجيولوجيا وعلوم المستحاثات، لذلك فهي خافية على أكثر

الاختصاصيين في هذه الحقول. وينبغي إعلام هذه الجهات الاختصاصية بمثل هذه الاكتشافات، لأنها سوف تغير مفاهيم كثيرة، ليس فقط حول العمود الجيولوجي، وإنما حول التطور كمفهوم*4.



إنسان نياندرتال:

ظهرت هذه الكائنات وفقا للتطوريين، قبل 75 ألف عام مع بداية زحف الجليد الأول في أوروبا وإيطاليا والقرم وفلسطين. ومع انسحاب الجليد اختفى هذا الإنسان الافتراضي. تميز هذا الكائن باندفاع رأسه إلى الأمام ووجود انحناء في قامته. وقد أثار اكتشافه نقاشا حادا بين العلماء، حيث اعتبره البعض إنسانا قديما بينما اعتبره آخرون إنسانا معاصرا مصابا بالمرض. يتصف هذا الكائن بمخ أكبر حجما من مخ البشر الحاليين وجمجمة كبيرة. يثير حجم المخ والجمجمة لهذا الكائن معضلة علمية لأنصار التطور: فعلى اعتبار أن الإنسان الحالي يمثل

قمة المخلوقات في هرم التطور، وعلى اعتبار أن حجم دماغه ينبغي أن يكون الأكبر بين المخلوقات الأخرى، يظهر كائن آخر هو (إنسان نياندرتال) من الكائنات الأحفورية متصفا بصفات تجعل منه، في مرحلة تطورية تفوق كامل السلالات البشرية الافتراضية بما فيها الإنسان المعاصر. 1 ❖ مما يعني أن التطور قد تعرض في الإنسان المعاصر إلى نكوص يتناقض مع المعايير الدارونية في الارتقاء. لقد أقر العلماء في النهاية أن إنسان نياندرتال ليس إلا مجرد إنسان عادي مصاب بمرض رثوي أو كساح عظمي تسبب في هذا الشكل المشوه.

الساعة المغناطيسية وعمر الأرض :

قام الدكتور توماس بيرنز بدراسة الظاهرة المتعلقة بالحقل المغناطيسي المحيط بالأرض. هذا الحقل ناجم عن قطبين مغناطيسيين، وإن القوة التي تتحقق بينهما ينجم عنها ما يسمى بالساعة المغناطيسية. تنجم الساعة المغناطيسية عن وجود تيار كهربائي في مركز الأرض، حيث يعتقد بوجود كتلة من الحديد المصهور هو الذي يولد هذا التيار. وفي وقت ما عبر التاريخ، كانت القيمة، هي القسوى لهذه الساعة المغناطيسية ثم أخذت تتناقص بدنو الزمان. فإذا ما أمكن دراسة العمر النصفى للساعة المغناطيسية، فإنه من الممكن أخذ فكرة عن عمر الأرض. لقد قام أحدهم بحساب الساعة المغناطيسية عام 1839. ثم عاد الدكتور بيرنز فأجرى حسابا للساعة المغناطيسية لاحقا، ووصل إلى أن العمر النصفى لهذه الساعة هو 1400 سنة. أي أن التيار المغناطيسي يتضاعف بالعودة 1400 عاما للخلف بشكل أسّي. قام بيرنز برسم منحنى بياني أسّي للساعة المغناطيسية ووصل إلى نتيجة تفيد، بأن التيار المغناطيسي الذي كان موجودا قبل أكثر من عشرة آلاف عام يزيد عن القدرة التحملية لأي كوكب يشبه كوكب الأرض في الصفات. أما حينما قاس ما كان عليه التيار (الساعة

المغناطيسية) قبل مليون عام ، فقد وجد أن تلك الطاقة المتولدة على شكل نبضات كانت ستطيح بالكرة الأرضية إلى التبخر. وبالتالي اعتبر أن عمر الحياة على الأرض لا يمكن أن يكون أكثر من عشرة آلاف عام. ولكن ومن أجل احتواء الموضوع وذلك من قبل أنصار التطور، فبدلاً عن وجود تيار كهربائي يدور في مركز الأرض السائل، وهو الذي يتسبب في حدوث هذا الحقل المغناطيسي، كما افترض بيرنز: لقد افترضوا أن الأرض يوجد في مركزها مولد كهربائي يعمل بطاقة ذاتية، وهو الذي يتسبب في دوران السائل في مركز الأرض، مسبباً هذا الحقل المغناطيسي. لكن بيرنز بين أنه لا وجود لدلائل تشير إلى مثل هذا المولد، وحتى في حالة وجوده، فإن التيار المتشكل سيؤدي إلى تشكل أمواج مغناطيسية معقدة ذات طبيعة غير منطقية. واستنتج بان فرضية المولد الكهربائي لا يمكن أن تكون مقبولة . أكد الدكتور بيرنز أن المعطيات التي تتعلق بالحقل المغناطيسي تستوجب للأرض في مكوناتها الحالية ومخلوقاتنا، عمراً صغيراً لا يتجاوز العشرة آلاف عام. *11 ومرة بعد أخرى يبدو أن النتائج العلمية والملاحظات التطبيقية توجهنا إلى حداثة عمر الأرض الذي لا يتجاوز بضع آلاف من السنين.

صخور الصلصال الحلقي الأسود في وسط غربي ايلينويز:

قام وولتار بيتر *12 بتطبيق تقنيات طرق التصوير المجهرى الضوئي لدراسة الصلصال الأسود في النظام البيئي في بنسيلفانيا غرب ايلينويز. إن التفسيرات التطورية التقليدية ذوات القوالب الجاهزة، بررت الحالة بأنها حدثت على شكل رسوبيات وتمعدن لهذه الكتل الصلصالية بشكل بطيء منتظم خلال حقب طويلة من الزمن. اعتبر بيتر ان هذا التفسير لا يمكن أن يكون صحيحاً.

تضمنت دراسات بيتر صوراً ضوئية واختبارات مجهرية للرقاقات الصلصالية وتصوير شعاعي بالأشعة السينية X-Rays. بعد ذلك عكف على تبرير هذه

التراكمت الحلقية، من خلال التأكيد على التفاصيل الدقيقة لبنية الرقاكات الصلصالية بالإضافة إلى الانهدامات التبادلية الحصرية بين الطبقات السريرية الحاضنة وقوالب الصلصال الأسود بالتناوب. وتضمن ذلك ملاحظة، النقل والدفن السريع للمواد الرسوبية. وتم تأكيد ذلك من خلال ملاحظات متعددة، بما في ذلك طبقات الصلصال المدفونة بشكل عدسي في مجسمات كروية (Orbiculoidea) بسماكة أينش واحدٌ بشكل رقاكات مسطحة تتخللها كرات فحمية صغيرة، بحيث تغطي الطبقة السريرية المشوهة كلا من أسفل وأعلى أجزاء الرقاقة.

استنتج بيتر بان كل ملاحظاته خلافاً لرأي أنصار التطور تؤيد بقوة التفسير الإنجيلي للتراكم والاندفان المستحاثي السريع (الناجم عن الطوفان) .

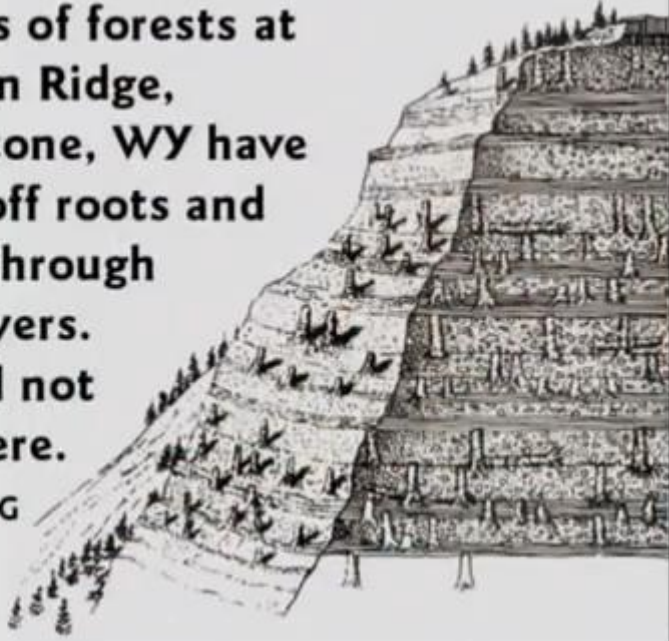
الأشجار المتحجرة في منطقة (Joggins):

قام العالم (Harold Coffin) *13 بإعادة دراسة المقطع المتفحم في منطقة (Jonggins) في (Nova Scotia) وهي تتضمن كلا من الحقتين التاريخيتين الميسيسيبيية والبنسلفانية، والتي يعتقد التطوريون أنها امتدت لمدة 50 مليون عام منذ 300 مليون سنة. إن الدالة التي استند عليها التطوريون هي التراكم البطيء والمتدرج للرسوبيات خلال الأحقاب التاريخية الطويلة. وعلى هذا الأساس قاموا بتقدير عمر الفحم الحجري للأشجار المتحجرة في المنطقة، معتبرين أنها نجمت، من خلال تراكمت بطيئة للطبقات الرسوبية فوق بعضها في نفس الموقع التي نمت فيه الأشجار. فمع تشكل المستنقع الذي نجم عن تكرار اقتحام البحر لليابسة، فقد تسبب في تشكل الفحم ببطء في أعماق منخفضة، بعد أن قام بدفن هذه الأشجار ومن ثم ابتلاعها. إلا أن دراسة الدكتور Coffin قد اختلفت وهذه المعطيات. فقد لوحظ أن الأشجار ومن خلال

استقصاءاته العديدة، قد انتقلت وجاءت من مواقع مختلفة بواسطة الماء إلى حيث دفنت وبشكل سريع ومفاجئ. فالشواهد أشارت إلى غياب وجود التربة الزراعية، ووجود مستحاثات نباتية غريبة في التجاويف الغائرة، وحفظ دقيق للتفاصيل الخاصة بالنباتات، ووجود أشجار كثيرة بتوضع أفقي، وتواجد كبير للديدان الأنبوبية البحرية. (إن تواجد العضويات البحرية يتناقض مع فرضية تشكل المستنقع المذكورة آنفاً) ثم ان امتداد تراكم تلك الاشجار عبر حقتين تاريخيتين مختلفتين (يعني أن الأحقاب لا تتجاوز في عمرها عمر تلك الأشجار، لا أكثر) بخلاف ما قاله التطوريون. (حيث تم تفسير هذه الرسوبيات من قبل التطوريين أنها تراكمت عبر أحقاب زمانية مديدة تتجاوز عدة ملايين من السنين). لذلك قام العالم Coffin ببناء فرضيته التي ترى أن هذه الأشجار والكائنات النباتية، قد تم انتزاعها من مكانها بفعل أمواج عاتية ناجمة عن طوفان ثم تخزينها في الموضع التي ظهرت فيه، مما أدى بها إلى هذا الشكل من التراكم الذي ظهرت عليه. وقد أشار الدكتور Gish في هذا الصدد إلى انه بالإمكان الحصول مخبريا على البترول، من المواد السيللوزية الناجمة عن المخلفات خلال مدة عشرين دقيقة، وعلى الفحم خلال عدة ساعات. مما يعني أنه ومن أجل تشكل الفحم الحجري أو البترول في الطبيعة، فلا يحتاج تشكلها إلى تلك الأحقاب الزمانية المغرقة في القدم. تقدم هذه الدراسة بين ثناياها ملاحظة مهمة حول وجود الأشجار ممتدة في حقتين تاريخيتين مختلفتين وهذا يعني أن هاتين الحقتين لا يتعدى عمرهما الزماني بضعة مئات من السنين هو عمر تلك الأشجار التي ظهرت فيهما. وهذا يخالف معتقدات أنصار التطور التي تتحدث عن أحقاب بأعمار مفرقة في القدم. فالأحقاب الجيولوجية كما تظهرها الملاحظات العلمية ذات عمر محدود لا يتجاوز بضع مئات وفي أحسن أحوالها آلاف من السنين.

27 layers of forests at Specimen Ridge, Yellowstone, WY have broken off roots and extend through many layers. They did not grow there.

See: ICR.ORG



دراسة جيولوجية لمنطقة ريف John Day :

قام بهذه الدراسة Nevins* 14 حيث بينت الدراسات أن هذه الأصقاع قد تعرضت لعدة اندفاعات بركانية خلال التاريخ. لقد وضع نيفين أن المستحاثات الخاصة بالحيوانات اللبونة الكبيرة والنباتات الاستوائية، والمجاورة للاستوائية، تتشكل في ظروف محددة وتتطلب فترات استقرار في الطبيعة طويلة نسبياً. إلا أنه، وفي حالات نادرة فقط من الاستقرار النسبي بين الانبعاثات البركانية، تمت عودة الحياة إلى تلك المنطقة. مما يعني استحالة إمكانية حدوث أي نوع من التطور للمخلوقات المحلية وفقاً لمنظور أنصار التطور في بيئة غير مستقرة كتلك التي تعرضت لها هذه المنطقة. هذا الأمر عني لنيفين، أن المستحاثات التي استند إليها أنصار التطور والتي يفترض أنها اكتشفت هناك وقادت إلى

الاعتقاد بتطور فصيلة الخيليات إلى الحصان المعاصر، هي زائفة وبالتالي غير حقيقية. إضافة إلى ذلك، فقد أشار إلى محدودية الدلائل التي تؤكد أن تاريخها يمتد إلى 60 مليون سنة هو عمر هذه المنطقة، كما افترض من قبل التطوريين. وقد اقترح ، طالما انه لا يوجد دلائل تشير إلى وجود الطوفان في رسوبيات تلك المنطقة، فان الطوفان يجب أن يكون قد حدث قبل تشكل هذه الطبقات الرسوبية. ورأى أن المدة الزمنية التي امتدت بين نهاية الطوفان وبدء الفترة الجليدية الأخيرة، لا تتجاوز عدة مئات من السنين. وعلى هذا، فان الثورات البركانية العظيمة في منطقة John Day والطبقة الجليدية التي غطت القسم الشمالي من شمال أمريكا و أوروبا، يمكن أن تنسب إلى النتائج المدمرة التي حصلت خلال فترة استعادة التنظيم الكوني إبان التأثير الكارثي للطوفان. فإن صح ما جاء به نيفين من خلال ملاحظتيه العلميتين، فإن هذا يعني أن تزييفا متعمدا للحقائق العلمية والجيولوجية قد جرى لتأكيد افتراضات أساسية في التطور وهي أن تطور الخيليات وغيرها من اللبونات لاصحة لها على أرض الواقع.

الطوفان وجبل أرات:

في عام 1966 ذهب العالم الجيولوجي Burdick* 15 بصحبة حملة إلى جبل أرات، الذي يعتقد أن بقايا سفينة نوح عليه السلام كما ورد في الإنجيل، قد استقرت عليه. يقبع هذا الجبل في الزاوية الشمالية الشرقية من تركيا عند الحدود مع كل من إيران وروسيا. أظهرت الدراسات الجيولوجية التي قام بها Burdick أن الحجارة الكلسية العائدة للحقبة (Paleozoic) والحقبة (Mesozoic) والتي تشغل شرق تركيا، قد تم ترسبها خلال فترة الطوفان. وخلال الطوفان اندفعت حمم بازلتية عبر الركام الكلسي حيث وصلت ذروة الارتفاع في الجبل إلى 20000 قدم . يتواجد جبل أرات في منطقة بركانية تسمى

الوسادة الحممية الناجمة عن تبلور الصخور البركانية تحت الماء. وقد أصاب ذروة الجبل عوامل التعرية فأصبح ارتفاعه الحالي 17000 قدم. إن وجود بقايا تلك السفينة أعلى ذلك الجبل مرافقة لهاتين الحقتين المشار إليهما يدل على أن الحقتين قد حدثتا في نفس فترة الطوفان والتي لا يتعدى تاريخها الفعلي أكثر من ثمانية آلاف عام هو العمر المفترض لتلك السفينة القابعة في ذلك الجبل بصرف النظر عن مصداقية كونها سفينة نوح المقصودة.

جيولوجيا الطوفان في شبه جزيرة (Crimean):

شبه جزيرة كريمين تقع في منطقة البحر الأسود جنوب شرقي أوروبا. إن الطبقات الرسوبية تدل على وجود تراكمات من المواد الرسوبية الناجمة عن كارثة مائية. لقد قام العلماء الجيولوجيون الروس التقليديون بتفسير تشكل الرسوبيات في تلك المنطقة وفقا لمبدأ التراكم التدريجي للرسوبيات. ومن خلال طريقة مستحدثة في تحليل هذه الرسوبيات، أظهرت النتائج التي قام بها اليكسندر ف. لالوموف وجود شواهد تشير إلى أن الرسوبيات المتراكمة قد نجمت عن كارثة بيئية في ذلك الحوض. كانت المرحلة الأولى من الدراسة، هي إعادة بناء الظروف الرسوبية في الجزء السفلي من السلسلة الرسوبية. أظهرت الاستقصاءات وجود علامات لرسوبيات ناجمة عن طوفان، يمكن مقارنتها بالطبقات المشابهة لها في أماكن مختلفة أخرى من العالم. وقد اعتمدت الدراسة على نفس التقييم الذي يعتمده أنصار التطور وفقا للعمود الجيولوجي الخاص بطبقات الأرض والذي يفترض فيه أنه إذا كانت الطبقات تحتوي نفس المستحاثات فإنه يكون تاريخ أعمارها متشابها. بالرغم من هذا فإن نتائج تحديد عمر الطبقات المدروسة والمقدمة في هذه الدراسة قد تم رفضها.

من الواضح أن نتائج الدراسات الجيولوجية تتأثر بشكل مباشر بالدالات المسبقة الخاصة بالمفاهيم (والتي هي على شكل قوالب جاهزة). مثال (دالة الترسيب التدريجي خلال أحقاب زمنية طويلة - مقابل - دالة حدوث كوارث مفاجئة تؤدي إلى تراكم رسوبيات سريعة). فإذا كان هنالك اثنان ممن قاموا بنفس الدراسة، ويحملان الكفاءات العلمية نفسها، لكن يختلفان في الأطر المتعلقة بالمفاهيم والدالات، فإنهما سوف يخرجان بنتائج متناقضة وبوجهات نظر مختلفة، بالرغم من أن المعطيات الدراسية واحدة. لقد أثبتت استقصاءات مختلفة مثل نتائج دراسات (Grand Canyon) (Austin 1994,pp.21-) (56) التي اعتمدت على الدالة الكارثية النتيجة التي تم الحصول عليها في هذه الدراسة (دراسة اليكسندر ف. لالوموف)، والتي تفيد بان عمر الطبقات الرسوبية في المنطقة التي تمت دراستها في حوض البحر الأسود لا تتعدى 2000 - 5500 سنة، مقارنة مع الدراسات التقليدية للعمود الجيولوجي الذي قدر أعمار تلك الرسوبيات بـ 40 مليون عام. (lalomov and Tovolitch, 1996). *16
*17

السرير المستحاثي الخاص بالطحالب البحرية أحادية الخلية :

قام (Northrop Bernard) *18 بدراسة السرير المستحاثي للطحالب البحرية أحادية الخلية (Diatomite) في سانت باربارا في كاليفورنيا. يقول أنصار التطور أن هذا السرير قد تشكل عبر أحقاب زمنية طويلة جدا، بخلاف دراسة نورثروب التي أشارت إلى وجود دلائل مستفيضة، تدل على تراكم الرسوبيات بشكل مفاجئ فاجعي في هذا السرير. لوحظ وجود أعداد لا نهائية من المستحاثات أحادية الخلية ذات جدار السيليكا المتراكمة، والتي تترافق مع أسماك أخرى مقبورة ضمنها، محتفظة بكامل شكلها وحتى شكل أعضائها . أما

المستحاثات التي ترسبت بجوار تلك المواقع، فقد بدت اقل انتظاما ووضوحا، مما يدل على أن الرسوبيات الأولى قد حصلت بشكل آني ومفاجئ. لقد ترافقت الرسوبيات بمستحاثات لأسماك متعددة وطيور بحرية وحياتان، مما يوضح أن هذه الرسوبيات قد تراكمت بشكل سريع ومفاجئ و كارثي، بدلا من التراكم التدريجي البطيء. افترض نورثروب أن وحيدات الخلايا الطحلبية قد تكونت مبدئيا في المياه العذبة، ومن ثم جرفت بالطوفان إلى منطقة (Lompos) وتراكمت من جديد هناك على شكل رسوبيات ما بعد الطوفان.

المستحاثات الرسوبية في Capitan "الطيات":

أشارت الدراسات المختلفة أن الطيات العضوية بما فيها من رسوبيات مستحاثية تحتاج من اجل تشكلها لعدة آلاف من السنين وظروف خاصة تتعلق بالرسوبيات المترافقة المتراكمة. فإذا ما عرف أن الطيات التي تشكلت قديما قد استغرقت تلك المدة الزمنية الطويلة، فان هذا يتناقض بشكل ما، مع التراكم السريع الذي يفسره الكتاب المقدس أثناء الطوفان. وان تفسير الطيات يسبب معضلة جيولوجية تحتاج إلى توضيح. يمثل جبل Capitan في تكساس بما يحويه من طيات وجها لهذه المعضلة. قام ستيوارت نيفين* 19 بإجراء دراسة على تلك الطية هناك، واكتشف أن الرسوبيات التي ترسبت هناك لا تمثل في قوامها وطبيعتها وعناصرها، الصفات التقليدية للطية. إضافة إلى انه ينقصها البنية العضوية الهيكلية المناسبة والرسوبيات المشتقة من مصادر عضوية. لقد وضحت الدراسات أن (طية) Capitan تتركب أساسا من أجزاء مكسرة من المستحاثات المتجمعة في بنية حبيبية ناعمة مثل الكلس والرمل، والتي لا يمكنها أن تقاوم القوى المنحرفة أثناء تراكمها. فهي تمثل بنية مائية ضحلة غير قادرة على مقاومة القوى الجانبية القوية البيئية. أما العضويات التي من شأنها أن

تتسبب في تكون الطيات التقليدية، فقد كانت إما غائبة كلياً أو أنها غير واضحة. لذلك فقد استنتج نيفين أن البنية التي افترض سابقاً أنها طية Capitan ليست في الواقع طية حقيقية، لأنها لا تحتوي الرواسب العضوية المتحددة والتي تحتاج إلى عدة آلاف من السنين لتتشكل. مما يعني أنها كانت قد تشكلت خلال مدة سريعة نسبياً. وقد اقترح نيفين أنها من الممكن أن تكون قد تشكلت وتراكمت سريعاً بفعل كارثة ناجمة عن طوفان طارئ. كل هذه الدراسات تؤكد حقيقة الطوفان وحقيقة أنه لا يمتد تاريخ حدوثه إلى حقب مغرقة بل لا يتجاوز بضع آلاف من السنين وأن العديد من الظواهر الجيولوجية التي يفترض أنصار التطور حدوثها عبر أزمنة مديدة قد حدثت في الحقيقة خلال مدة قصيرة نسبياً.

إنسان كهف السخول:

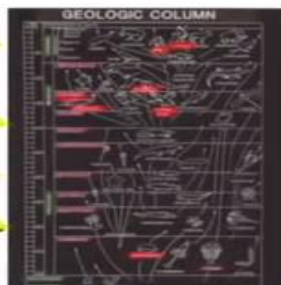
عثر بجبل الكرمل في كهف السخول على بقايا عظمية لكائنات تتصف بصفات البشر الحاليين، ترجع للفترة الدافئة الثالثة من الأحقاب الجيولوجية، أي التي تسبق فترة ظهور إنسان نياندرتال المفترض. فالتطوريون أمام تحدٍ آخر وهو وجود بقايا بشرية، مشابهة لإنسان العصر، عائدة للنصف الأول من عصر البليستوسين والعصر الحجري القديم تسبق في نشوئها كائنات افتراضية تطويرية أخرى (إنسان نياندرتال) يفترض أنها قبلها وسبقها في سلم التطور. ❖2

100 million years old?

200 million years old?

300 million years old?

400 million years old?



Darwin did not like the round numbers so he said the Wealden deposits in England were 306,662,400 years old?

Noah to Abram the Turbulent Years.
by Erich von Fange p. 116

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - قيس القرطاس. نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه، الطبعة الأولى 1971، مؤسسة الرسالة.
- 2 - الدكتور إبراهيم احمد زرقانة. العائلة البشرية، مكتبة الآداب 1961.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- 1- Rusch, W. H., Sr. 1971. Human footprints in rocks, CRSQ 7(4):201-213.
- 2- Films for Christ, Route 2, Eden Road, Elmwood, Illinois 61249.
- 3- Burdick, C. L. 1973. Discovery of human skeletons in Cretaceous formation, CRSQ 10 (2):109-110.
- 4- DUANE T. GISH, Ph.D. *A DECADE OF CREATIONIST RESEARCH*(Part I+II) Creation Research Society Quarterly 12(1):34-46 June, 1975.
- 5- Burdick, C. L. and H. S. Slusher. 1969. The Empire Mountains a thrust fault?, CRSQ 6 (1):49-54.
- 6- Meister, W. J., Sr. 1968. Discovery of trilobite fossils in shod footprints of human in "Trilobite Beds" - a Cambrian formation, Antelope Springs, Utah, CRSQ 5(3):97-102.
- 7- Lammerts, W. E. 1972. The Glarus overthrust, CRSQ 8(4):251-255.
- 8- Lammerts, W. E. 1966. Overthrust faults of Glacier National Park, CRSQ 3(1):61-62.
- 9- Burdick, C. L. 1966. Microflora of the Grand Canyon, CRSQ 3(1):38-50.
- 10- Burdick, C. L. 1972. Progress report on Grand Canyon palynology, CRSQ 9(1):25-30.

- 11- Barnes, T. G. 1971. Decay of the earth's magnetic moment and the geochronological implications, CRSQ 8(1):24-29.
- 12- Peters, W. G. 1971. The cyclical black shales, CRSQ 7(4):193-200.
- 13- Coffin, H. G. 1969. Research on the classic Joggins petrified trees, CRSQ 6(1):35-44.
- 14- Nevins, S. E. 1974. Post-Flood strata of the John Day Country, Northeastern Oregon, CRSQ 10(4):191-204
- 15- Burdick, C. L. 1967. Ararat - the mother of mountains, CRSQ 4(1):5-12.
- 16- Alexander V. Lalomov. Flood Geology of the Crimean Peninsula CRSQ Vol 38 No 3 pp 118- 124 December 2001.
- 17-Austin, S.A. 1994. Interpreting strata of Grand Canyon. In: Grand Canyon – Monument Catastrophe, pp. 21–56. Institute for Creation Research, Santee, CA.
- 18- Northrup, B. E. 1969. The Sisquoc diatomite fossil beds, CRSQ 6(3) : 129- 135.
- 19- Nevins, S. E. 1972. Is the Capitan limestone a fossil reef?, CRSQ 8(4):231- 248

-5- نشوء الكون

إن الفرضية (التطورية) الأكثر قبولا بين نظيراتها حول نشأة الكون قد سميت تقنيا بنظرية التضخم. إلا أن الاسم الدارج لها هو فرضية الانفجار الهائل. (Big Bang). لقد تعرضت هذه النظرية إلى انتقادات هائلة. (1*,2*,3*,4*,5*,6*,7*,8* مما دفع إلى إضافة ابتكارات جديدة كي تنقذ هذه النظرية، حيث ابتدع (Alan-Guth) من معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا فكرة جديدة تتعلق بنظرية الكم، والتي تفترض انه قبل حدوث الانفجار الهائل، حدث تذبذب ذو ضخ سلبي. نجم عن ذلك تشكل جزيء في أجزاء من الثانية، قام بتضخيم نفسه إلى حجم حبة الكريفون. ومنذ تلك اللحظة تم بدء تكون العالم وفقا لنظرية الانفجار الهائل، بحيث تم البدء بتشكيل جزيئات ما دون الذرية، وبعدها تشكل الهيدروجين بنسبة 75% والهيليوم بنسبة 25%. ثم أخذت النجوم والمجرات بالتكون، وفيما بعد تكون نظامنا الشمسي. وهكذا إلى أن أتينا إلى هذا الوجود. لم يكن هنالك أي قانون طبيعي خلال تلك الفترة الافتراضية المبكرة من نشأة الكون. وينبغي على التطوريين إذن، أن يفترضوا بأن القوانين الطبيعية التي تحكم العالم الآن، قد تكونت بعد ومن خلال الانفجار الكوني الهائل. لهذا فان نشأة الكون لا يمكن أن تستند إلى القوانين الطبيعية وفقا لمزاعمهم. وإذا ما استثنينا القوانين الطبيعية في نشأة الكون، وفقا لفرضية الانفجار الكوني، فإن هذا يعني بطبيعة الحال اعترافا بالبديل الآخر، وهو أن الكون قد نشأ من غير وجود القوانين الطبيعية، أي انه نشأ من خلال قدرة تتعدى قوانين الطبيعة هي قدرة خلاقية مما وراء الطبيعة هي التي أحدثت هذا الكون.

لابد من التوقف هنا عند ملاحظة مهمة في هذه الفرضية الكونية " حدث تذبذب ذو ضخم سلبي. نجم عن ذلك تشكل جزيء في أجزاء من الثانية، قام بتضخيم نفسه إلى حجم حبة الكريفون . ومنذ تلك اللحظة تم بدء تكون العالم وفقا لنظرية الانفجار الهائل". فالفرضية هذه لا يمكن أن تعتبر فرضية علمية وذلك لأنه من المستحيل إجراء تجربة قياسية على أرض الواقع تحاذيها. الأمر الآخر هو ذلك الكم من المعلومات التي قدمت والتي لا تملك أي دليل عقلي أو علمي أو فني يمكن أن يؤكد لها ألقيت دفعة واحدة. الأمر الثالث هو الافتراض التفصيلي وهو تشكل جزيء في أجزاء من الثانية. فلماذا تحمل تشكله أجزاء من الثانية وليس أكثر من ذلك أو أقل؟ ولماذا ضخم نفسه إلى حجم حبة الكريفون؟؟ وكيف انفجرت حبة الكريفون تلك فكانت لنا العالم؟؟؟ هذه افتراضات لا تحمل أي دليل على صحتها لذلك الأولى أن توضع في قائمة المزاعم التي لا يستساغ لعقل الأخذ بها. إنه مجرد زعم لاعلمي لمن يزعم أنه يحمل راية العلمية.

في نقاش بين الدكتور هوفين وأحد علماء التطور سأل الدكتور هوفين: قبل نشوء الكون ما هو مصدر المادة التي تسببت في وجوده وأجاب نصير التطور بأنه لا يعلم. فسأله الدكتور هوفين عن مصدر الطاقة فأجاب أيضا بأنه يجهل مصدرها. ثم سأله عن مصدر هذا الكون فأجاب مندهشا بأنه لا يعلم. فسأله إن كان بمقدوره أن يطرح عليه سؤالاً آخر فأجابه نصير التطور على الفور " مالذي ترغب أيضا بالتعرف إليه؟؟"

هنالك ما يعدل خمسين قانونا أساسيا تعتبر من الثوابت الفيزيائية لهذا الكون والتي يجب أن تكون متضافرة منذ البدء، وبدونها لا يمكن بحال من الأحوال للحياة أو للكون أن ينشأ. هذه الثوابت الفيزيائية هي ثوابت دقيقة جدا،

لا يمكن أن تكون أقل مما هي عليه أو أكثر مما هي عليه. تتضمن هذه الثوابت، ثابت Boltzman و ثابت Plank ، وثابت الجاذبية) كما تتضمن الكتلة الجزيئية للجزيئات الأولية (كتلة Pion في وضعية الاسترخاء وكتلة النيوترون في وضعية الراحة، وكتلة الإليكترون في وضعية الراحة، شحنة الجزيئات والعلاقة بين الشحنة والكتلة) ، إضافة إلى الثوابت الخاصة بالبنى المتناهية في الصغر (الجاذبية، التفاعل الضعيف البيني، الطاقة الكهرومغناطيسية و ثابت البنى المتناهية في الصغر). إن احتمال نشوء واحد من هذه الثوابت الفيزيائية من خلال العشواء في هذا الانفجار الهائل هو احتمال يكاد يكون معدوما، فكيف بخمسين ثابت في آن واحد معا. وعلى هذا الأساس ، فإن جميع فرضيات نشوء الكون التي وضعها التطوريون تتعارض مع قوانين الاحتمالات التي جئنا على ذكرها آنفا في البحث الثاني. وعليه يجب نبذ هذه الفرضيات الخاطئة المتعلقة بالنشوء استنادا إلى هذه القواعد التي وضعها أنصار التطور أنفسهم علما بأن الثوابت الفيزيائية تبقى في تزايد مستمر وقد بلغت أكثر من 120 ثابتا الآن .

وبالعودة إلى فرضية نشوء الكون، بدءا من الانفجار الهائل المصاحب للعشواء وانعدام النظام، وتنشؤ غازات الهيدروجين والهليوم ومن ثم خلق العالم لذاته. يعتبر هذا الزعم في حد ذاته مخالفة واضحة لقوانين الطبيعة وتحديدًا، القانون الثاني في التيرموديناميك. حيث ينص القانون، على أن أي نظام معزول لا يمكن أن يزداد أويترقى في انتظامه، ولا يمكن أن يتطور إلى شكل أكثر تعقيدا. بل على العكس، فإن أي نظام معزول سوف يؤول في النهاية ومع مرور الوقت إلى التشرذم، ويتحول إلى تفكك واضمحلال أكثر. لا توجد استثناءات لهذا القانون. وبخلاف هذا القانون الطبيعي، يعتقد التطوريون أن الكون هو نظام معزول قد قام بنقل نفسه من العشواء وعدم الانتظام، اللذين صاحبا الانفجار الكبير وتسببا في ظهور

عنصري الهيدروجين والهليوم البسيطين وتطور إلى هذا العالم شديد التعقيد الذي نراه اليوم.

فإذا كانت القوانين الطبيعية هي نفس القوانين الطبيعية، وهو ما يفترض أن تكون، فإنه لا يمكن للكون أن يكون ذاته بذاته. لأن هذا هو انتهاك فاضح للقانون الثاني للثيرموديناميك. إن البديل الوحيد عن هذه المزاعم هو أن هذا النظام الكوني ليس نظاما معزولا أو منفصلا بذاته بل لابد من وجود قدرة ذكية حكيمة منفصلة عن هذا الكون الطبيعي، هي المسؤولة عن نشأة هذا الكون. وهي أيضا التي خلقت هذه القوانين الطبيعية التي تحكم هذا الكون. بعض علماء التطور عند هذا الإشكال قد خالف فرضية الانفجار الهائل حين وجدوا أنفسهم في طريق مسدود، يناقض القوانين الكونية الموضوعة. فإذا ما تعدينا مزاعم أن الكون يؤول من التبسيط إلى التعقيد بفعل ذاتي، يبقى أمامنا خياران هما، إما أن الكون قد نشأ بشكل معقد منذ البداية، وهو منذ ذلك الحين في حالة ثبات. أو أن الكون نشأ معقدا، وهو يؤول مع الوقت نحو التفكك والاضمحلال. لقد اختار التطوريون ممن خالفوا فرضية الانفجار الكوني والتحول من التبسيط إلى التعقيد، الفرضية التي ترى أن الكون نشأ معقدا وهو لا يزال بحالة ثبات منذ نشأته. ومع أن هؤلاء عندما أقرروا بالتعقيد الكوني منذ نشأته، فإنهم لا بد أن يقرروا بأن هنالك تصميميا ذكيا قد صمم الكون. فالنظام أيا يكن يحتمل معلومات يستوجب معه وجوب وجود المنظم وهذه هي أبسط قواعد العلمية. فلا يمكن بأي حال من الأحوال، أن يحدث التعقيد الذي يكافئ ما نراه اليوم في هذا الكون من العدم. فالعدم لا ينتج إلا عدما، إلا إذا كان من يقول بعكس ذلك لديه سوء في التقدير.

بالرغم من ذلك فإن الشواهد الكونية والقوانين الطبيعية أيضا تتناقض مع هذا الافتراض الذي يفترض أن التعقيد يتبعه الثبات اللاحق. فالنجوم تبدو آيلة إلى التفكك. وهناك في كل ثانية بلايين الأطنان من الوقود التي تحترق وتختفي. إن مخزونات الطاقة في الكون لا يمكن أن تبقى خالدة، وبدون تدخل قدرة الله فإن الكون سيؤول مؤكدا إلى نهاية محتومة. *9

لم يتم الاتفاق إلى الآن على تحديد عمر الكون فقد اختلفت التقديرات بين 15 بليون عام و 19 بليون و 8 بلايين و 20 بليون و 11 بليون عاما. *10 . لقد بينت دراسات ل (Barry-Setterfield) تتعلق باضمحلال سرعة الضوء انه ومن خلال تحول ضوء النجوم إلى الاحمرار، فإن عمر الكون يمكن أن يقدر بستة آلاف عام *11 . وإن التحول في لون الضوء هذا، يحدث عبر قيم فلكية أو قفزات، وليس وفق آلية متدرجة ثابتة *12 .

وأما فيما يتعلق بنظامنا الشمسي فإن أنصار التطور يعتقدون أن عمر نظامنا الشمسي يتراوح بين 4.5 - 5 بلايين عام. هنالك دراسات تدحض هذه الافتراضات. ففي دراسة للبروفيسور Wan Lai من مرصد شانغهاي التابع للأكاديمية الصينية للعلوم، تبين له أن الشمس يتقلص حجمها سنويا بمعدل 1.5 كم حيث تقلص قطر الشمس 410 كم من تاريخ 1715 وحتى عام 1987. ومن خلال هذه النسبة فإذا كان عمر الشمس الآن مليون عام فإنها ستكون عند نشأتها بأبعاد تعدل ضعف الشمس الحالية. أما إذا كان عمرها عشرة ملايين عاما فإن الحرارة المنبعثة منها والتي ستصل الأرض ستجعل من غير الممكن للكائنات الحية أن تتواجد على سطحها. لكن الشمس ستلامس الأرض إذا كان عمرها 210 مليون عام. وبناء على ما سبق وبالاستناد إلى ثبات هذه المعدلات التقلصية، يكون من المستحيل، أن يكون عمر المجموعة الشمسية عدة

بلايين من السنين كما افترض أنصار التطور*13. ويرى العالم Fred Whipple من جامعة هارفارد من خلال دراسته، انه لا يوجد أي علامات في المدارات حول الشمس تشير إلى ظاهرة (Robertson - Pointing) (وهي ظاهرة تحدث عندما تصطدم الفوتونات الضوئية بالغبار المجري مسببة تباطؤًا في حركتها، بحيث انه و عبر بلايين السنين، تتباطأ الجسيمات الصغيرة بفعل هذه الظاهرة قبل الجسيمات الكبيرة). إن هذه الدراسة تدعم وجهة النظر القائلة بان عمر المجموعة الشمسية ليس عدة بلايين من السنين*14.

نقدم هنا آراء ووجهات نظر مختلفة لعلماء كبار حول فرضية الانفجار الهائل المزعوم في تولد الكون:

يقول اريك ليرنر" إن نظرية الانفجار الكوني الهائل ليست النظرية الوحيدة التي تفسر نشأة هذا الكون. فنظرية الحالة الراهنة ونظرية البلازما هما نظريتان مختلفتان ومدعومتان من قبل العديد من العلماء الذين لايقرون بفرضية الانفجار الهائل. إن هذه النظريات تقدم شروحا بديلة لما سماه أنصار التطور " براهين " فرضيتهم الانفجار الهائل. وعلى هذا الأساس فان فرضية الانفجار الهائل لا يمكن أن نعتبرها حقيقة واقعة*15.

ويقول أيضا " إن نظرية الانفجار الكوني أخذت تتداعى. إلا أن الكثير من الزملاء لا يزالون يرفضون الإقرار بذلك بعد...، أما وانه في غضون تلك الأيام التي عاش فيها غاليلو، فان الأفكار المعقدة كان من الصعب أيضا تغييرها.... إذن ليس هنالك ما يعوق علماء الكونيات في أن يغيروا وجهة نظرهم، إذا ما تبين لهم عدم وجود دلائل تدل على صحة مزاعمهم (الخاصة بفرضية الانفجار الكوني) و أن أيا من تلك المزاعم لا يمكنها أن تقدم حلا حقيقيا للمشكلة*16.

وفي ملاحظة من قبل هيئة التحرير في مجلة العلماء الجدد (New Scientist) جاء ما يلي " لم يحصل أبدا أن تم بناء صرح كهذا بمثل هذه القدسية (فرضية الانفجار الكوني) على أسس واهية كتلك التي استندوا إليها " *17.

وفي مقالة في مجلة العلوم أوردت المجلة أن التباينات في الذبذبة التي تم ادعاؤها في مشروع (COBE) " وهو مشروع جرى فيه قياس التذبذبات الشعاعية التي نجمت عن الانفجار الكوني " كانت قوة تلك الذبذبات المزعومة دون معدل مستويات الضجيج التي تتيح للأجهزة المستخدمة تحريها، وهذا مامثل نوعا من التشويش الخلفي، الذي لايمكن أن يكون قد سمح بالحصول على مثل تلك القراءات. لقد ذهبت هذه الدراسات إلى القول بان تلك القراءات قد تم الحصول عليها من خلال طرق إحصائية وهي لا تزال بحاجة إلى استقصاء دقيق *18.

لا COBE وفي تقرير لعالمين من جامعة ييل وضحا فيه أن النبضات في علاقة لها بما كانت عليه تركيبة الكون منذ بلايين السنين. وتفترض نظريتهما، أن التباين في تلك القراءات، قد حدث بواسطة الإشعاعات المأخوذة والناجمة عن تذبذبات الجاذبية. وهذا ما يؤكد المبدأ الذي افترضته نظرية النسبية العامة 19 ❖.

لقد اعترف جورج سمووت، وهو الرجل المسؤول عن مشروع (COBE) في مجلة العلوم بان تلك القراءات (التي استند إليها العلماء في تدعيم افتراضاتهم حول الانفجار الهائل) من الممكن أن تكون غير واقعية ، بل حتى وان كانت القياسات حقيقية، فإنها من الممكن أنها قد نجمت عن تأثيرات أخرى مثل حركة مجرتنا الكونية من خلال التذبذبات التي ظهرت في خلفية القياس *20.

يفترض أنصار التطور أن النجوم تمر بدورة حياتية ذات طبيعة حرارية نووية، وذلك بزعمهم، كي تتحقق ضرورة مزاعمهم في مرور بلايين السنين التي يحتاجها التطور كي يأخذ مجراه. وأما ما تبينه الملاحظات العلمية فهو أن النجوم ذات الأعمار المتفاوتة تماما تملك بنى كيميائية متشابهة، وذلك بخلاف ما ينبغي أن يكون عليه الأمر فيما لو صح فرض أنصار التطور، مما يؤكد أن فرضية التطور في هذا الإطار، هي فرضية مرتبكة. وهذا بدوره يفرضي إلى إثارة الشكوك حول حقيقة عمر الكون *21. لقد أظهرت دراسات كثيرة للنجوم، أن الضوء الصادر منها يتغير لونه خلال مدة زمنية لا تزيد عن بضعة مئات من السنين. فالنجم FG Sagittae قد تغير لون الضوء الصادر عنه من الأزرق إلى الأصفر فقط خلال مدة 36 عاما وهذا طبعا يتقاطع مع الرؤى التطورية التي تفترض عدة ملايين من السنين للنجوم كي تتطور*22.

وفيما يتعلق بكوكب الأرض وكواكب المجموعة الشمسية فقد بينت الدراسات ما يأتي:

تم تصنيف كوكب أورانوس تماما ككوكب نيبتون . حيث يتركب من عناصر، تتراوح بين الهيليوم والهيدروجين المتواجدين في كوكبي المشتري وزحل، وبين المعادن والأوكسجين والصخور المتواجدة في بقية الكواكب الداخلية في المجموعة الشمسية، وذلك بناء على المعلومات التي قدمتها سفينة فويجر 2. من الواضح أن هذه المعلومات تتعارض مع الافتراضات التطورية، التي ترى أن العناصر الأخف، هي التي ينبغي أن تبتعد أكثر عن الشمس بفعل عامل التبخر الحراري. لكن هذا لا يظهر في كوكبي نيبتون وبلوتو*23.

ولقد أدهشت المعطيات التي قدمتها سفينة الفضاء ماجلان والمتعلقة بكوكب الزهرة العلماء. حيث أظهرت مشاهد لم تبدو فيها أية فوهات بركانية

أو مناطق متآكلة أو حتى وجود براكين نشطة. إن هذا دليل على أن هذا الكوكب هو كوكب قد نشأ حديثاً، وليس بالقديم كما اعتقد سابقاً أنصار التطور وذلك لغياب أية شواهد لمواقع قديمة على سطحه *24.

وأما الدراسات التي قدمتها سفينة الفضاء فايكنغ الأولى فهي لم تؤكد وجود أي شكل من أشكال الحياة في كوكب المريخ . وعليه، فلا يمكن التعويل على المريخ كدليل تبناه أنصار التطور على تطور الحياة في الكون *25.

أما الصور المأخوذة من أحد الأقمار الخاصة بكوكب المشتري، فقد بينت وجود بركان نشيط هناك مما يخالف مزاعم أنصار التطور في عمر المجموعة الشمسية. فلو أن المجموعة الشمسية تقدر بعدة مليارات من السنين كما يزعم أنصار التطور، لكان يجب أن يكون هذا البركان هامداً منذ زمن بعيد. مما يدل أيضاً على أن المجموعة الشمسية هي حديثة العهد *26.

إن مقدار الغبار الكوني الذري الذي تتلقاه الأرض من الفضاء هو 14 مليون طن سنوياً. ينبغي أن يكون ارتفاع طبقة الغبار على سطح الأرض 60 متراً إذا كان عمر الأرض 5 بلايين عام. لكن الشواهد لا تدل على وجود إلا النذر اليسير من هذا الغبار على الأرض مما يؤكد أن الأرض حديثة العهد وليست قديمة كما يفترض أنصار التطور*27 .

إن الأرض تتأثر بقوة الجاذبية لكل من الشمس والقمر. فإذا ما كان تقدير عمر الأرض عدة بلايين السنين صحيحاً كما يفترض التطوريون، فإن شكل الأرض ينبغي أن يكون أكثر تفلطحاً والقارات أكثر قرباً من خط الاستواء بفعل تأثير الدوران السريع للأرض حول نفسها منذ تلك الحقبة البعيدة *28.

كما وتشير الدراسات التطورية إلى أن اليابسة قد أخذت توضعها فوق سطح البحر منذ مئات الملايين من السنين. لكن الدراسات التي تعتمد على تآكل

التربة بواسطة الرياح والأمطار والتي تقدر التآكل بنحو 25 بليون طن من التربة سنويا، تؤكد أن كل تلك اليابسة كانت ستزول تماما منذ 15 مليون عاما. وعلى هذا فلا يمكن أن يكون عمر الأرض 5 بلايين سنة كما يزعم أنصار التطور*29 .

ويعتقد أنصار التطور أن القارات كانت في وقت ما ملتصقة ببعضها بعضا، مشكلة فيما بينها قارة واحدة أطلقوا عليها اسم (Gondwanaland). ثم بدأت هذه القارات تنفصل عن بعضها بفعل انزياح في القشرة الأرضية، قادت عبر ملايين السنين إلى هذا التوضع الجديد للقارات. إن هذا الانزياح طويل الأمد يدل في زعم أنصار التطور على قدم عمر الأرض. يحدث هذا الانزياح بمقدار 1 سم في السنة الواحدة كما بينته عدة دراسات قدمها أنصار التطور. لقد قدم أنصار التطور دراسة لانزياح القشرة الأرضية تفضي للانزياح القاري، بينت وبشكل مثير، انه وكنتيجة لتأثير الانزياح الحاصل، فان ولاية تكساس في الغرب وولاية ماساشوسيتس في شرق الولايات المتحدة أخذتان في الاقتراب من بعضهما بمقدار 1 سم سنويا. لا يمكن أن تكون هذه الدراسة صحيحة، لان كلتا الولايتين تقعان في نفس القارة وليستا في قارتين مختلفتين. إن هذا يثير الريبة حول الإحصائيات وأسلوب الدراسة المتبع من قبل أنصار التطور بالكامل*30 .

وأما فيما يتعلق بالقمر فان التطوريين يعتقدون أن القمر قديم وعمره يقارب الثلاثة بلايين عام.

إن جميع الصخور تتعرض لظاهرة الانسياب عبر الزمن. وعلى الرغم من أن أنصار التطور يعتقدون أن عمر القمر يقدر بثلاثة بلايين عام، فان دراسة الصخور البازلتية المأخوذة من سطح القمر بواسطة رحلة أبوللو قد بينت، أن عمر الفوهة البركانية لا يزيد بحالة عن مليون عام. أما إذا ما استخدم الحد الأعلى

للاسياب النسبي فان عمر الفوهة البركانية ستقدر فقط بعدة آلاف من السنين
*31.

فالقمر لا يزال فعالا من الناحية الجيولوجية فإذا كان قديما كما يزعم
أنصار التطور فينبغي أن يكون ميتا وباردا منذ أمد بعيد *32.

يملك القمر كميات وافرة من المواد المشعة ذات العمر القصير
كاليورانيوم -236 والثوريوم -230 كما بينت التقارير المقدمة في المؤتمر
الرابع لعلوم القمر. فإذا كان عمر القمر كما يقدره التطوريون بضعة بلايين
من السنين، فان هذه النظائر المشعة ينبغي أن تكون قد تفككت منذ أمد بعيد
*33.

فالقمر إذن حديث العمر بخلاف ما يدعيه التطوريون.

تجمع مزاعم أنصار التطور على أنهم يستندون في رؤاهم ومعتقداتهم على
القوانين الطبيعية لكن ادعاءاتهم هذه كما بيناه أنفا تختلف في حقيقة الأمر مع
الوقائع العلمية المقدمة. فقوانين الطبيعة تدل على أن الكون حديث العهد نسبيا.
وأن مجراته كما يظهر، تتجه باتجاه التفكك والاضمحلال ، ما لم تؤثر عوامل
خارجية في هذا النهج، وهذا يناقض فرضيات أنصار التطور المتعلقة بالنشأة
الأولى وتشكل الكون التي ترى من خلال التطور، أن الكون قديم العهد وهو يميل
إلى الزيادة في التعقيد ابتداء من الأبسط.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- 1-The Big Bang Never Happened", Times Books: New York, 1992 p:295
- 2-Harold S. Slusher , "The Origin of the Universe" (revised ed.), Institute of Creation Research: El Cajon (California), 1980 p:24
- 3-Scientific American, September, 1987 p:18-20
- 4- Eric Lerner, the plasma physicist, in the Manilla Bulletin, June 5, 1991 p:7
- 5- Sir Fred Hoyle, famous British astronomer and cosmologist in "The Big Bang Under Attack", Science Digest, Vol. 92, May, 1984 p:84
- 6- Sir Fred Hoyle, famous British astronomer and cosmologist in "The Big Bang in Astronomy", New Scientist, Vol. 92, No. 1280, 1981 p:522-523
- 7- Don A. Page, evolutionist and physicist "Inflation Does not Explain Time Asymmetry", Nature, Vol. 304, July 7, 1983 p:40
- 8- Halton Arp, Astronomer "The Extragalactic Universe: An Alternative View", Nature, Vol. 346, 1990 p:807-812
- 9- Duane T. Gish, Ph.D.* Evolution Is Not Based on Natural Laws, Impact #397.
- 10- The West Australian, July 7, 1987; New Scientist, February 9, 1984; NCSE Reports, Vol. 11, No. 4, 1991 p:17
- 11- Paul D. Ackerman, "It's a Young World After All", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1993 p: 73-76.
- 12- Scientific American, December, 1992 p:19-20.

- 13- The Australian, April 14, 1990; Astrophysical Journal, Vol. 248, 1981 p:1144-1155; Impact, No. 82, 1980.
- 14- Paul D. Ackerman, "It's a Young World After All", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1993 p:33-3.
- 15- Eric Lerner "The Big Bang Never Happened", Times Books: New York, 1992 p:295.
- 16- Eric Lerner, A plasma physicist, in the *Manila Bulletin*, June 5, 1991 p:7
- 17- Editorial comment on the Big Bang theory in *New Scientist*, December 21-28, 1992 p:3
- 18- Science, May 1, 1992 p:612.
- 19- Scientific American, October 1992, p:15.
- 20- Science, May 1, 1992 p:612.
- 21- Paul D. Ackerman "It's a Young World After All", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1993 p:59-60.
- 22- New Scientist, September 14, 1991 p:28-41
- 23- Scientific American, January, 1987 p:30-38
- 24- Chicago Sun-Times, March 11, 1994 p:26; EOS, Vol. 72 No. 25, June 18, 1991 p:265-7.
- 25- The Australian, July 23, 1986.
- 26- Life, May, 1979 p:46.
- 27- Scott M. Huse, "The Collapse of Evolution", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1983 p:22-23.
- 28- "The Collapse of Evolution", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1983 p:25
- 29- Gordeyev V.V. et al, "The Average Chemical Composition of Suspensions in the World's Rivers and the Supply of Sediments to the Ocean by Streams", *Dokl. Akad. Nauk. SSSR*, Vol. 238, 1980 p:150.

- 30- Scientific American, Vol. 255, No. 5, 1986 p:44-52.
- 31- Creation Research Society Quarterly, Vol. 20, 1983
p:105-108.
- 32- John Whitcomb and Donald DeYoung in "The Moon: Its
Creation, Form and Significance",
BMH Books: Winona Lakes (Indiana), 1978 p:126 .
- 33- R.L. Wysong, "The Creation-Evolution Controversy",
Inquiry Press: Midlands (Mississippi),
1976 p: p:177-178.

-6- نشأة الحياة

بالنسبة لنشأة الحياة ، خالف أنصار التطور في كثير من افتراضاتهم القوانين الطبيعية.

يتحدث سلفادور لوريا في ترجمة لمحمد حسن إبراهيم حول النشأة الأولى " ففي البدايات الأولى ، قبل أن تبدأ الحياة بوقت طويل، كان سطح الأرض مكونا، على الأخص، من معادن وصخور، مع أن الأمر اقتضى وجود كميات كبيرة من مادة عضوية، إن تجارب أثبتت أن عددا كبيرا من المركبات العضوية مصنوع انطلاقا من مواد بسيطة، معرضة لإشعاعات أو لتفريغ هوائي: وهذا بالتأكيد ما قد حصل في "سني" الأرض الأولى. ما هو الأهم، لم يكن يوجد أوكسجين في الحالة الحرة. وبالتالي عندما تطورت العضويات الحية الأولى ، اقتضى الأمر أن يكون التخمر هو الميكانيكية الوحيدة القادرة على أن تجعلها تتمتع (أي العضويات الحية) بطاقة. إن مدخر مركبات الفحم كان ينفذ، على الأرض، بالتتابع كلما توسعت وامتدت أشكال الحياة الأولى ، فتراكم الغاز الكربوني في الجو. ظهرت طريقة جديدة للحصول على الطاقة: التركيب الضوئي، التقاط الضوء الشمسي واستعمال طاقته من اجل صنع ال (ATP) وقد خدم هذا ال ATP من اجل جلب الطاقة إلى سلسلة من التفاعلات التي تحتفظ بالغاز الكربوني: وكانت ذرات فحم الجو تستعاد بهذا الشكل في دورة العضويات الحية الموجودة." 1 ❖ .

يقول الكاتب "قبل أن تبدأ الحياة بوقت طويل" . فكيف عرف أن الحياة قد تأخرت ذلك الوقت الطويل حتى ظهرت، علما بأنه لا يملك أي دليل يشير إلى تاريخ ظهور الحياة، وهو لم يقدم لنا أية فكرة عن مدة هذا الوقت الطويل. فكلامه

هنا هو مجرد تأملات وتكهنات لاتستند إلى أي دليل. يعتقد العلماء حاليا ومن خلال الشواهد العلمية التي يملكونها أن الحياة قد ظهرت سريعا وبشكل مبكر بعد أن استقرت الأرض. ثم يتابع "كان سطح الأرض مكونا، على الأخص، من معادن وصخور". هذا الأمر هو مجرد تكهن، لأنه ما من أحد عاش تلك الحقبة. وأما الدراسات العلمية فلا تزال افتراضية تعتقد أن الهيدروجين والهيليوم هي أول الغازات نشوءا. وليس هنالك دلائل قاطعة حول شكل وطبيعة سطح الأرض في ذلك التاريخ، إلا ما هو افتراضي تكهني. ويقول "مع أن الأمر اقتضى وجود كميات كبيرة من مادة عضوية". لم يكلمنا الدكتور لوريا بدقة عن الآلية التي حصل فيها تشكل هذه المواد العضوية على سطح الأرض، وهي بزعم التطوريين سر نشوء الحياة وأهم سبب في نشوء المخلوقات الحية. فعملية التفريغ الهوائي وبالرغم من أنه قد تبرهن على أنها لا يمكنها أن تقوم بتوليد المواد العضوية، وهي عملية تتطلب لإجرائها وجود العناصر الثلاثة التالية على الأقل، في الحالة الغازية الحرة : الأكسجين والهيدروجين والكربون. ولما كانت الغازات الوحيدة المتوفرة في حينه في الغلاف الجوي في منظور التطوريين هي الهيدروجين والهيليوم، فمن غير الممكن إذن أن تتشكل المواد العضوية بهذه الطريقة والتي من المفترض أن تحتوي في مكنونها إضافة إلى الهيدروجين، على الأكسجين والكربون. إذن كان لابد لحصول عملية التفريغ الهوائي من وجود غازي الأكسجين والكربون إضافة إلى الهيدروجين والأزوت كحد أدنى في الغلاف الجوي حتى تتحقق طريقة ميلرر أو مايشابها من افتراضات استند إليها الكاتب من أجل توليد المركبات العضوية وفق مبدأ التفريغ الهوائي. كل المخلوقات الحية تحتاج إلى المادة العضوية لبناء جسمها ولتكاثرها ومن أجل استقلاباتها الحيوية وتوليد الطاقة اللازمة للحياة والحركة. لذلك كان على الدكتور لوريا أن يوضح لنا كيفية نشوء هذه المادة العضوية بخلاف الطريقة السابقة غير المقبولة نظرا

لانعدام إمكانية حصولها. ثم نتساءل، ما هو ذلك الأمر الذي يعنيه الدكتور لوريا والذي اقتضى وجود المادة العضوية! هل هو أمر تكون الحياة وظهورها. وإذا كان الأمر كذلك، فهل سيحصل بمقتضى هذا الأمر، تكون المادة العضوية وملاءمتها للظروف حتى تتسنى للحياة أن تتكون لاحقا! ومن ذا الذي سيصنع هذه المادة العضوية ثم يوفرها بتلك الكميات الهائلة حتى تبدأ الحياة بالنشوء! إن الحياة لا يمكن أن تنشأ بمقتضى الأمر، وفيه تكوين مقدار هائل من المواد العضوية الضرورية لحياة كل المخلوقات إلا من خلال معجزة ينجزها مصمم و مقرر هو الخالق وهو الذي يقضي بهذا الأمر. وهنا تتدخل المعجزات التي لا يقر بها أنصار التطور في أسس فرضياتهم كما نلاحظ. ثم يتكلم الدكتور لوريا بشكل فيه جزم "وهذا بالتأكيد ما قد حصل في سني الأرض الأولى" مؤكداً أن ذلك الذي تحدث به في افتراض التفريغ الهوائي للغازات قد حصل بالتأكيد، على الرغم من أن كل ما أدلى به هو مجرد تكهنات فقط. ان روح البحث العلمي الصادق تتطلب ممن يتحدث في موضوع ما -يفترض أنه علمي - أن يبين بان ما ذكره يدخل في إطار الفرضيات أو التكهانات، ولا ينبغي أن يقدمه كحقيقة واقعة بدون أن يأتي بالدليل. يتحدث عن تشكل المواد العضوية بالتفريغ الهوائي. ويؤكد أن هذا ما حصل في سني الأرض الأولى. فالتفريغ الهوائي هي تجربة تشبه التي قام بها العالم ميللر للتأكد من إمكانية تشكل المواد العضوية بواسطة فعل الأشعة كمصدر للطاقة وفي حالة خاصة من التفريغ الهوائي. فهي تمثل فرضية تتنبأ بإمكانية تشكل المادة العضوية بهذا الإجراء. أما الجزم بالتأكيد، أن هذا ما حصل في سني الأرض الأولى، فهو تحميل للكلام لما لا يحتمله. إن هذه التجربة تعاني من معوقات خطيرة كما سنبينه لاحقا وذلك من خلال إجراء دراسات كثيرة صحيحة بين فيها علماء مرموقون نقاط الضعف في تلك الفرضية، مما يجعل تشكل المواد العضوية بهذه الطريقة، فرضية غير مقبولة. فكيف يستند

الكاتب إلى فرضية مرفوضة تخالفها الملاحظات العلمية ثم يؤكد بأنها هي مصدر المواد العضوية في سني الأرض الأولى؟

ثم يقول: "ما هو أهم، لم يكن يوجد أوكسجين في الحالة الحرة". فهو قد جزم أيضا بغياب وجود الأوكسجين الحر في البيئة الأولية للحياة. ماذا إذن بشأن الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية التي ستحترق أي مادة حية يقدر لها وفق فرضيات أنصار التطور أن تنشأ، وتقتلها خلال لحظة تشكلها، في حالة غياب وجود طبقات الأوزون مع غياب كامل للغلاف الأوكسجيني الغازي؟ والى ماذا استند الباحث وكيف عرف ان الأوكسجين الحر لم يكن موجودا في البداية؟ وإذا لم يكن الأوكسجين الحر موجودا بداية، فكيف حصل إذن تركيب المواد العضوية الأولية بهذه الكمية الوفيرة بواسطة التفريغ الهوائي والإشعاع بزعمه، والطريقة تلك تحتاج إلى الأوكسجين الحر في الحالة الغازية لتركيبها؟ وإذا كان الباحث لا يؤمن بوجود الأوكسجين الحر في تلك المرحلة، فكيف استند إلى نظرية التفريغ الهوائي والإشعاع التي تحتم وجود الأوكسجين الحر والكربون لتوليد مواد عضوية تحوي في مكوناتها الأوكسجين؟ وكيف أكد لنا دون دليل أن ذلك ما حصل في سني الأرض الأولى؟ إن كلامه هذا يناقض بعضه بعضا ويناقض الفرضيات الأخرى التي ترى بان الغلاف الغازي والأوكسجين الحر لا بد أنهما كانا موجودين منذ أن نشأت الصخور مثلما أكد على ذلك الباحث غريك الحائز على جائزة نوبل*2.

يتابع الدكتور لوريا " عندما تطورت العضويات الحية الأولى ، اقتضى الأمر أن يكون التخمر هو الميكانيكية الوحيدة القادرة على أن تجعلها تتمتع (أي العضويات الحية) بطاقة". فهو هنا قد جزم بان التطور هو أمر لا يختلف فيه اثنان. يعلم الباحث حق اليقين أن التطور هو مجرد فرضيات فقط، لم يقدم أحد أية براهين مؤكدة على صحته، بل إن البراهين المقدمة في سياق هذا الكتاب ومن

كثرة كاثرة من العلماء تشير إلى خلاف التطور. ويكتب "اقتضى الأمر أن يكون التخمر هو الميكانيكية الوحيدة". ما ينفك الدكتور لوريا يذكر تعبير "اقتضى الأمر". إن اقتضاء الأمر يتطلب معلوما هو الذي يقضي بهذا الأمر وليس مجهولا أو نكرة أو عشواء. فهو عندما يكتب ولا يحدد من الذي قضى هذا الأمر، فإنه يترك القارئ في حيرة. اقتضاء الأمر يمثل معلومة تقنية هو آلية اصطفاية اختزالية لذلك ووفقا لعلماء الذكاء الاصطناعي تستوجب وجود مصمم ذكي هو الذي فرض هذا الأمر .

ويتابع الدكتور لوريا ساردا حكايته عن نشأة الحياة الأولى في الكائنات التي تولد الطاقة بواسطة آلية التخمر.

لابد من التوضيح أن عملية التخمر البسيطة كما تم تقديمها تستوجب توفر ما يلي:

1 - توفر مواد عضوية سكرية يدخل الأكسجين في تركيبها إضافة إلى الكربون والهيدروجين.

2 - توفر أنظمة مكتملة ومتنوعة من أنزيمات أو خمائر بما فيها الخمائر النازعة للهيدروجين مثال خميرة دي هيدروجيناز (Dehydrogenase).

3 - توفر مساعدات الأنزيم نيكوتين أميد أدينين دي نيوكليوتيد (NAD).

4 - توفر الماء.

5 - توفر حجيرات هيكلية خاصة داخل البنى الحيوية المفترضة لتحصل التفاعلات ضمنها وإلا قامت تلك الخمائر بهضم الخلية الأولية لنفسها بنفسها واستحال بقاؤها.

6 - توفر أنظمة نقل داخل خلوية تقوم بنقل المنتج من التخمر للاستفادة منه في الموقع المناسب.

لقد استثنى الدكتور لوريا من الصورة كل هذه العناصر المهمة التي ينبغي توفرها لحدوث التخمر. من المعلوم أن هذه الكائنات المخمرة، وكأي كائن حي على وجه الأرض، يجب أن تكون نسبة الماء في تركيب جسمه 70 - 90% من وزنه. الدكتور لوريا لم يذكر لنا الماء على الإطلاق. فهل كانت هذه الكائنات قد تكونت واستطاعت أن تحيا بطريقة ما من غير الماء، أم أن هنالك سببا قد دفعه لإغفال وجود الماء. إن مادفع الكاتب إلى نفي التحدث عن الماء هو زعمه بأن الحياة عند نشوئها كانت العناصر في حالتها الأولية ولم يكن هناك ماء أو غازات باستثناء الهيدروجين والهيليوم على الأرض. فالثير للتساؤل هو أن المادة العضوية لكي تتشكل تحتاج إلى الماء كعنصر ومكون أساسي في تركيبها. والعناصر الحية وحتى المخمرة منها تحتوي وكحد أدنى في تركيبها على 70% من وزنها ماء. أما الماء في تلك البيئة البكر فلم يتكون بعد وفق مزاعم لوريا. فكيف إذن يمكن تبرير تخلق تلك الخلايا المخمرة؟ وماذا بشأن نشأة الخمائر والأنزيمات في مكتنفات هذه المخلوقات المخمرة! من أين جاءت هذه الأنزيمات ومساعدات الأنزيمات. هل أتت من الحساء الحيوي أيضا؟ وإذا كان كذلك فكيف عرفت طريقها إلى داخل هذه البنية الخلوية التي تمثلها هذه الكائنات المخمرة؟ هل تم ذلك بالصدفة؟ أم أن ذلك تم بواسطة آلية دقيقة موجهة؟ ثم ماذا بشأن الجدار المحيط بهذه الخلية المخمرة القادرة على التخمر، هل كان هناك جدار أم لا؟ فإن لم يكن هناك جدار خلوي، فانه لا يمكن حدوث أي من هذه الفعاليات التي تنتهي بالتخمير، ولانتفى التخمر أصلا. وعليه ينبغي تواجد جدار خلوي يحيط بهذه الخلية. فلماذا لم يرد ذكر أي شيء عن بنية هذا الجدار الخلوي المحيط بتلك الخلية المخمرة؟ من المعلوم أن الجدار الخلوي للخلايا الحية سواء في وحيدات الخلايا أو في العضويات الحية متعددة الخلايا يتمتع بصفات معقدة جدا في تركيبه الحيوي، لا يمكن أن يقارن بأي غلاف آخر غير حي في الطبيعة. فهو

يسمح انتقائيا بدخول العناصر التي تحتاجها هذه الخلايا إلى الداخل كما ويسمح بخروج نواتج الاستقلاب إلى الخارج وفق آلية تنظيمية معقدة. فمن غير المقبول أن تتواجد خلية مخمرة لا يحيط بها هذا الجدار الخلوي. ثم أن هناك المكتنفات الخلوية المختلفة التي لا بد أن تملكها تلك الخلية المخمرة التي بدأت بها الحياة كما يفترض الدكتور لوريا. إن مجرد وجود أنزيم مخمر و سكاكر يحيط بها جدار خلوي لا يمكن أن يفضي إلى وجود حياة والى حدوث تخمر. لا بد من وجود العناصر والمكتنفات الخلوية المختلفة داخل هذه الخلية المخمرة ومنها الشبكة السيتوبلازمية الداخلية الخشنة والناعمة، جهاز غولجي، الريبوزومات، الجسيمات الحالة وهي في حالة تناغم وتنسيق أدائي دقيق جدا بحيث أن كل مكتنف من مكتنفات تلك الخلية الأولية يجب أن يؤدي دوره وفق تنسيق زماني ومكاني محدد. ثم والأهم من ذلك، الحمض الريبي النووي الذي سيوفر برمجة البناء البروتيني والقدرة على التكاثر لهذه الخلية. إذ كيف بمقدور هذه الخلية المخمرة أن تقدم الأجيال اللاحقة وتطور الحياة وفق افتراضه، دون أن يكون لديها قدرة على التكاثر؟ من المؤكد أننا وصلنا إلى بنية خلوية غاية من التعقيد متعذرة الاختزال لا بد أنها كانت مجهزة بكل هذه التجهيزات الضرورية لحياتها وتكاثرها منذ البداية. يعبر العلماء عن هذه البنية المذهلة للخلية الأولية بأنها تمتلك تعقيدا يفوق كثيرا أية مركبة فضاء تم تصميمها من قبل البشر. لكن كيف جاءت والتحمت كل هذه المكتنفات المختلفة الحيوية فشكلت لنا تلك الخلية المخمرة المعجزة في بداية الحياة؟ هذا ما لم نجده في تفسيرات الكاتب إلا من خلال كلمة اقتضى الأمر التي لا تقدم تفسيرا واضحا بل تتطلب في ذاتها تفسيراً. في لفظة من قبل القاضي فيليب جونسون إلى تلك التبريرات الجاهزة يقول أنك دائما تجد في مزاعمهم روايات مثل أن الفيل قد احتاج إلى الخرطوم الطويل لشرب الماء وهكذا تطاول الأنف فتحول إلى خرطوم. أما النمر فقد كان

يحتاج إلى الأنياب الطويلة الحادة لالتقاط الفريسة فهكذا ظهرت الأنياب لديه. وأما الزرافة فقد كانت تحتاج لعنق طويل لالتقاط غذائها من الأشجار العالية فتطاول عنق الزرافة. تلك الأفاصيص لاتزال تطلع عليها في كتب البيولوجيا المختلفة حتى في هذه الأيام. كل ذلك مجرد روايات ينقصها الحجج العلمية التي تثبتها والتي ليس بالإمكان الوقوع على أي منها.

يتكلم الدكتور لوريا فيقول: "إن مدخر مركبات الفحم كان ينفذ، على الأرض، بالتتابع كلما توسعت وامتدت أشكال الحياة الأولى، فتراكم الغاز الكربوني في الجو". لكن في بدايات الحياة الأولى وفقا لأنصار التطور كان هناك فقط غاز الهيدروجين والهيليوم والأزوت. لم يوضح لنا الدكتور لوريا بدقة بداية كبحف جاء الفحم للوجود مع بدايات الحياة الأولى؟ ثم ما السبب الذي برأيه قد أفضى إلى نفاذ مدخرات الفحم من الأرض؟ هل ترى بسبب امتداد أشكال الحياة الأولى؟ وهل يعني هذا أن مادة الفحم التي هي بشكل فلزات قد تحولت كلها إلى مواد عضوية وفقا للتفريغ الهوائي المزعوم، ونجم عنه لاحقا مادعي باسم الحساء الحيوي؟ من ثم فإن تلك الكائنات المخمرة قد التهمت ثم استقبلت تلك الكميات الهائلة من الفحم الذي هو على شكل هذا الحساء الحيوي، ومن ثم قامت باستخدامها لتوليد الطاقة اللازمة للحياة، بغياب وجود الأكسجين، وطرحتها لاحقا على شكل غازات كربون في الغلاف الجوي حتى كاد ينضب الفحم من الأرض. لكن الفحم الضروري لتشكيل المواد العضوية يشترط به أصلا أن يكون كالأكسجين في الحالة الحرة الغازية وإلا لما تسنى لتجربة ميللر في تحضير المادة العضوية أن تحدث. عليه فإن الكربون وبعكس ما زعمه الدكتور لوريا كان يفترض به أن يكون منذ البداية في حالة غازية. إن هذا الأمر يتناقض مع التطور لأن التطور يقتضي فقط وجود غازات كالهيدروجين والهيليوم في بداية تشكل الكون وإلا كان يفترض أن يكون الكون منذ بداية نشأته

معقدا. من غير الممكن لتوسع وامتداد أشكال الحياة الأولى المزعومة أن تفضي إلى نفاذ مدخرات الفحم من الأرض بهذا الشكل، لأن نفاذ مدخرات الفحم من الأرض يعني بناء على مزاعمهم ، أن كل مدخرات الفحم قد تحولت أولا وبداية إلى حساء حيوي من المواد العضوية الضرورية، حتى تمكنت هذه الكائنات الحية الأولية المخمرة أن تقوم باستقلابه. بمعنى آخر، يرى الباحث أن ما يعدل كل ما في هذه الكرة الأرضية من مخزونات الفحم في الأشجار والنباتات الخضراء الحية في الوقت الحالي، إضافة إلى كل ما يوجد في باطن الأرض من الفحم الحجري والبترو، الذي استهلك والذي بقي إلى الآن ولم يستهلك، قد قامت هذه الكائنات الحية الأولية المخمرة في وقت ما من الأوقات، عند بدء تشكل الحياة، باستهلاكه بعد أن تم تصنيعه بواسطة التفريغ الهوائي على شكل حساء حيوي و من ثم استقبلته وحولته من جديد إلى غازات كربون منبعثة. وهذا يعني بالتأكيد، أن معامل ميللر أو ما يشابهها في صناعة المواد العضوية، وليس تجربة ميللر الفريدة، قد كانت تعمل في تلك الأوقات ليلا نهارا بشكل فعال وعلى مدى 24 ساعة، لتقدم لنا بلايين الأطنان من الحساء الحيوي يوميا لتوفير الغذاء لهذه الكائنات المخمرة الافتراضية دون أن يكون هنالك في البداية أي شكل من أشكال غاز الكربون في الغلاف الغازي. فأنصار التطور يصرون على أن الفحم كان في حالة فلز ولم يكن بشكل حر غازي إلا في مرحلة لاحقة لكنهم يستندون أيضا إلى تجربة ميللر التي تشترط وجود الكربون الحر وهو الغائب عن حالته الغازية وذلك بقصد تشكيل المادة العضوية الضرورية لنشأة الحياة. ونحن بدورنا نطرح تساؤلا كيف يمكنهم أن يوفقوا في مزاعمهم بين الشيء ونقيضه في نفس الوقت؟ أضف إلى أن فرضية التفريغ الهوائي هي فرضية خاصة ومقيدة افترضها أنصار التطور، كآلية لتكوين مادة عضوية أولية هي الحساء الحيوي، بمقادير

محدودة جدا و صدفةً، وذلك وفق زعمهم من اجل تشكل المادة العضوية تمهيدا
لنشوء الحياة.

أما أن يصبح هذا الحساء الحيوي شكلا من أشكال الوجبات الجاهزة الذي
تستفيد منه كل تلك الكائنات الحية القادرة على تخمير المواد العضوية، ومن
ثم يؤدي إلى نفاذ مليارات الأطنان من مدخرات الفحم من على وجه الأرض، فإن
ذلك يعني أن مليارات غير منتهية من تلك الخلايا المخمرة قد تصادف وجودها
في البداية على سطح المعمورة. وهذا يطرح سؤالاً: كيف تسنى لمثل هذه الكائنات
أن تحيا مع محدودية المصدر الغذائي وهو الحساء الحيوي إلا من مقادير
تجريبية فقط وبغياب مطلق للأكسجين لتأمين الوقاية في الغلاف الجوي؟ إن
هذه المزاعم الغريبة لأبد أن تنسف فرضية الحساء الحيوي وتنسف مزاعم نشوء
الحياة*2، وفق زعم أنصار التطور في تلك المرحلة المبكرة. إن فرضية الحساء
الحيوي والخلايا المخمرة كيفما تم التحايل عليها فهي تعاني من معوقات
خطيرة تجعل إمكانية حدوثها مستحيلة تجريبيا وعلميا. لذلك فالكلام عن
نشأة الحياة في مراحلها المبكرة وفقا للمزاعم التطورية يبقى كلاما ضبابيا
يفتقر إلى الدلائل العلمية العديدة غير المتوفرة. لكن من الواضح أن الدكتور
لوريا ومن خلال ما زعمه من تراكم الغاز الكريوني في الجو، كان يعد القارئ
ذهنيا ويمهد له، وبشكل مسبق كما هي العادة في القوالب الجاهزة لظهور عملية
التركيب الضوئي ونشأة النباتات الخضراء الحية. وفي الحقيقة، وخلافا لما
يزعمه الدكتور لوريا في نهجه التطوري، لم تكن الغاية في يوم من الأيام من
وجود النباتات القادرة على التركيب الضوئي إعادة مدخرات مركبات الفحم
الذي كان ينفذ إلى الأرض، لأن مركبات الفحم لم تغادر الأرض بداية كما بينا
حتى تتطلب من يعيدها إليها. كيف يستقيم أن تصبح أكثر مدخرات الفحم
بحالة غازية في الهواء وتتسنى هنالك أية فرصة لنشوء أي شكل من أشكال

الحياة على الأرض؟ إن الغاية الأساسية لهذه النباتات الخضراء هي تحويل العناصر اللاعضوية كالفحم والأكسجين والهيدروجين والنيتروجين إلى مركبات عضوية تمكن المخلوقات الأخرى التي لا تستطيع القيام بالتركيب الضوئي مثل تلك الكائنات المخمرة من أن تستفيد منها في توليد الطاقة التي تلزمها لحياتها. وهذا يناقض جذريا كل منطلقات التطور لأن الأمريستوجب وجود النباتات الخضراء منذ المراحل الأولى لبدء الخليقة وقبل ظهور تلك المخلوقات المخمرة، كما يستوجب وجود الأكسجين الحر في الهواء. هذا ما يبدو عليه الحال جليا في الطبيعة الآن. فجميع المركبات العضوية من دون استثناء التي تعمل الكائنات الحية العاجزة عن القيام بعملية التركيب الضوئي على الاستفادة منها واستقلابها كمصدر وحيد لتوليد الطاقة التي تحتاجها هي في تكوينها خلافا لرأي أنصار التطور، قد تأتت من النباتات الخضراء التي بوسعها أن تقوم بعملية التركيب الضوئي، وليس من الحساء الحيوي المزعوم والذي لاوجود له على الأرض اليوم ولم يكن أيضا إلا مجرد مزاعم فيما مضى. أما ارتفاع تركيز غازات الفحم في الغلاف الجوي عن حد معين بالشكل والمقدار الهائل الموصوف أنفا فسوف لن يفضي كما افترض الكاتب إلى تطور كائنات جديدة تستخدم التركيب الضوئي لاستعادة ذرات الفحم الجوية أو إلى توسع وامتداد أشكال حياة جديدة وظهور النباتات الخضراء، بل على العكس من ذلك سيفضي إلى احتباس حراري يؤدي لتأذي وقتل تلك النباتات الخضراء التي تقوم بعملية التركيب الضوئي إن تسنى لها الوجود. إن ظاهرة الاحتباس الحراري Green house effect والذي من أسبابه ارتفاع تركيز غاز الكربون في الجو التي نراها الآن وما نجم عنها من أشكال التصحر المترافق مع تراجع في الغابات الخضراء في الطبيعة فهي خير دليل تطبيقي علمي على الآثار الضارة الناجمة عن زيادة غازات الفحم في الجو. إن هذا يطرح تساؤلا مهما حول طريقة أنصار

التطور في تقديمهم للتفسيرات الجاهزة دون أن يستندوا إلى الدلائل العلمية التطبيقية والتي عادة ما تناقض تبريراتهم التي يقدموها مما يجعلنا نتساءل فيما إذا كانوا يتكلمون علما حقيقيا أم قصصا مخترعة من وحي الخيال . فالمعطيات العلمية تؤكد في المراحل الأولى لنشوء الحياة على ضرورة وجود غلاف جوي محيط بالأرض مطابق في تركيبه وعناصره للغلاف الجوي الحالي لن يتسنى لأشكال الحياة الأولى أن تتخلق بدونه.

لقد أتينا على أن المواد العضوية ما كان لها لتنشأ بأية حالة من الأحوال بالطريقة التي قدم لها أنصار التطور. فإذا كانت المواد العضوية قد تواجدت، فإن البديل الوحيد الذي يجعلها متوافرة بدلا عن فرضية الحساء الحيوي، هو طريق تثبيت غازات الغلاف الجوي بواسطة آلية التركيب الضوئي من خلال النباتات الخضراء، ولاشيء آخر بخلاف ذلك. فإذا ما تبين أن المواد العضوية في المرحلة المبكرة لنشوء الحياة، قد تكونت بواسطة تثبيت الغازات، وتصنيع المركبات العضوية في النباتات الخضراء، وهو ما تنجزه دائما النباتات الخضراء الحاملة لليخضور كما نراه في الطبيعة الآن، فإن هذا يعني حتما أن النباتات الخضراء قد سبقت في نشأتها وتخليقها الكائنات الافتراضية التي تقوم باستخدام التخمر كوسيلة لتنفسها وتوليد الطاقة لديها. بناء على هذا الكلام، يمكن القول بأنه لايمكن للتخمر أن يكون الميكانيكية البدائية و الوحيدة القادرة على أن تجعل العضويات الحية تتمتع بالطاقة عندما ظهرت تلك العضويات للحياة مع بداية التخلق كما يرى أنصار التطور. ان افتراض تكون الكائنات الحية المخمرة بدايةً يتناقض مع أساسيات التطور. فأنصار التطور يفترضون أن الأشياء تبدأ من الأبسط ومن ثم تميل للتعقيد. وبما أن النباتات الخضراء هي من بين كل المخلوقات، القادرة على تثبيت العناصر اللاعضوية وتحويلها إلى مواد عضوية، فيفترض أن تكون من بين الكائنات الحية الأولى التي تخلقت، ومن ثم تبعها بقية

الكائنات الحية الأخرى التي تعجز في ذاتها عن القيام بعملية التركيب الضوئي، لتستفيد مما تنتجه النباتات الخضراء من المواد العضوية. إن هذا يعني ، على الأقل من الناحية العملية، أن الكائنات التي تلجأ إلى تخمير المواد العضوية شأنها شأن الكائنات التي تتغذى على المواد العضوية كالحوانات والإنسان، وتستفيد من منتجات النباتات الخضراء، هي كائنات تعتبر عالية على غيرها في سلم التطور المزعوم، عند مقارنتها بالنباتات الخضراء، وهذا يفترض منطقياً أن تكون قد جاءت لاحقاً إلى الوجود وليس سابقاً، كما زعم أنصار التطور. وهكذا فالحجة العلمية تستوجب أن التعقيد البنيوي ممثلاً بالنباتات الخضراء قد كان له السبق مع بدايات الحياة. تتوافق هذه الرؤيا مع المشاهدات العلمية الكثيرة في عالم المستحاثات والتي أتينا على بعض منها والتي تشير إلى وجود آثار حقيقية للنباتات الخضراء في الأحقاب الأولى لنشأة الحياة. ثم يتكلم الدكتور لوريا عن ال ATP وأهميته في تزويد الخلايا بالطاقة، ويغض الطرف عن الآلية التي يتم من خلالها اصطناع جزيئات ال ATP وهو الاديونوزين ثلاثي الفوسفات، والذي يتطلب سلسلة معقدة من التفاعلات التي تحتاج إلى أنزيمات خاصة متنوعة ينبغي توفرها كلها سوية، وفي آن واحد داخل الخلية الحية، لحصول التفاعلات اللازمة لتوليد تلك الطاقة. إن نقص أي وحدة أنزيمية في هذا النظام الطاقوي، سوف يؤدي بكامل العملية إلى التوقف وفقدان القدرة على بناء جزيء ال ATP*3. إضافة إلى أن عملية توليد الطاقة هي عملية معقدة ومشاركة ومتضافرة بحيث لا يمكن أن تتم بوجود مركبات وغياب أخرى. لذلك أطلق الدكتور Behe على هذه العملية، مثل قريناتها من العمليات الحيوية المعقدة والدقيقة على المستوى الجزيئي، مسمى عمليات التعقيد متعذر الاختزال (Irreducible Complexity) 4. فالعملية إذن ليست بهذا الشكل من التبسيط كما يحاول

أنصار التطور أن يقدموها لنا: "وقد خدم هذا الـ ATP من أجل جلب الطاقة إلى سلسلة من التفاعلات التي تحتفظ بالغاز الكربوني".

يكتب الدكتور لوريا في موضع آخر من الكتاب " لم يكن التركيب الضوئي ، في البداية، امتيازًا إلا لبعض أنواع الباكثيريات. بيد أن تقدما جديدا ظهر - يحتمل أنه قد حصل بعد ذلك بمئات ملايين السنين أن: ظهر الشكل الخاص للتركيب الضوئي الذي يحصل في أيامنا لدى النباتات الخضراء، البرية أو المائية. هذا التركيب الضوئي يتفرد بأنه، في الوقت نفسه الذي يلقط فيه الغاز الكربوني ، يطلق الأوكسجين. نتيجة لهذه السيورة ، ظهر الأكسجين في الجو، الأمر الذي غير جذريا، مجرى الحياة على وجه الأرض. كان الأكسجين ، يجعله التنفس ممكنا، يزيد زيادة كبيرة كمية الطاقة القابلة للاستعمال والتي كانت الكائنات الحية تستطيع الحصول عليها من الأغذية العضوية. بهذا الشكل ، تلتقط النباتات ، بواسطة التركيب الضوئي ، الغاز الكربوني وتصنع المواد العضوية التي تغذي بها جميع الحيوانات وتجلب، في الوقت نفسه الأكسجين الذي بفضلها تستعمل الحيوانات هذا الغذاء إلى الحد الأقصى". لقد تأخر الكاتب كثيرا في تقديمه للأكسجين إلى توليفة الحياة. يستنتج من هذا الكلام كما يرى الكاتب أن الأكسجين قد ظهر في الغلاف الجوي بعد أن ظهرت النباتات الخضراء التي تقوم بالتركيب الضوئي، وعن طريق هذه النباتات. لكن ومن أجل تواجد هذه النباتات الخضراء وكل المخلوقات الحية على الأرض، لابد من وجود غلاف غازي يحميها من الأشعة الكونية المدمرة والأشعة فوق البنفسجية الفتاكة والقاتلة. إن طبقة الأوزون O_3 كما هو معلوم، هي الطبقة الجوية التي تقي الأرض والمخلوقات الحية من هذه الأشعة الكونية التي لا يمكن أن تسمح للحياة بالنشوء إذا لم تتم فلترتها. هذا يعني أن طبقة الأوزون هذه، لابد أنها قد كانت موجودة بالتأكيد قبل ظهور النباتات الخضراء في الطبيعة وذلك

لتأمين الوقاية والحماية لها. وهذا بالتالي يدل على أن الأكسجين الحرق قد تواجد على سطح الأرض وفي الغلاف الغازي قبل نشوء الكائنات الحية ومن أجل نشوئها*5 .

يؤكد وجهة النظر هذه العالم (فرانسيس كريك) مكتشف نموذج ال DNA والحائز على جائزة نوبل حين يقول " إن دراسة الصخور في كل الأحقاب توضح بشكل لا يقبل الشك، أنها قد تشكلت تحت تأثير غلاف جوي يحتوي الأكسجين. وبما أن الوضع بهذا الشكل، فإن الغلاف الجوي للأرض في مراحلها المبكرة قد احتوى بالتأكيد على الأكسجين" *6.

لقد أدلى العالم غريك بالمعلومة المهمة تلك وأصبحت متداولة على النطاق العلمي قبل أن ينشر الدكتور لوريا مؤلفه هذا، مما يعني أن الدكتور لوريا كان مطلعاً على هذه الحقائق العلمية التي قدمها العالم غريك. ومع هذا فقد أغفلها تماماً وتجاهلها في طرحه.

يكتب أيضاً الدكتور لوريا في الصفحة 92: " إن انتهازية الاصطفاء الطبيعي أتاحت وقاية جميع الأشياء التي برهنت على نفع تال بالنسبة للحياة. مثلما يكون خطأ اعتبار التطور كصيرورة تؤثر العضويات الحية "الأقوى" على حساب العضويات الحية "الأضعف" التي ربما كانت سوف تجد نفسها مكرهة على الزوال، لا شيء يسمح بالتفكير بأن الاصطفاء الطبيعي، وقد وجد منظومة أكثر فعالية من أجل تعبئة الطاقة اللازمة لسيرورات الحياة، ربما يكون قد استطاع إبعاد جميع السيرورات ذات المردود الأقل. إن أعظم حكمة، سواء فيما يتعلق بالتطور كما فيما يخص الشؤون الإنسانية، تكمن بالتأكيد في الحفاظ على توازن بين الأنماط المختلفة، المتكاملة والتي تتوطد بالتبادل، لإنجاز مهمة." .

لقد تبين من تجارب عديدة أن الكتاب الذين يرغبون بتقديم نهج زائف ويسوقون له على أنه عين الحقيقة فإنهم يلجؤون إلى التعابير الموهمة التي يعوزها

الوضوح والدقة. إن العديد من العلماء يجمعون على أن أنصار التطور عندما يريدون أن يقدموا طرحا غير دقيق فهم يلتمسون ألفاظا ضبابية تحتمل معان مختلفة وربما المعنى وعكسه في نفس الوقت بحيث يتعذر على القارئ أن يكون فكرة جازمة حول الموضوع وقد يتطلب الأمر منه أن يتبرع بنفسه فيقوم بتقديم تفسير لما يعتقد أن الكاتب يبتغيه. يقدم الدكتور لوريا هنا تعبير الانتهازية للاصطفاء الطبيعي. والكاتب يقصد بالانتهازية، قدرة الاصطفاء الطبيعي على اختيار الأفضل وفي نفس الوقت الحفاظ على حياة الكائنات الأقل صلاحية. ونتساءل كيف استطاع أن يوفق بين النقيضين. الاصطفاء الطبيعي كما وضحه دارون يعني إلغاء، بل وإقصاء الأقل كفاءة عن البقاء من بين الكائنات. وهذا يعني بالضرورة أن الكائنات الأقل كفاءة سوف تؤول مع الوقت للانقراض. لكن ما نشاهده في الطبيعة هو وجود أعداد غفيرة من الكائنات الحية الأخرى تشارك الإنسان حياته على سطح الأرض، مع أنها أقل كفاءة منه وصلاحية للبقاء. فكيف إذن الخروج من هذا المأزق؟ انه بواسطة الانتهازية في الاصطفاء الطبيعي، والتي تعني فيما ذكره لوريا "الحفاظ على توازن بين الأنماط المختلفة، المتكاملة والتي تتوطد بالتبادل، لإنجاز مهمة." وهذا ما دعاه أعظم حكمة في التطور. لنعد الآن إلى عبارة "الحفاظ على التوازن بين الأنماط المختلفة" أي بين الأفضل والأقل صلاحية وكفاءة. فإذا قلنا بالحفاظ على الكائنين كليهما الأفضل والأقل صلاحية، فان مفهوم الاصطفاء الطبيعي ومفهوم البقاء للأصلح اللذين يقوم عليهما التطور، قد أصبحا لاغيين لا معنى لهما ولا قيمة. لان الأفضل والأقل صلاحية أصبحا بفعل هذه الانتهازية، لديهما فرصة متساوية ومشاركة للبقاء. وبالتالي، فان الكاتب يكون قد نقض بهذه الطريقة الاصطفاء الطبيعي وبالتالي التطور كمبدأ بكامله. أما إذا قلنا أن الحفاظ على هذا التوازن قد نجم عن أعظم حكمة في التطور. وذلك لان التطور

بمقدوره أن يوازن بين الأنماط المختلفة للكائنات المختلفة ويستطيع أن يحافظ على الكائنات الأقل رقيا في سلم التطور بالرغم من أنها أقل تطورا، وفي نفس الوقت يتيح المجال للمخلوقات الأكثر تطورا بالتواجد والتكاثر، بشكل يؤمن فيه التوازن بين كل تلك الكائنات، لاستمرار الحياة مع تأمين المصلحة المتبادلة بين تلك الكائنات المختلفة، وعموم المنفعة المشتركة بينها. كل ذلك يتم بواسطة التطور الذي "يفترض" أنه يعتمد أساسا وبشكل مطلق على قوى غير موجهة كالعشواء والطفرات والعفوية والصدفة، فلا بد أن يكون هذا التطور الذي يقدمه لوريا شكلا جديدا من التطور (اصطفائي اختزالي) يختلف عن الذي درسناه في المدارس والجامعات. فهو يتمتع بنظام معلومات مقارن وبقدرة خارقة على التمييز والاختيار لا يتمتع بها جميع العقلاء من البشر، حتى وإن تضافرت مواهبهم بشكل مشترك، إنه يتكلم عن خصائص إعجازية لا يقربها أنصار التطور، أو لربما أن الكاتب هنا يتكلم عن مصمم ذكي حكيم عليم، خلق الكائنات ثم نظم العلاقات والروابط بينها وأسس لبقائها جميعا حياة متعايشة. إن الاصطفاء الطبيعي الذي كان دارون يعنيه من خلال التهجين الذي جرى على الكلاب أو على بعض الطيور وحتى من خلال ملاحظاته على عصافير جزر غولوبوغس لم يتعد مجرد ظهور صفات شكلية متنحية كانت خافية في الجمهرة الوراثية وظهرت بفعل إما الاصطفاء الاصطناعي أثناء التهجين أو بفعل تأثير عامل البيئة الذي أدى لظهور تلك الصفات المتنحية في مناقير تلك العصافير الموجودة أصلا في الجمهرة الوراثية، وعندما عادت الظروف البيئية كما كانت عادت المناقير الاعتيادية لتسود. فما بنى عليه دارون من تجاربه وملاحظاته لم يكن بالتأكيد اصطفاء على الإطلاق لأن الاصطفاء يستوجب وجود صفات جديدة قد تكونت ولم تكن أصلا موجودة، وهذا ما لم يحصل في تجاربه وملاحظاته. أما ما عناه أنصار التطور المعاصرين فهو الاصطفاء من بين

الصفات الوراثية الجديدة المتولدة الناجمة عن الطفرات. ومرة أخرى يجمع العلماء الاختصاصيون في هذا الإطار أن ماسماه أنصار التطور بمصطلح الطفرات لاتعدو كونها إما تشوهات قاتلة وإما تشوهات مرضية سلبية التأثير وفي أحسن أحوالها حيادية ستتلاشى بحكم عدم جدواها. وحتى أن تلك التشوهات عندما تصيب المورثات فإنها ذات طبيعة انتقائية تختار مواقع محددة على مستوى الصبغيات بشكل له دلالة وبآلية اصطفايية اختزالية تتنافى مع الصدفة كما أكدته الدراسات الحديثة. وبالتالي لا يمكن لمثل هذه التشوهات أن تفضي إلى تلك الخصائص الإعجازية التي قدمها لوريا ونسبها لهذا الاصطفاء الطبيعي المزعوم. إن أنصار التطور انتقدوا بعنف الدلائل والبراهين الدينية لأنها تستند إلى المعجزات والخوارق التي لا يقرون بها وفقا لمنظورهم المادي التجريبي. لكن عند الدخول في التفاصيل تجدهم كما في الفقرة السابقة هم أنفسهم يخرقون معجزات للبرهنة على مزاعمهم.

في محاولة تقليد الظروف الأولى الافتراضية للأرض في المراحل الأولى المزعومة لتشكل الحياة أجرى العلماء تجارب متعددة:

لقد عانى الكيميائيون أثناء تصميمهم لتجارب تفضي إلى بناء جزيئات بسيطة وفقا للنموذج الذي افترضه أنصار التطور لنشوء الحياة من مشكلات جملة، ومن بين تلك المشكلات ضرورة وجود طاقة تفسح المجال لربط الجزيئات البسيطة من أجل بناء جزيء أكثر تعقيدا. إن مصادر الطاقة التي يفترض أنها كانت متوفرة في حينه، هي من الشمس أو البرق أو من تفكك المواد المشعة ومن الحرارة. فأما الأشعة الشمسية وهي المصدر الأكثر توفرا، فمن المعلوم أن الإشعاعات الخام (غير المحجوبة) والتي تحوي الأشعة فوق البنفسجية، هي أشعة فتاكة تدمر أي جزيء حيوي ضروري لبدء الحياة مثل الحموض الأمينية والبروتينات وال DNA وال RNA. فالأشعة فوق البنفسجية تقتل الجراثيم

عن طريق تعطيل وعطب أجزائها. إن كل أشكال الحياة بدءاً من الباكثيريات ونهاية بالإنسان، سوف تصاب بالدمار نتيجة لتعرضها لمثل هذه الإشعاعات. لك أن تتخيل كمثال مقارن إنساناً أصيب بصاعقة. فهل ترى، سيتحول في تركيبته إلى بنية أكثر تعقيداً - كسوبرمان، أم أنه سيتأذى بشكل شديد ما لم يقتل بسبب الصدمة. وإنه باستخدام مصادر الطاقة الخام، من أي مصدر أخذت، فإن النتيجة النهائية هي أن نسب التخرب في المادة الحية ستتجاوز بمراحل كثيرة نسبة البناء المتوقعة. والسؤال المهم هو التالي، كيف تمكن ميللر في تجربته الشهيرة من بناء بعض الحموض الأمينية. لقد قام باستخدام مصيدة جمع فيها هذه الحموض. لقد استخدم بعض الغازات وجعلها تجول بشكل مستمر داخل طاقة خام (تشبه البرق). لكن بدون هذه المصيدة التي حجز بها تلك المواد المتشكلة، فإنه لم يكن بمقدوره الحصول على أي شيء، والسبب يعود إلى أن تلك المواد كانت ستعرض للدمار بمجرد تشكلها وبسرعة تتجاوز بكثير سرعة تولدها*7.

لكن، هل كان هنالك مصيدة متوفرة لعزل تلك الحموض الأمينية في تلك المراحل المبكرة من تشكل الأرض؟ ليس هنالك من شك بأن مثل هذه الحموض الأمينية المتشكلة سوف تتلف بشكل سريع قبل أن يحالفها الحظ لتصل إلى المحيط. وحتى المحيطات نفسها لن يكون بمقدورها أن تؤمن ظروفًا ملائمة لبقاء هذه الحموض لأن العمليات التخريبية في المحيطات ستعمل أيضاً على إتلاف هذه الحموض الأمينية المزعومة مباشرة. فضلاً على أن تلك المحيطات لم تكن تحتوي على الماء أصلاً ولا نستطيع التكهّن في نوع البديل عن الماء الذي كان فيها. وبكل الأحوال، فإن ما كان يعتمد على أنه مصيدة في التجربة، هو في النهاية ما سيعتبر ناقضاً لهذه الفرضية برمتها. لأن الهدف من المصيدة هو عزل المواد الناتجة عن مصادر الطاقة والتي ستطرح بها إذا ما استمر وجود هذه

الطاقة، وهذا ما سيؤدي بالعملية إلى تعثر كامل. إن توافر كمية كبيرة من الطاقة لاحقا أيضا أثناء بناء البيبتيدات، هو أمر مهم لاتحاد هذه الحموض الأمينية. وبالتالي فإن عملية العزل بواسطة المصيدة تعني عدم تأمين الطاقة لهذه المواد الأولية. وبالتالي فإن العملية برمتها ستتوقف أيضا. بمعنى أنك لن تستطيع أن تؤمن الطاقة فقط للتوليد ثم بعد التوليد تعزل ما تولد من الحموض الأمينية، لأن إجراءات التوليد والتفكيك هي إجراءات مترافقة. ويفترض جدلي أن تلك الحموض الأمينية قد تم عزلها، فقد ثبت أن نصفها من النوع ذات الاصطفاف الفراغي اليميني والنصف الآخر اصطفافها يساري على حين أن جميع الحموض الأمينية الحيوية في الكائنات الحية هي من النوع ذات التوزع الفراغي اليساري. وهذا يعني أن النصف اليميني سيكون مخربا إذا اتحد أو في أحسن الأحوال لاقيمة حيوية له. إن بناء البروتين من هذه الحموض الأمينية المتشكلة يعتبر عملية غاية في التعقيد مقارنة مع كل ماسبق. فلتشكيل متعدد بيبتيد واحد ذوقيمة حيوية نحتاج إلى ما لا يقل عن 200 حمض أميني ذات توزيع هندسي ملائم لتتراكب مع بعضها وفق تصميم مناسب ليكون متعدد البيبتيد ملائما للحياة. والسؤال التالي هو كيف اندمجت تلك الحموض الأمينية مع بعضها لتشكل بنية تركيبية مناسبة حيوية بهذه الدقة المؤهلة للحياة؟ هل جاءت عفويا؟ أم من خلال نظام معلومات معقد هو الذي أهل تلك الحموض لتصطف اصطفافها التي هي عليه؟ والسؤال الذي يليه من أين جاء نظام المعلومات هذا الذي أتاح هذا الاصطفاف الدقيق بحموض ذات توزع فراغي يساري؟ ثم نأتي إلى الطامة الأكبر وهي أن متعدد بيبتيد واحد لا يمكن أن يقدم أي فائدة في بناء أي أساس افتراضي لأي حياة. نحن نحتاج وكحد أدنى لأجل بناء ما يدعوه أنصار التطور الخلوية الأولية إلى توافر أكثر من مائتي بروتين ذات وظائف متنوعة بنيوية وهيكلية وحيوية وخصائية تتضافر في عملها كلها وفق

آلية متناغمة لتوليد خلية أولية. وإذا ماتسنى لكل تلك البروتينات أن تتوافر بطريقة أو بأخرى!! فلا بد من تواجد آلية ما تسمح لتلك البروتينات من أن ترتبط مع بعضها وفق النظام التصميمي الملائم للحصول على بنية قابلة للحياة وهذا بالتأكيد يحتاج من جديد إلى نظام معلومات دقيق جدا ومبرمج يفوق بمراحل أي نظام أتمتة وجد أو سيوجد من إبداع الإنسان. وحتى لو وجدت كل تلك الإعدادات جاهزة بحيث تمكنا من الحصول على بنية خلوية أولية، فإننا سنقع في معضلة جديدة ألا وهي أن تلك البنية هي كائن لا حياة فيه. والسؤال الملح الآن كيف بالمقدور نقله من عالم الجملادات إلى عالم الأحياء؟ وحتى في حال كانت تلك البنية بنية حية فإننا سنصل إلى طريق مسدود في النهاية لأن مثل تلك البنية إن وجدت فهي لن تستطيع أن تبقى على الحياة قائمة دون أن تتمكن من التكاثر ونقل مورثاتها إلى الأجيال اللاحقة. فالكريات الحمراء مثلا تستطيع أن تبقى حية لثلاثة أشهر لكنها بعد ذلك ستموت وتتفكك وتزول فهي لا تملك أي قدرة على التكاثر. وها نحن نعود إلى نقطة الصفر من جديد. إننا بحاجة ملحة إلى نظام تكاثري معقد حتى تستمر الحياة. إنه نظام ال DNA الكروموزومات والحموض النووية والمورثات. لقد استنتج عالم الكيمياء الفيزيائية D.E. Hull قديما منذ عام 1960 بعد أن اخذ بعين الاعتبار نسبة التخريب الحاصل مقابل التوليد الذي سيحصل أن "عالم الكيمياء الفيزيائية، والمؤيد بالأسس المبرهن عليها علميا من التيرموديناميك ومبادئ الحركة، لا يمكنه أن يقدم أي تشجيع لعالم الكيمياء الحيوية الذي يريد لمحيط، حتى وان كان مليئا بالمركبات العضوية، أن يقوم بتشكيل شعيرة ميتة" *8. إن افتراض حدوث كل تلك الأحداث السعيدة عفويا وفي نفس الزمان والمكان كما يزعم أنصار التطور هو في حقيقة الأمر معجزة حقيقية تفوق حد التصور. لا يمكن لتلك التغيرات المحدودة المزعومة أو للاصطفاء الطبيعي أن تقدم التفسير

العلمي الصائب لها. إن العلم والقوانين التي في الطبيعة تدعم بشكل مطرد حقائق التصميم الذكي.

إن " الخلية الأولى" التي يعتقد التطوريون أنها أصل الحياة لم يكن ليتسنى لها البقاء حية بوجود تلك المعدلات الكبيرة من الأشعة الشمسية فوق البنفسجية، والتي يفترض وجودها نتيجة للبيئة الكونية منقوصة الأكسجين المزعومة. حيث لن يكون هنالك حزام من الأوزون لامتصاص تلك الأشعة وفلترتها*5. لذلك تم اقتراح وجوب وجود غلاف غازي يحتوي على الأكسجين منذ بداية ظهور أقدم الطبقات الصخرية في الأرض 9.

إن التفاعل الكيميائي الذي يحدث أثناء التصنيع الحيوي، والذي يفترض أنه حدث (كما يزعم أنصار التطور) بحيث أدى إلى ارتباط الحموض الأمينية لتشكيل متعدد البيبتيد (وهو المركب الناجم عن اندماج مجموعة من الحموض الأمينية مع بعضها)، هو تفاعل ردود. إن هذا يعني أن هذا التفاعل يعود أدرجه بحيث يعيد مباشرة متعدد البيبتيد المتشكل إلى حموض أمينية متفككة. وفي بيئة غير حية، فإن كلا التفاعلين إن وجداً، فإنهما كانا يحدثان في نفس الوقت. فالمحصلة هي الصفر. أما إذا كانت الظروف توجه إلى أن التفاعل الردود التفكيكي كان أسرع من تفاعل البناء، فإن النتيجة ستكون بعد فترة اختفاء الحموض الأمينية بشكل كامل وإلى الأبد*10. الكيمياء الحيوية تقول أنه على الرغم من أن هنالك إمكانية لتشكيل الحموض الأمينية في ظروف مائية، فإن الخطوة التي ستبعتها هي الارتباط العضوي لهذه الحموض الأمينية لتشكيل متعدد البيبتيد. إن هذه العملية تتطلب وجود ظروف جافة. وتحت هذه الظروف الجافة، فإن الخطوات اللاحقة والتي تتبع، من أجل تشكيل خلايا تحوي نسبة كبيرة من الماء سوف لن تكون ممكنة*11. إضافة إلى كل ذلك: فلا يوجد أي

دلائل جيولوجية تشير إلى وجود ذلك الحساء العضوي، أو حتى أية بركة عضوية صغيرة قد تواجدت في هذه الأرض *12.

لقد أصبح من الواضح أنه كيفما ظهرت الحياة على الأرض، فإن الفكرة التي تم تصورها وتسويقها من أن الحياة قد نشأت من خلال وجود حساء من المواد الكيميائية العضوية هي أقل الفرضيات قابلية للتصديق. وعلى هذا الأساس يمكننا أن ندعو بإنصاف، هذا التصور باسم " أسطورة الحساء ما قبل الحياتي" *13.

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - سلفادور ثوريا، الحياة تجريبية غير مكتملة. ترجمة محمد حسن إبراهيم.
مطابع وزارة الثقافة. سوريا 1994

مراجع البحث باللغة الانكليزية:

- 1-Harry Clemmey & Nick Badham in their article "Oxygen in the Precambrian Atmosphere: An Evaluation of the Geological Evidence" in *Geology*, Vol. 10, March 1982 p:141
- 2- Charles B. Thaxton, Walter L. Bradley & Roger L. Olsen as a statement that biogenesis (chemical evolution) could not have formed in the way evolutionary theory demands. Written in their book "The Mystery of Life's Origin: Reassessing Current Theories", Philosophical Library: New York, 1984 p:66.
- 3- Jerry Bergman, ATP: The perfect Energy Currency form the Cell. CRSQ Volume 36(1) June 1999
- 4- Behe, Michael. 1996. Darwin's black box: The biochemical challenge to evolution. The Free Press. New York.
- 5- Science News, December 24 & 31, 1988 p:423.
- 6- New Scientist, Vol. 87, July 10, 1980 p:112; *Geology*, Vol. 10, March 1982 p:141
- 7- A.E. Wilder-Smith, "The Natural Sciences Know Nothing of Evolution", Master Books: San Diego, 1981 p:9-1. , Nature 186:693.
- 8- D.E. Hull
- 9- Harry Clemmey & Nick Badham in their article "Oxygen in the Precambrian Atmosphere: An Evaluation of the

Geological Evidence" In Geology, Vol. 10, March 1982
p:141.

10- A.E. Wilder-Smith, "The Natural Sciences Know
Nothing of Evolution", Master Books: San Diego, 1981 p:9-
14.

11- Science News, Vol. 134, 1988 p:117; Nature, August 18,
1988 p:609-611

12- Michael Denton , "Evolution: A Theory in Crisis", Alder
& Alder: Bethesda
(Maryland), 1986 p:261

13- Charles B. Thaxton, Walter L. Bradley & Roger L.
Olsen, "The Mystery of Life's Origin: Reassessing Current
Theories", Philosophical Library: New York, 1984 p:66

-7- البيولوجيا الجزيئية والتطور

يجمع أنصار التطور في اعتقادهم ان الكائنات الحية كلها قد نشأ بعضها من بعض وأنها ترتبط ببعضها بأسلاف مشتركة واحدة. ربما كانت الخلية الحية كما يزعمون هي العنصر الحي الأول الذي جاءت منه كل الكائنات الحية الأخرى. فهم يعتقدون أن التطور في الكائنات قد بدأ من الأدنى وهو الخلية الحية، ثم تطور إلى الأعقد فالأعقد حتى وصل إلى الإنسان. حصل هذا التطور ببطيء زماني ومن خلال طفرات عشوائية، طرأت على تلك الخلايا الأولية في مستوى مورثاتها. تمتعت هذه الطفرات بصفات جيدة إيجابية تفوق في جودتها تلك المورثات الأم التي انحدرت عنها، مما أدى بذلك لاحقا، إلى تشكل أنواع من الكائنات الحية الجديدة التي انفصلت عن أمهاتها القديمة، بحيث نما وتشكل نوع جديد من الكائنات مع مرور الملايين من السنين. وهكذا تطورت الحياة من خلال قانون الاصطفاء الطبيعي، إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن، من تنوع في الكائنات في عالمنا الحاضر. ومن المفيد نقل بعض ما جاء به المتكلمون في التطور ليكون شاهدا في هذا البحث:

يقول ماكس دوسيكا في كتابه (La Vie de la cellule a l homme) في ترجمة لمحمد حسن إبراهيم ❖ : " حيث أن جذور شخصيتنا البيولوجية تمتد لتصل إلى الخلية المنفردة للحيوان الاولي (Protozoaire) . سنكشف بالنظر إلى هذا كله أمرا مفيدا ، يتمثل في أن لا كائن صنع نفسه لوحده ، وأن الكائنات النهائية الحالية، التي وفقت ، ماهي إلا مستحاثات حية حقيقية. وقد لا يكون إنسان اليوم سوى لحظة في حركة الطبيعة السرمدية التطور، التي يهمننا أن نسبر غور أصولها بغية معرفة اتجاهاتها. إن هذا التحليل،

للروابط التي تربطنا بكل حيوانات التاريخ مثلما تربطنا بكل الحيوانات الحالية ،
يبرز الكثير من المشابهات والميول المتوازية، ومن الإخفاقات التراكمية، لدرجة
تجعل استنتاجاته غير مجدية في تشييد علم اجتماع يولي اهتماما لتكيفات لم
نعد نستطيع الفكك منها. وإذا كان الإنسان قد برز كذروة مترسخة من
مجموعة حية لمحاولات الخطأ والصواب، فلسوف يتعلم أن بإمكان التآكل أن
يهدم أعظم الذرى، وذلك بالقدر نفسه الذي تصنعه الصدوع والزلازل."
ويكتب سلفادور لوريا في كتابه (الحياة تجرية غير مكتملة) ترجمة محمد
حسن إبراهيم أيضا 2 ❖:

" والحياة أيضا، كتاريخ البشر، هي صيرورة تاريخية، والعضويات الحية
الموجودة في هذه الأيام نفسها ليست سوى تسجيل غير كامل لممكناات الماضي.
فاصغر الباكثيريات (الجراثيم) والأفاعي وديدان الأرض الأكثر وضاعة
والطحالب والاشنيات وبالمعيار نفسه الأشجار الأكثر جلالا والطيور الأكثر
روعة ... مليارات الكائنات البشرية تكون عينة متقلصة لمجموعة الأشياء الحية
التي ربما كانت سوف تستطيع أن توجد. وغالبا ما يشعر الأفراد بحنين غريب
لدى التفكير بما ربما كان سوف يستطيع أن يكون تطلعا إلى إمكانيات ماضية
مهملة أو غير محققة، والغالب أيضا، توقا إلى آفاق ربما كانت سوف تستطيع أن
تنفتح انفتاحا أوسع أمامهم، على الأقل...

لكن ما عدد الذين يتوقفون عند التفكير بأن مجرد واقع أن يوجد مرموق
بحد ذاته ؟ إن كل كائن بشري هو تحقيق لصدفة بعيدة الاحتمال إلى الحد
الأقصى - وفي الواقع، تحقيق لسلسلة من الصدف المستبعدة - تتلاحق منذ
ذلك "اليوم" الذي مضى عليه /3/ مليارات سنة حيث بدأت الحياة مسيرها
المحفوف بالأخطار على الأرض."

وفي نفس الكتاب صفحة -24 -26 يكتب أيضا:

" من اجل أن نعود إلى التطور، فإن خصوصيته المرموقة أكثر، هي في أحكامه الظاهرية - أي الأحكام التي تكاد تكون لغزا خفيا الذي يتصف به التلاؤم الذي يولده التطور . إن كل عضوية حية موجودة ، تبدو كأنها قد صنعت من اجل عمل ملائم لملاءمة غاية في الدقة مع وسطها الطبيعي.

إن التطور الطبيعي هو الذي يقوم بهذا التغلب الحقيقي من خلال ما يدعى قانون الأعداد الكبيرة. إن سيرورة الطفرة (الجينية) الوراثية تتم صدفة بالمعنى الدقيق للكلمة ، وتعديل المورثات في كل قران (ما عدا قرانات ذوي القربى) يتم في جزئه الأكبر ، هذا إن لم يكن كلياً، صدفة. إن اللياقة الكاذبة التي هي ، بالمصادفة ، لياقة بعض أفراد جمهرات ضعيفة -الغريزة التناسلية - تعزى للصدفة أيضا. يبدو أن القوة الرئيسية الاصطفاء الطبيعي، تعود إلى كل شيء ماعدا الصدفة. وان الاصطفاء الطبيعي الذي يمارس على عدد لا يحصى من التراكيب الجينية الممكنة في الجمهرات الهامة يجبر، بفعله المكتوم، والمتكرر هذه الجمهرات على أن تصبح باطراد أكثر تلاؤماً مع أوساطها في النطاق الذي يكون فيه، وجيلاً بعد جيل، لحاملات الأنماط الجينية الأكثر قدرة على النجاح نسبياً. أنسال أكثر. إن هذا بالتأكيد حلقة مفرغة، لأن التلاؤم التطوري هو بالتعريف تلاؤم مرتبط بالوفرة النسبية للأنسال "....." حتى عندما يتغير الوسط : إن يانصيب سيرورة العلاقات الجنسية يحافظ دائماً ، داخل كل جمهرة طبيعية ، على احتياطي تغيرات وراثية يؤمن تشكيلة من الأنماط الجينية. ... "

" إن الاصطفاء يفعل فعله بلا تبصر، لكن بفعالية. وأعماله، عندما نتأملها تأملاً راجعاً إلى الماضي، تكشف عن دقة لا تصدق. لكن هذه الدقة هي دقة من مرتبة الدقة التي تتيح حساب احتمالات الحصول على ثلاثية في لعبة البوكر. إن النتيجة المحتملة لا تصبح واقعا إلا بمقتضى قانون الأعداد الكبيرة ، بالطريقة

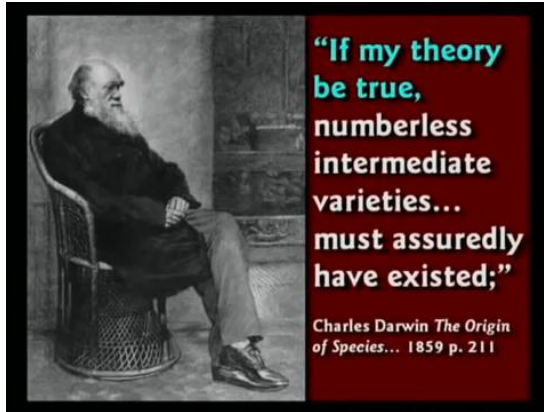
نفسها التي سوف تحدث فيها فجأة في لعبة ورق تدوم وقتا طويلا غاية الطول، إن هذا الطابع الاحتمالي في اللعب، سواء تعلق الأمر بلعبة البوكر أو البقاء ، يصبح من خلال عدد الصدف الكبير كيفية شبه حتمية. وهذا ينطبق على الماضي كما ينطبق على المستقبل. رفض كثير من الناس من بينهم بعض رجال العلم ، التسليم بان تكون سيرورة كسيرورة الاضطفاء الطبيعي قد عملت بمثل هذه الدقة وفق قانون الاحتمالات ، وان تكون احتمالات قد استطاعت أن تأتي بتلاؤم نبات وحيوانات مع وسطها الطبيعي، الأمر الذي يكاد لا يصدق، مثلما أتت بأعاجيب الفكر البشري". .

إن استعراض تلك المقتطفات يدل من جانب الكتابة على سبك أدبي وصياغة رفيعة مع ألفاظ موهمة كما أسلفنا، لكنه يحمل في طياته تناقضات وارتباكات وأخطاء علمية بيّنة تذخر داخل خبايا ذلك السبك. فأين الارتباط الفعلي بين ثلاثية لعبة البوكر والتنوع في المخلوقات. إن للعلم قيمة سامية لا يصح أن تنحدر إلى مستوى لعبة بوكر كي يشتق منها قياسات وتشبيهات تتعلق بتفسير التنوع الحادث في المخلوقات. فلعبة البوكر تمثل تسلية للترويح عن النفس وتمضية أوقات الفراغ في أحسن أحوالها هذا ما لم تستخدم من أجل المقامرة. وإن اللعب للحصول على أية أرقام من ورق اللعب رابحة كانت أم خاسرة سوف يستند إلى الحظ وفقط الحظ أي أنها لن تخضع لأية قاعدة إنسانية للتحكم في تلك الأوراق التي هي من نصيب اللاعب ما لم يلجأ ذلك اللاعب للخداع. فهل يصح أن يؤخذ هذا القياس ويسحب على جانب علمي بالغ الأهمية كالتنوع في الكائنات الحية فيقال أن التنوع يحدث بفعل العبث؟ إن حظوظ أوراق اللعب والربح والخسارة في تلك الألعاب تمثل شكلا من أشكال العبث الذي لا طائل منه وإذا تم إسقاط ذلك على العلم أصبح العلم أيضا شكلا من أشكال اللهو و العبث. فهل يصح أن يكون العلم في تعريفه عبثا؟ أليس هذا ما يسعى

أنصار التطور أن يتحفونا به؟ ثم يستندون إلى قوانين باطلية هي قوانين الاحتمالات التي كما توضح في البحث الثاني أنها استخدمت في غير موقعها بهدف الاستدلال على إمكانية تشكل الأنواع الحية باختلاف أجناسها من خلال استخدام تلك العبثية الرقمية ممثلة بالاحتمال. لا بد من التذكير هنا أن التكرار هو المقبول علمياً وقوانينه لا يصح أن تستخدم كقياس للاحتمال كما تم تبيانها في البحث الثاني و كما يستخدمها أنصار التطور في لعبة البوكر وألعاب اليانصيب الأخرى أو يريدون أن يسقطوها خطأً على ظاهرة التنوع في الكائنات الحية من خلال منظور التطور. إن التجربة العلمية الصائبة كما يعترف العلماء جميعاً تقتضي جانب الحيادية. وإن غياب الحيادية من خلال الأحكام المسبقة مهما كانت تلك الأحكام سوف تطعن في مصداقية تلك التجربة. إن قياس التنوع في المخلوقات على حظوظ أوراق اللعب هو افتراض وحكم مسبق لدى أنصار تلك الفكرة وهي تشير بوضوح إلى أن العبثية هي ما يعتقدون أنه أساس تنوع الكائنات وتعدد أجناسها. فأين جانب الحيادية الذي يفترض أن يقدمه أنصار التطور عند الحديث عن فرضية تتعلق بتنوع الكائنات؟ بالمقابل فإن قانون التكرار الذي يجري حسابه من خلال الاستقراء العلمي الذي يحصي بشكل استقصائي تنوع المخلوقات في الكون كما يشير إليها تحري عالم الأحياء أو من خلال مستحاثاتها إن وجدت يشير وبدون أدنى ريب إلى عدد محدود نسبياً من المخلوقات التي عمرت في هذه الكرة الأرضية أو عاشت فيها. قد لا يتعدى هذا العدد مئات الآلاف من أنواع المخلوقات المختلفة في جنسها. إن محدودية التنوع الاختزالية تلك ومن الناحية العلمية البحتة تقتضي الانتقائية الواعية والحكمة في الاختيار وهذا هو مكنم الخلاف بين الاحتمال والتكرار. فالاحتمال على سبيل المثال يستوجب في مدلول التطور عدداً غير منتهٍ من أنواع مختلفة للكائنات الانتقالية التي تقبع بين أي نوعين من المخلوقات

يفترض وفق المزاعم التطورية أنه تطور أحدهما عن الآخر وكمثال (الإنسان والشمبانزي من الرئيسيات) حيث أن ظهور كل مورثة جديدة يستوجب وجود متواليية حسابية من التنوع في أشكال الكائنات الحية الانتقالية بين هذين المخلوقين. أما التكرار الإحصائي الذي يتم قياسه عن طريق الاستقراء في الطبيعة وحتى في المستحاثات إن صح القياس بها!!! فإن عدد الأنواع المختلفة الحية البينية يستوجب أن يكون صفرا. وهو في المستحاثات لا يتعدى مجرد المئات من الكائنات الافتراضية التي زعم أنصار التطور فحسب وجودها وغالبا بسبب الاستقراء الخاطئ والالتباس نظرا للتشوهات الحادثة أثناء تحري تلك المستحاثات في الرسوبيات القديمة وصعوبة الدقة في الاستقصاء. إن وجود تلك المستحاثات المزعومة لا يقدم أي قيمة علمية وذلك نظرا لأن البلايين والترليونات الحية والمستحاثية التي ينبغي وجودها في حالة صح التطور والاصطفاء الطبيعي سوف لن تفي بالغرض كي تدعم فكرة التطور المزعومة. فهنا يظهر بشكل واضح لاليس فيه أن اصطفاء اختزاليا دقيقا في اختيار المورثات النوعية للجنس هو ما قد حصل في تخلق الإنسان مثله مثل بقية المخلوقات الأخرى متجاوزا كل تلك الكائنات الافتراضية البينية المزعومة. فالاصطفاء مع غياب الكائنات الحية أو المستحاثات البينية سوف يعني اختزالا اصطفائيا وحكمة وخلقا وتصميما دقيقا. أما الاصطفاء بتوافر وجود أعداد غير منتهية من أنواع الكائنات الحية البينية ومع ظهورها أيضا في المستحاثات فهو لو وجد فإنه كان سيدل على أنه اصطفاء طبيعي، ويكون التطور عند ذلك أمرا مقبولا لا مجرد مزاعم. لم يكن دارون عند وضعه فرضيته في التطور يعلم شيئا عن الوراثة والمورثات لأن هذا العلم اكتشف لاحقا. بالرغم من ذلك ومع محدودية المعلومات العلمية أنتزج فقد تبين له ومن أجل التدليل على صحة فرضيته وبحكم استناده إلى الصفات الشكلية الظاهرة للنوع ضرورة و حتمية وجود عدد من

المخلوقات البيئية المتفاوتة في شكلها بين المخلوقات الأصل ومازعم أنها مخلوقات ناجمة عنها. لكن ما لم يكن يعيه في وقتها أن ذلك التنوع العددي في أنواع الكائنات البيئية يستوجب وفقا لاحتمالات أن يكون تنوعا فلكيا. ولما لم يستطع أن يكتشف وجود أي تنوع ولو محدود وذلك لانعدام وجوده حقيقة فإنه بدل أن يقر بالخلق وضع افتراضا جديدا سماه بالحلقة المفقودة وهي ما زعم أنها مخلوقات بيئية غير مكتشفة. لقد توفي دارون وهو ينتظر اكتشاف حلقة المفقودة. لكن ما اكتشفه أنصار التطور اللاحقين بعد اكتشاف علم الوراثة والمورثات لاحقا هو أن تلك المورثات المتنوعة والمتباينة على مستوى الصبغيات في الخريطة الوراثية وبخلاف الصفات الشكلية للكائن الحي تقتضي وفقا لفرضية التطور ضرورة وجود أعداد غير منتهية من المخلوقات الاصطفائية البيئية بين الأصول والفرع المزعومة من المخلوقات إن كان للتطور أن يصح. إن غياب تلك المخلوقات البيئية كما عبر عن ذلك العالم غولد وغيره من أساطين التطور يعني وبالضم الملآن استحالة فكرة الاصطفاء الطبيعي وبالتالي استحالة التطور على اعتبار أنه افتراض خاطئ لا يملك أي مصداقية علمية وبالتالي التأكيد على مفهوم التصميم الذكي.



فإذا ما بدأنا من آخر ما انتهى إليه الدكتور سلفادور لوريا من أن الصيرورة قد عملت بمثل هذه الدقة وفق قانون الاحتمالات، فسوف نقدم مثالا بسيطا على احتمال حدوث حدث ما في خلية حية وفقا لمنظور أنصار التطور لنرى مدى صحة وثبات ما يراه الكاتب حقيقة لاشك فيها:

نتساءل وفقا للاحتمالات التي يؤمن بها أنصار التطور: ما هو احتمال تشكل بروتين واحد يتكون من مئة حمض أميني عندما يتم اقتران مئة من هذه الحموض الأمينية بشكل عشوائي مع بعضها:

1 - هنالك عشرون حمضا أمينيا مختلفا هي التي تساهم في تكوين البروتينات في الكائنات الحية. (عليك أن تتذكر أن هذه الحموض يجب أن تتصل ببعضها من خلال المصادفة بالدرجة الأولى).

2 - هنالك (عشرون قوة مائة) من البروتينات المختلفة التي يمكن بناؤها من مائة حمض أميني.

3 - وهذا يعني أن عدد المحاولات التجريبية تعدل (عشرة قوة مائة وثلاثون) محاولة من اجل تشكل بروتين واحد محدد ومقصود بالمصادفة الفرضية، من خلال اجتماع مئة حمض أميني.

إن فرضيات التطور تملئ علينا أن هذه البروتينات قد ارتبطت حموضها الأمينية مع بعضها بمحض المصادفة ثم اجتمعت طائفة من هذه البروتينات بالمصادفة أيضا حيث تطورت فكونت الخلية الحية.

4 - إلا انه، ومن اجل أن تتكون خلية حية في هذا الحساء ما قبل الحيوي المزعوم ينبغي أن يحصل أمران:

أ - إن على البروتينات المختلفة التي ينبغي أن تشكل مكونات الخلية الحية أن تتكون بنفس قواعد المصادفة المحضة.

- ب - وعلى كل بروتين أيضا أن يصطف بجوار البروتين الآخر لتكوين بنية الخلية من خلال قواعد الصدفة أيضا.
- 5 - إن احتمال حدوث أحداث معينة بالمصادفة هو جداء احتمال حدوث كل منها.
- 6 - وعلى هذا فإن احتمال تكون جزيئي بروتين مختلفين هو جداء احتمال كل منهما أي (عشرة قوة 130 ❖ عشرة قوة 130) = 10 قوة 260 .
- 7 - أما احتمال تشكل خلية من عدة آلاف من البروتينات (وهو الحد الأدنى من عدد البروتينات الموجودة في خلية حية) فيكون $10/1$ قوة 130 ❖ 10 قوة 130 ❖ 10 قوة 130 ❖ 10 قوة 130 ... عدة آلاف من المرات وفقا لعدد البروتينات المفترض في الخلية. في الواقع فإن هذا الرقم بالقياس العلمي ووفقا لما يزعمه التطوريون هو رقم لا يمكن حتى تصوره لصغره الهائل والذي لا يمكن أن يعطى قيمة أكثر من $1/$ لانهاية = الصفر.
- 8 - ولنقم الآن بحساب الحجم الذي سيشغله (10 قوة 130) من هذه البروتينات المتكونة من تزاوج مائة حمض أميني بشكل عشوائي كي نحصل على البروتين الحقيقي والمحدد المراد في بناء الخلية.
- 9 - لنفترض أن متوسط وزن حمض أميني هو 100 دالتون فإن بروتين فيه 100 حمض سيزن 10 قوة 4. وبوجود 10 قوة 130 بروتين مختلف يكون الوزن 10 قوة 130 ❖ 10 قوة 4 = 10 قوة 134 دالتون.
- 10 - وهي بالغرام = 10 قوة 134 / 10 قوة 24 = 10 قوة 110 غرام. وتساوي 10 قوة 107 كيلو غرام .
- 11 - لنفترض أن كل كيلو غرام يشغل حيزا من الفراغ يساوي 10 قوة 3 سم مكعب فهذا يعني أن 10 قوة 107 = حجميا 10 قوة 104 سم مكعب أي

= 10 قوة 89 كيلو متر مكعب. والسؤال الذي يتبادر ما هو الطول الذي يصله 10 قوة 89 كيلومتر. انه يعادل 10 قوة 20 سنة ضوئية فقط.

12 - وهذا يعني انه ووفقا لقانون الأعداد الكبيرة (الاحتمالات) كما يرى الدكتور لوريا، فمن اجل الحصول على بروتين واحد محدد مكون من مئة حمض أميني من خلال الزعم التطوري و مفاهيم المصادفة، فإنه ينبغي أن يكون لدينا وعاء مكعب يقيس في أبعاده الثلاثية 10 قوة 20 سنة ضوئية سيحتوي تلك البروتينات المختلفة المتشكلة بالمصادفة والتي من خلالها سيكون لدينا بروتين واحد فقط صالح للاستخدام في بناء تلك الخلية الحية. ولك أن تتخيل حجم البروتينات المهذورة غير الصحيحة والتي كان يجب أن تتشكل وفقا للعشواء حتى تتشكل مجموعة بروتينات الخلية الحية بشكل كامل.!!! إن الاختزال هو العامل الحاسم في الموضوع وهو الذي يستوجب التصميم الذكي.

هذا ما حدا بالسيد فريد هويل إلى الإحجام عن القناعة أن الحياة قد تطورت تطورا، كما يزعم أنصار التطور على سطح هذه الأرض. يقول السيد هويل *1: "هنالك حوالي 2000 أنزيم في الخلية. إن احتمال تحصيلهم جميعا من خلال العشواء والصدفة هو $1/10$ قوة 20 قوة 2000 = $1/10$ قوة 40,000، هو احتمال، وبشكل خارق للمعتاد، اصغر مما يمكن تخيله ولا يمكن تحقيقه حتى إذا كان الكون كله يتكون من ذلك الحساء العضوي المزعوم.

فعندما يكون لدينا تسلسل منتظم من العناصر العضوية مرتبطة مع بعضها كما في حال الأنزيمات، ال DNA، ال RNA، وبوجود الطاقة اللازمة للتضاعف مع وجود نظام مولد للطاقة متوفر، فإنه يمكن للمرء أن يتخيل كيف استطاعت هذه المركبات ذات التسلسل المنتظم أن تتضاعف، لكنه لن يكون بمقدوره شرح أصل ذلك التسلسل المنتظم لهذه المركبات بالدرجة الأولى والتي

هي نظام معلومات محكم التصميم إلا من خلال وجود منظم عالم بارع قد كان السبب في تحقيق هذا الانتظام.

بعضهم قد تخيل إمكانية حدوث هذا الانتظام من خلال عمليات العشواء بواسطة محض الصدفة، مدعياً أنها ستستغرق فترة سحيقة تصل إلى أربعة أو خمسة بلايين عام وهي الفترة التي افترضها التطوريون لعمر الأرض. إن الوقت المطلوب لبروتين واحد كي يتكون من خلال مفاهيم المصادفة ووفقاً لقواعد الاحتمالات الصرفة، سوف يزيد عن الخمسة بلايين عام التي زعمها التطوريون عمراً للأرض عدة مئات من بلايين الأضعاف التي افترضها التطوريون. فعلى سبيل المثال: فان بروتينا واحدا مكونا من سبعة عشر حمض أميني يمكن إعادة تسلسله 355 ترليون مرة مختلفة. وبطريقة أخرى اقرب للفهم، فلو أخذنا 17 كرة مختلفة اللون وقمنا بمحاولة ترتيبها وقدرنا عدد الترتيبات المختلفة الممكنة لها في نسق، فسنجد أن هنالك 355 ترليون طريقة مختلفة لصف تلك الكرات في نسق واحد. إن هذا الرقم من الضخامة بمقدار، يجعل من غير الممكن احتمال نشوء أية مركبات معقدة كالبروتينات أو غيرها خلال خمس بلايين سنة، وهو العمر الذي افترضه أنصار التطور لنشوء الأرض. فكيف هو الأمر ببروتين مركب من 100 حمض أميني ويتطلب (10 قوة 130) محاولة مختلفة كي يتم الحصول عليه بالصدفة المحضة. كم من الوقت نحتاج قبل الحصول عليه ؟؟؟؟

وباعتبار أن جزيئا واحدا كالأنزيم، لا يمكن أن يحتمل أنه قد تكون من خلال الصدفة خلال خمسة بلايين عام بدون أدنى شك. فكيف هو الأمر ببلايين الأطنان من البروتينات والحموض النووية والأنزيمات المختلفة والمتنوعة ذات الفعاليات الوظيفية الدقيقة المختلفة، التي تملأ كرتنا الأرضية. إن احتمال حصول مثل هذا الأمر وهو تنشؤ هذه الجزيئات العضوية بالمصادفة هو بالحقيقة أمر مستحيل.

فيما يلي نوضح إمكانية نشوء أول خلية حية في عالم من البحار مليء بمثل هذه البروتينات والأنزيمات والحموض النووية. إن شرحا كهذا هو في الحقيقة أعقد بمراحل من شرح كيفية نشوء الجزيئات البسيطة الأولية التي أتينا على ذكرها. فهنا ينبغي شرح كيف أن هذه الجزيئات قد اجتمعت إلى بعضها بعضا ثم استطاعت أن تقوم بتكوين نظام استقلابي فعال قادر على المحافظة على نفسه وتكاثره ومن ثم له القدرة على التنوع وإعطاء أشكال جديدة من الكائنات. يقول غولديبيرغر وغرين " إن انتقال الجزيئات العضوية إلى تكوين الخلية هو بمثابة قفزة ذات أبعاد خيالية، تقع خارج إطار الفرضيات القابلة للاختبار. ففي تلك المنطقة كل شيء هو عبارة عن تخمين. إن الحقائق المتوفرة لا يمكنها أن تزودنا بأية أسس للتسليم بأن الخلايا قد نشأت عفويا في هذا الكوكب" *2.

وبالرغم من هذا يبقى أنصار التطور مصرين على أن الحياة قد نشأت عفويا في هذا الكوكب لكن هذا الأمر هو أمر مستحيل، لأن نشوء الحياة، وهنا نعني تكون أول الخلايا الحية الصغيرة يتطلب من هذه المركبات العضوية المزعومة الموجودة في البحر أن تنفصل وأن تتجمع بشكل مرتب ثم تنغلق وتشكل مركبا حيا منظما يستطيع أن يحمل صفات الحياة المختلفة. إن هذا بالتأكيد يخالف قوانين الطبيعة ويمثل تحديا للقانون الثاني للثيرموديناميك والذي يقول بأن كافة الأنظمة في هذا الكون تميل إلى التفكك والابتعاد عن الانتظام بمرور الوقت. ومع هذا، يبقى أنصار التطور مصرين على أن الحياة قد نشأت عفويا. فرضية اوبرين (وهو عالم روسي) تفترض وجود مركب انتقالي نصف حيوي (COASCERVATES) يتركب من مزيج من المواد العضوية مثل الهيستون والحمض النووي، قد يستطيع أن يجتذب إليه بعض الأنزيمات. إن هذا المركب المزعوم قد ارتبطت عناصره وفق خاصية فيزيائية كيميائية محضة. بمعنى أن الهيستون وهو بروتين سلبى الشاردة قد التحم بالحمض النووي ذو الشاردة

الموجبة ضمن إطار ارتباط كيميائي شاردي. وبهذه الصورة، تحدث الارتباطات الشاردية الكهربائية. لكن هذه الارتباطات، ليست بحالة من الأحوال، ارتباطات نوعية وإنما ارتباطات فوضوية تفضي إلى تكون مركب لا يحمل أي صفة من صفات الانتظام. ومع هذا وإمعانا في الجدل، فلنفترض جدلاً أن طائفة من الأنزيمات قد اندخلت في هذا المسمى Coacervate فإنها ستكون عديمة الجدوى. لأن هذه الأنزيمات ستقوم بتفكيك المادة. وهذه المادة الناتجة عن التفكيك، تحتاج إلى أنزيمات من نوع آخر لكي تستفيد منها، وذلك من أجل إتمام العملية الاستقلابية، وبالتالي فإن المستقلب الناتج أيضاً يتطلب نوعاً جديداً من الأنزيمات للاستفادة منه وهكذا... فإنه للاستفادة من أية مادة، ومن أجل استقلالها، فإن الخلية الحية تمتلك سلسلة من الفعاليات الأنزيمية التي تقوم خلال مراحل، بتفكيك واستقلاب المادة، وإن غياب أي أنزيم في هذه السلسلة سوف يفضي إلى توقف لكامل العمل وخلل تام في النظام. إن هذا النظام الذي تم شرحه الآن قد عبر عنه الدكتور Michale Behe بمسمى (Irreducible complexity) التعقيد المتعذر الاختزال. إن النظام الأنزيمي في الخلية الحية هو نظام معقد جداً. وبدون التنسيق بين مختلف هذه الفعاليات الأنزيمية، فإن الفعالية الأنزيمية ستكون عديمة الفائدة، بل بالأحرى مخربة. لنفترض على سبيل المثال، أن أنزيمًا حالاً للبروتينات قد حدث أنه التحم بهذه Coacervate) المركب الانتقالي ما قبل الحيوي). فإن النتائج في هذا الانضمام لاشك أنها ستكون كارثية. إن الفعالية الأنزيمية غير المنتظمة ستكون نتائجها بالتأكيد كارثية من حيث تدميرها للبنية البروتينية التي يراد منها عمليات البناء. إن الآليات الاستقلابية الأنزيمية في الكائنات الحية تدين في وجودها، إلى بنى غاية في التعقيد تتواجد فقط في الكائنات الحية مثل الجسيمات الكوندرية والجسيمات اليخضورية وجهاز غولجي والجسيمات المركزية والجسيمات الحالة.

إن هذه البنى كلها ببساطة، ينبغي أن تكون متواجدة ومتضافرة في نفس الوقت لقيام مختلف الأنظمة بعملها، وهذا في حد ذاته ما يجعل المزاغم التطورية أمرا مستحيلا. هذا ما يؤكد أن الأصل في نشأة الكون هو الانتظام أولا وليس العشواء أو الفوضى المزعومتين.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك خطأ قاتل آخر في (فرضية اوبرين). إن هذه المركبات يلازمها عدم الثبات، فهي تتشكل فقط في ظروف خاصة، وهي تتعرض مباشرة للتفكك تحت تأثير أي من العوامل، كتغير درجة الحموضة، ارتفاع الحرارة، الضغط وما إلى ذلك... إن عدم الثباتية هو العائق الرئيسي لأي نظام يفترض أن يجسر الهوة بين الجزيء، وبين الخلية الحية. إن فرضية اوبارين وفرضية فوكس (الكريات المجهرية) أو أية فرضية أخرى، سوف تعاني من هذا الضعف القاتل، وهو عدم الثباتية. إن أهم ما يميز الخلية الحية ويقيها من عدم الثباتية، هو أنها تحتوي على غشاء خلوي مضاعف، يمنحها خصوصيتها. إن هذا الغشاء الخلوي ذو بنية معقدة. وهو نبيل في فعله لا يمكن أن يتفكك ويضمحل، وهذا بخلاف (المركب الانتقالي ما قبل الحيوي) Coacervate المزعوم، فحتى وإن افترض وجود جدار مشبه بالغشاء يحيط بهذه الخلية، فإنه يبقى عبارة عن بنية غير حيوية أو فعالة، وهي قابلة للتفكك مباشرة مع أول اتصال مباشر بالعوامل البيئية المحيطة. فهو لا يحوي أية روابط كيميائية تساعد الجزيئات على الارتباط. وعلى هذا الأساس فإنه سيكون عرضة للتفكك في أي وقت. وهو سيدفع بكامل المحتويات الداخلية بعد تفككه إلى الوسط الخارجي من جديد. بما أن عدم الثباتية هو عنصر ملازم للمراحل الأولية في التحول إلى الخلية الحية، فإن هذا يعني أن هذا Coacervate (المركب الانتقالي ما قبل الحيوي) لن يتاح له الفرصة بأي حال من الأحوال لكي يكون خطوة إلى الأمام في نشأة الحياة.

إن الخلية الحية وبتعقيدها التي هي عليها والتي لا يمكن أن تكون قد نشأت بشكل عفوي كما وضحناه، ينبغي أن تحتوي منذ البداية نظاما خاصا يعتمد إلى إصلاح وترميم الأعطاب التي من الممكن أن تتعرض لها خلال نموها، فهناك أذيات كثيرة تتعرض لها هذه الخلايا، وهناك أنزيمات خاصة وظيفتها إصلاح هذه الأعطاب، سواء على مستوى النواة، أو على مستوى أجزاء الخلية الأخرى. إن الخلية الحية ما كان لها أن تبقى بدون وجود هذه الأنظمة الأنزيمية الترميمية، والتي ينبغي أن تكون وجدت منذ البداية، وهذا يعني أن التعقيد قد جاء منذ أن جاءت الخلية وليس تاليا. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن أية خلية حية مألها في النهاية إلى الموت. وعلى هذا فلا يمكن لأي وحدة من نظام فعال أن تنجو كنوع، دون أن يكون بمقدورها التكاثر. إن القدرة على التكاثر إذن، ينبغي أن تكون موجودة في هذا النظام منذ البداية، مهما كان هذا النظام بسيطا أو معقدا. إلا أن القدرة على التكاثر تتطلب برمجة مسبقة ومخططا وتعقيدا وآليات مركبة، بحيث أنها ستكون آخر ما قد يتوقع أن يحدث في سلم التطور. إن هذه المسألة تقع بدون حل. وهي بالتالي تمثل الحاجز الأخير الذي لا يمكن قهره في منشأ الحياة وفقا للعملية التطورية*3. لعل الملاحظات التجريبية في هذا المجال تقدم دليلا قويا على وجود نظام معلومات هو من يقرر مسبقا عملية الانقسام الخلوي وبالتالي يقدم برهانا آخر على التصميم الذكي يرفد ما استدل عليه الدكتور ديمبسكي من قبل من خلال كشفه عن المعلومات التي تحملها ال دي إن إي كدليل على وجود المصمم الذكي. وعلى هذا الأساس يمكن الاستنتاج أن الحياة ما كان لها أن تنشأ وفقا للطرق المادية الميكانيكية والتطورية وإنما نشأت بقدرة قادر حكيم عليم عظيم هو الذي صنع هذه الحياة.

وبالعودة إلى الفقرة التالية التي وردت أيضا في كتاب الدكتور لوريا:
(مليارات الكائنات البشرية تكون عينة متقلصة لمجموعة الأشياء الحية التي ربما
كانت سوف تستطيع أن توجد. وغالبا ما يشعر الأفراد بحنين غريب لدى التفكير
بما ربما كان سوف يستطيع أن يكون تطلعا إلى إمكانيات ماضية مهمة أو غير
محققة).

BIOLOGICAL EVOLUTION: Descent with modification

- **Descent:** "I view all beings not as special creations, but as the lineal descendants of some few beings which lived long before the first bed of the Cambrian system was deposited."

Charles Darwin,
The Origin of Species (1859)

أي تعبير خيالي، احتمالي، افتراضي هو الذي جاءت به تلك العبارة (ربما
كانت سوف تستطيع أن توجد) وهل مطلوب أن تأخذ عبارات كلها مزعومة
تكهنية من نسج الخيال ثم تقبلها واقعا لا مجال للإنكاره أو الاعتراض عليه. إن
أنصار التطور يتكلمون عن مزاعمهم بتعابير تفيد الشك وعدم اليقين ككلمات
مثل ربما ومن الممكن ويحتمل وكان سوف تستطيع ، وعندما تأتي إلى الخاتمة
التي هي التقرير النهائي، يطلب من القارئ أو المستمع القبول المطلق والجزم بأن
هذه المزاعم هي حقائق لاشك فيها.

كلام منمق هو ما يكتبونه، وتلاعب واضح في الألفاظ والمعاني، ونثر فيه محاولة للإبداع الأدبي لبعض الآراء التي يعتقدونها المؤلفان ماكس دوسيكاتي و الدكتور لوريا ويريدانا أن نشاركهما إيمانهما بها. لكن فحوى الخطاب لا يزيد عما تم تقديمه في الملخص أعلاه. هي بزعمهم نشأة من خلية أولى وتنوع قد تأتي عن الطفرات والعشواء. إن ما ينتقص هذا الاعتقاد فقط وفقط لاغير، الدليل العلمي الذي يدعّمه ويؤكدّه، إننا نرى مزاعم لم يأتوا بأية حجة علمية تبرهنها، بل الحجج العلمية تدحضها كلها. وما عدا ذلك فإنه يبقى كلاما مسبوكا ، لكن دون أن يقدم أية قيمة علمية أو أي برهان.

فلا شخصيتنا البيولوجية تمتد لتصل إلى الخلية المنفردة للحيوان الاولي (Protozoaire) . وما كان لكائن حي أن يصنع نفسه لوحده بل خلق من قبل عليم قدير هو الذي خلقه ، وإن الكائنات النهائية الحالية، التي وفقت بقدرة خالقها ، هي أبعد ما تكون عن مستحاثات حية حقيقية. و الإنسان اليوم هو نفخة روح من قبل حكيم عليم وليس لحظة في حركة الطبيعة السرمدية التطور. إن ذاك التحليل، الذي يتحدث عن الروابط التي تربطنا بكل حيوانات التاريخ مثلما تربطنا بكل الحيوانات الحالية و يبرز الكثير من المشابهات والميول المتوازية، ومن الإخفاقات التراكمية يمثل خلافا فادحا في طريقة التقدير واضطرابا حقيقيا في آلية هذا التحليل. فهو يتحدث عن شكل من أشكال الاندماج التكويني بين كل المخلوقات مع أن الانفصال هو السمة العلمية المرئية بالملاحظة والتي تدعمها الأدلة وهي المتناسبة مع التمييز العقلي. لذلك فإن الاستنتاجات المتعلقة بتشييد آراء علمية تولي اهتماما بمزاعم الاندماج والأصل المشترك ولا تتقبل الانفصال في المخلوقات كأساس لوجودها وعلاقتها هي استنتاجات واهمة خاطئة. وعليه فإن الزعم بأن الإنسان قد برز كذروة مترسخة من مجموعة حية لمحاولات الخطأ والصواب هو زعم لأنصار التطور

ليس له أي رصيد علمي. فالإنسان قد خلق كذروة في عالم المخلوقات الحية على هذه الأرض وليس كذروة عبثية من الخطأ والصواب كما هو مكنون في خيال أنصار التطور.

يكتب الدكتور سيلفادور لوريا في ص 93 من كتابه (الحياة تجربة غير مكتملة) ترجمة محمد حسن إبراهيم متابعا: "تبني الطبيعة بللورات انطلاقا من ذرات بسيطة. .. عندما تتحد ذرات في محلول من اجل بناء البلورة ، فلا دليل لها إلا خواصها الفيزيائية والكهربائية الذاتية، التي تجبرها على الدخول في تماس مع زمر الذرات التي يكون قد سبق أن اتخذت مكانها على سطح البلورة وهي تتنامى، ثم بعدئذ على أن ترتبط معها بتأثير القوى الجاذبة ، الكهربائية من بين قوى أخرى. هكذا تكبر البلورة: ينشأ شكلها مباشرة من بنيتها الجزيئية. في بناء بيت أو قوالب تمثال، يتدخل عنصر آخر - خطة، برنامج بالنسبة للمواد الأولية.وينشأ الشكل، في آن واحد، من بنية المواد ومن قصد متعمد (خطة).

إن كل خلية مولدة، من انقسام خلية موجودة قبلا، فلها تنظيم محدد يتفق إلى حد كبير مع وظيفتها التي يبدو أنها لم تصنع إلا لهذه الغاية. وفي غضون التوالد الخلوي ، تتركب (تصطنع) جزيئات جديدة وتترابط كي تخلق بنى الخلية -كروموزومات، أغشية،مقدرات ، الخ. وللخلية بأكملها شكل شبه محدد، وهو ليس الشكل ، الكروي كروية مبهمة، الذي يمكن أن تتخذة نقطة لا شكل محدد لها من سائل لزج - زيت مثلا - يمكن أن تسكب كما هي في الماء.....".

ما هو واضح في المقولة السابقة هو الشرح الذي يرى ان المركبات غير الحية وهي البللورات ذات الشكل الفراغي المتميز والمعقد نسبيا قد اكتسبت صفاتها التي هي عليها بحكم الضرورة من خلال فعل ذاتي، هو تبادل القوى الكهربائية وفقا للخواص الفيزيائية والكهرباء الذاتية. وهذا خطأ من حيث أن الخصائص

الفيزيائية والكيميائية لأية مادة في الكون هي خصائص مكتسبة ممنوحة وليست ذاتية. فالذي منح النحاس وزنه الذري المختلف عن الحديد ليس النحاس والحديد وإنما هو من صمم تلك العناصر بصيغتها التي هي عليها. فالمعادن والفلزات والعناصر اللاعضوية والتي تشمل المكونات غير الحية للكون لا يمكن أن تكون قد تكونت من عدم لأن هذا في حد ذاته مخالف للقانون الأول في التيرموديناميك (لا شيء يتكون من العدم) لذلك فإن نسب الشيء لذاته هو تقرير لادليل عليه ولا يصح أن يتخذ كأساس لمبدأ علمي. من المهم للمرء أن يعي أن نسب أي صفة لأي عنصر لاعضوي أو فلز إلى الذاتية (حكم الضرورة أو قوانين الطبيعة) يعني نسب العنصر بنفسه إلى الذاتية وهذا من الأخطاء الشائعة التي يقع فيها أنصار التطور. فقوانين الطبيعة قد وجدت للتحكم بمكونات الطبيعة وكعامل استقرار فيها. لكن هذه القوانين لا يمكن أن تكون هي من جاءت بالطبيعة. إن القول مثلا بأن جبال الألب قد كونت ذاتها بذاتها وفق القانون الطبيعي هو مخالفة لصريح العقل، وهذا يطابق تماما مثال الخواص الفيزيائية والكهرباء الذاتية في البللورات المضروب من قبل أنصار التطور آنفا. أما الخطأ الآخر في هذا المثال فهو في القياس حيث يبدو التلميح لدى الدكتور لوريا واضحا في أن الخلايا في تكوينها وتشكلها بالشكل الذي هي عليه مع ترابط جزيئاتها، إنما هو ناجم ومن خلال المثال السابق في البللورات عن آلية منسوبة للذاتية، بعلاقات داخلية ارتباطية وبشكل يشبه تكون البللورات وارتباط المكونات في الجمادات. إذن هنالك تعميم لآلية تشكل البللورات غير الحية يجري تطبيقه على ارتباط عناصر الخلية الحية. فالموضوع يراد به أنه بما أن العناصر غير الحية كالفلزات ترتبط ببعضها وفق روابط منسوبة للذاتية فيزيائية كانت أوكيميائية، فبنفس الطريقة فإن الخلايا الحية يمكن أن ترتبط مكتنفاتها بشكل مشابه. بهذه الطريقة يكون الكاتب قد نسف مفهوم الحياة كخاصة

مكتسبة للمخلوقات والتي تميز الحي عن الميت. فالحي ببساطة كما يراد له من هذا المثال هو امتداد للجماذ مع بعض تعديلات بسيطة لا تكاد تذكر. لكن الحقائق العلمية في هذا الصدد لا تستقيم وهذا الزعم البتة. إن الخلية الحية في علم الأحياء لا يمكنها أن تخلق ذاتها بذاتها من خلال اصطناع وانتظام ذاتي لمكتنفاتها المختلفة. هنالك أمر ما مهم ومفقود في تفسير الكاتب وهو أنه لا بد من وجود آلية برمجة دقيقة ومنظمة وفق نظام سجلات دقيق موجود في صبغيات هذه الخلية في نواتها وعلى مورثاتها، تلك المورثات هي التي تحدد وبدقة متناهية ما سيتم بناؤه وكيف سيكون هذا البناء والإلام سيؤول هذا البناء. وكدليل على هذا فقد أجريت تجارب حيوية على الخلية الحية حيث استئصلت نواتها التي فيها مركز السجلات والتنظيم فكانت النتيجة أن فقدت الخلية قدرتها على تصنيع العناصر والمركبات الحيوية التي تحتاجها لحياتها. إن الكريات الحمراء في جسم الإنسان هي من أشكال الخلايا فاقدة النواة لذلك فهي خلية منقوصة القدرة على المعاوضة والتكاثر وهي ذات عمر محدود، لذلك متى استنفذت طاقتها تخربت في الطحال دون أن تتمكن من المعاوضة والإصلاح. على حين أن الخلية الأرومة المصنعة لتلك الكريات في نقي العظم والتي تمتلك النواة هي الخلية القادرة على بناء الكريات الحمراء الجديدة. أما الخلية الحية المتواجدة في العضوية الحية ذات الخلايا المتعددة فهي بخلاف ذرات الجمادات التي ستكون بللورة، تمثل جزءا من كل، ولها وظيفة محددة ودقيقة ضمن منظومة مجموعة الخلايا في تلك العضوية. وأما الوصف المقدم والذي يتناول إمكانية اصطناع الخلية لجزيئاتها وفق آلية ذاتية، فإنها إن كانت ستفضي إلى شيء على الإطلاق فهي ستفضي مجازا، إلى شذوذ تكويني سوف لن يكون قادرا على تحقيق الفعالية الوظيفية المشتركة المبرمجة على مستوى المورثات في إطار تضافر العمل المشترك لمجموعة الخلايا داخل العضوية الحية الواحدة. فلو اتفق ان كان ذلك الوصف

يحتمل الدقة الكافية، لكان على تلك الخلية التي زعم إمكانية تكونها الذاتي، ان تعمل على الخلود الذاتي بداية لا أن تكون عالة على الخلايا الأخرى في منظومة معقدة تحتاج فيها كل خلية لبقائها إلى انتظام وتضافر عملها مع بقية الخلايا الأخرى في نفس النسيج. من المعلوم ان لأية خلية حية عمر مبرمج مسبقا بشكل محدد، ثم عليها ان تموت. إن عدد المرات التي تنقسم فيها الخلية الحية محدد وراثيا أيضا على مستوى ال DNA ومن بعد ذلك ستتوقف عن الانقسام وستموت. إن تقدير عمر تلك الخلية يمثل نظام برمجة مسبق خارج عن الخلية ويتحكم في حياتها وهذا بالتأكيد يتناقض مع الطرح المقدم حول الآلية الذاتية في اصطناع الخلية لمكتنفاتها المختلفة. فتحليل أن الخلية قد كونت نفسها بنفسها لا بد أن يفضي بالنتيجة إلى ضرورة تكوين خلية أنانية هي التي تتحكم بمصيرها لأن غريزة البقاء هي فكرة أنصار التطور الأساسية. وهذا يعني بالضبط أن تجعل من نفسها خلية تحمل صفات الخلود، بخلاف واقع الخلايا الحية التي تشاهد في الطبيعة والتي لها عمر مقرر مسبقا.

ويقول لوريا في كتابه أنف الذكر في الصفحة 99 " إن شكل فيروس ينتج ببساطة من تجميع جزيئات بروتينية ، تتجه، مثل كل بنية جزيئية، إلى بلوغ حالة طاقة دنيا، يمكن، في حالة إقامة الشروط الملائمة ، إعادة بناء الفيروس في مخبر انطلاقا من العناصر التي يتألف منها. إن الفيروسات المعاد بناؤها هي فيروسات وظيفية و "حياة " تماما بمقدار ما هي الفيروسات الناتجة طبيعيا. تتحد البروتينات المقولبة بالمورثات الفيروسية تلقائيا بالحمض النووي الفيروسي من أجل خلق شكل ، وتجدد بذلك العضوية الحية".

إن المثال المضروب هنا تم اختياره ليكون أكثر بساطة في تركيبه من بنية الخلية، وهو بنية الفيروس وهو تدليل وبشكل مسبق كما هو معتاد عند أنصار التطور من خلال القوالب الجاهزة على ما يريدون الوصول إليه. فجزئيات

البروتينات كما يرون عند الفيروس وبحكم الضرورة تتجمع بآلية فيزيائية كيميائية وبروابط مشتركة أو شاردية لبلوغ الطاقة الدنيا، فإذا ما أعيد بناء أجزاء أي فيروس، فهي كما تبدو لهم تلقائيا، يمكن أن تكتسب الحياة، بمعنى : أن الحياة يمكن أن تكتسب من خلال العلاقات الذاتية، والقوانين الطبيعية، من خلال تجمع الجزيئات، والعلاقات الكيميائية الفيزيائية بين هذه الجزيئات غير الحية . أي أن العلاقة المعقدة الفيزيائية الكيميائية التشردية التي سترتبط هذه الجزيئات ببعضها، هي التي سوف تكسبها لاحقا وفقا لآلية ما ، صفات الحياة. وإذا كان الفيروس، وهو أحد أبسط أشكال الحياة في اعتقاد أنصار التطور، قد أعيد بناؤه من عناصر غير حية كالبروتينات، فاكسب صفات الحياة، فلماذا لا يكون ذلك، ممكن التحقيق في الخلية الحية . من جديد ينطلق أنصار التطور من مبدأ التعميم الافتراضي، بطريقة إيحائية. للمرء أن يفترض ما يريد لكن عليه أن يقدم إثباتات لتلك الافتراضات وإلا كانت مجرد حكايات مسلية. إن مقارنة الفيروس بالخلية الحية لا يمكن أن يكون صحيحا. فالفيروس لا يستطيع بشكل مستقل، أن يؤدي أية فعالية من الفعاليات الحيوية، كالحركة والأيض والتكاثر، ما دام خارج الخلية الحية. وهو حين يندخل إلى الخلية يبقى غمده البروتيني خارجا، بينما يتم دخول حمضه النووي إلى داخلها، حيث يجذب إلى DNA الخلية داخل النواة، ويستعين به في بناء مكوناته الأساسية، غمده البروتيني وحمضه النووي. إن هذا يعني أن مركب الحمض النووي في الفيروس والذي يحمل سجله الوراثي والوظيفي هو العنصر الحاسم في توظيف عمله الحيوي. إن الفيروس لا يمكنه القيام بأي من وظائفه الحيوية بدون وجود حاضنة خلوية تجعله يؤدي تلك الوظائف. أما الخلية الحية فهي قادرة بشكل مستقل على القيام بالفعاليات الحيوية كاملة، وهي الحركة والأيض والتكاثر والنمو وتصنيع المكتنفات المختلفة التي تحتاجها لحياتها بذاتها. فكيف يجوز ان نقارن

الفيروس،) وهو الفاقد لمعظم الصفات الحيوية والمكتنفات التي تجعله قادرا على الاستقلالية والعاجز عن أي صفة من صفات الحياة وحتى عن التكاثر بدون مشاركة الحمض النووي للخلية المضيفة)، بالخلية الحية ذات التعقيد البنيوي والاستقلالية في الوظائف والقدرة الحيوية الكاملة.

ويكتب لاحقا أيضا "بما أن فيروسا يمكن أن يعاد بناؤه ، فقد يبدو معقولا أن نفضل الشيء نفسه بالنسبة لخلية. مع ذلك ، ففيروس ليس إلا عضوية حية جد معرأة . وبالقدر الذي يستخدم فيه آلية الخلايا التي فيها يتنامى ، يكون كل ما يحتاجه ، في الحالة الحرة، هو رداء يقيه، ووسيلة تبلغه خلية أخرى . والعكس، لا تكون خلية حية سوى تجمع، إنها منظومة مفتوحة ، منها يمر تدفق طاقي وتدفق مواد، وما هو أكثر أهمية أيضا، أن لها تاريخا. " كل خلية تتولد من خلية". هذا ما شكل أحد المبادئ القاعدية للنظرية البيولوجية في المائة سنة الماضية. هل يمكن نقض هذا المبدأ إذا وجدنا الشروط التي تتيح ، بتأثير قوى فيزيولوجية بحتة، جمع الأجزاء الأساسية من خلية من أجل إنشاء خلية حية وظيفية؟

ليس طرح هذا السؤال عديم الجدوى. هذا يعني أن نتساءل ما إذا كان كل شيء في تنظيم الخلايا كما نعرفه في هذه الأيام، قد أملاه البنية الداخلية للجزيئات المكونة - في حالة كهذه قد يكون ممكنا التفكير في إعادة البناء، نظريا على الأقل - أو ما إذا كان نموذج التنظيم نفسه قد أصبح بطريقة أو بأخرى مستقلا ولا غنى عنه. في حالة كهذه قد لا يعود التنظيم الخلوي يستطيع، عندما "يفكك" أن يستعاد بمجرد إعادة تجميع الجزيئات: إن عنصر إعلام رئيسيا يمكن أن يكون قد ضاع - عنصر إعلام وفرته البنى الخلوية الموجودة قبلا، وضروريا من اجل "الشروع" في تجميع البنى الجديدة عندما تكبر الخلية.

ليس الاختيار بين هاتين الإمكانيتين سهلا. لعل معظم البيولوجيين أكثر تأييدا للفرضية الأولى - التي وفقها قد تستطيع العناصر الجزيئية لخلية، وقد أعيد تجميعها في شروط مثالية، أن تشكل من جديد خلية حية، بيد أن لبعض البيولوجيين اعتراضات ويفكرون بأن بعض أنماط التنظيم الخلوي قد أصبحت، في أثناء التطور، مستقلة استقلالاً ضعيفا جدا - أي ضرورية من أجل دوامها هي من خلال الأجيال الخلوية المتتابعة. التأملات ليست عارية من كل صحة: يكفي الرجوع إلى بنى الأغشية التي تحدد الخلايا وحيزاتها الداخلية. انتهى.

من المثير رؤية كيف أنه عندما يريد أنصار التطور أن يدلوا بافتراض معين ليدعموا وجهة نظرهم، تتحول الآليات التي هي غاية في التعقيد كحالة الخلية الحية وعوامل ارتباط مكثفاتها إلى حاجة متناهية في البساطة واليسر" كل ما يحتاجه، في الحالة الحرة، هو رداء يقيه، ووسيلة تبلغه خلية أخرى" وبالعكس فعندما يتقدم الآخرون بأراء منهجية علمية تنقض بعض استدلالاتهم الخاطئة فإنهم لايتوانون عن إيجاد المبررات مثل تعابير" الشذوذ المستحاثية والعيوب الاندفاعية" التي أتينا على ذكرها في البحث الرابع. فكما هو واضح من خلال الافتراض الأول الذي يشير إليه الكاتب إن تجميع المكتنفات المختلفة للخلية بنفس الآلية التي تتجمع فيه جزيئات البللورات، سوف تكسب وفق زعمه هذه الخلية تلقائيا ووفق آلية ذاتية الصفات الحياتية التي نعرفها في الخلية الحية. إنها من جديد القاعدة الثانية المزعومة في نشوء الأشياء من بين القواعد الثلاث الصدفة والضرورة والتصميم. فالصدفة غير ممكنة بل أصبحت ورقة محروقة في ظل المعرفة المنتشرة بعد أن كانت ممكنة الاستخدام في تفسير التطور في بداياته نظرا للجهل والمحدودية العلمية لدى الناس من معاصري تلك الآونة. لذلك على الكاتب أن يأتي بورقة جديدة يلقي بها تكون أكثر قبولا وإقناعا. إنها ورقة الضرورة التي يرمي بها في وجه التصميم زاعما أن الضرورة تقتضيها القوانين

الطبيعية مثل قوانين التفاعلات الكيميائية المختلفة. لكن هنا أيضا يعاني الكاتب من معضلة علمية خطيرة. فتكوين خلية حية وفقا لعامل الضرورة كما يزعم يجعل من الأمر متاحا لاستقصاء إمكانية إنتاج خلية حية معمليا مثل أي تجربة كيميائية. وفي تلك الحالة فإن إمكانية فشل تلك التجربة يعني أن الضرورة لا تتيح إمكانية إنتاج خلية حية. وهذا يفضي بالضرورة إلى التصميم كحل أخير علمي منطقي. الكاتب من خلال معتقده الطبيعي ينكر وينفي تماما التصميم. لذلك يقتضي الأمر هنا إيجاد حل لتلك الثغرة وهي استحالة إمكانية إنتاج خلية حية معمليا، لذلك ومن أجل التخلص من تلك المعضلة زعم الكاتب أنه أثناء تشكل الخلية في مراحل تطورها فقد فقدت عنصر إعلام رئيسي يمكن أن يكون قد ضاع - عنصر إعلام وفرته البنى الخلوية الموجودة قبلا، وضروري من أجل "الشروع" في تجميع البنى الجديدة عندما تكبر الخلية. إذن هذا يعني بالضرورة أنه أثناء محاكاة إنتاج خلية حية في العمل والفشل في ذلك كما هو متوقع فإن لدى أنصار التطور المبرر ليقولوا أن عنصر إعلام قد فقد للأبد لا أن يقال أن بناء الخلية أمر مستحيل إلا من خلال التصميم. فعنصر الإعلام المفقود هنا وفق زعمهم هو في حقيقة الأمر وبالتحديد مخطط بناء الخلية وهو إذن التصميم بعينه. من الواضح أن الكاتب يدرك تماما أن تصميم الخلية بتعقيدها المذهلة لا يمكن تحقيقه من خلال الإمكانيات البشرية المتاحة لا في الوقت الحالي ولا في أي وقت مستقبلي ووجود المصمم الخارق القدرات هو المبرر الوحيد لنشوء الخلية الحية. ولما كان الكاتب لا يريد أن يصرح بهذا التفسير عزا الأمر إلى الضرورة وأشاع ضياع المخطط التصميمي الذي هو عنصر الإعلام المفقود كما زعم. الأمر ليس كما تفضل به الكاتب. لا يمكن تبسيط الموضوع وتسطيحه إلى درجة أن تجعل من تجميع عناصر الخلية نموذجا كتجميع أجزاء سيارة، ومن ثم تصبح السيارة جاهزة للركوب. فالسيارة بالرغم

من أنها تمثل نظاما معقدا ومصمما لغاية إلا أنها تفتقد إلى أهم صفة تخالف الخلية وهي الحياة. لربما كان هذا المثال مقبولا في حالة السيارة. أما في حالة الخلية، فإن الحياة هي أمر مكتسب ممنوح وليس ذاتي تفرضه الضرورة. وهذا ما يميز الحي عن الميت. إن أبسط أشكال الخلايا الحية، هي أعقد بكثير مما تم تقديمه في المثال. ولا يمكن لا بظروف مثالية ولا بغير مثالية، إعادة بناء عناصر الخلية إذا تعلق الأمر ببناء فعلي حقيقي وليس خداعا. وذلك نظرا لأسباب سوف يتم إيرادها في الفقرات التالية.

أما العبارة " بيد أن لبعض البيولوجيين اعتراضات ويفكرون بأن بعض أنماط التنظيم الخلوي قد أصبحت، في أثناء التطور، مستقلة استقلاللا ضعيفا جدا - أي ضرورية من أجل دوامها هي من خلال الأجيال الخلوية المتتالية." فهذا القول البديل عن النظرية الأولى، هو قول باطل أيضا لأن الخلية الحية مهما بلغت من البساطة أو مهما بلغت من التعقيد هي خلية ذات تعقيد مركب بتضافر كافة مكتنفاتها. وإن محاولة التلاعب بمكتنفاتها بأية طريقة كانت سوف يفضي في النهاية إلى شكل من أشكال أذية الخلية. لا يمكن أن يكون بعض أجزاء الخلية قد تكون أولا ثم تطورت أجزاء أخرى وهكذا، لأن الخلية تمثل وحدة متكاملة وأداؤها لوظائفها يشترط سلامة عمل كل مكتنفاتها منذ البداية. فهي كبنية متكاملة مهما كانت درجة بساطتها أو تعقيدها تمثل تعقيدا متعذرا الاختزال، في أصل تكوينها ومنذ بداية تكوينها. هذا يناقض القول "بان بعض أنماط التنظيم الخلوي قد أصبحت، في أثناء التطور، مستقلة استقلاللا ضعيفا جدا - أي ضرورية من أجل دوامها هي من خلال الأجيال الخلوية المتتالية." لنفترض كما يزعم أنصار التطور أن الميتاكوندريا قد كانت عبارة عن جرثومة تطفلت على خلية حية ثم فقدت استقلاليتها وتحولت إلى مصدر الطاقة لتلك الخلية. يجدر هنا التنويه بأنه ومن أجل تبرير حدث بيولوجي ما عادة ما يقدم أنصار التطور

تفسيرات هي في حد ذاتها تحتاج إلى تبريرات بحيث يتحول الأمر إلى شكل من أشكال الحلقات المفرغة والدوران حول الذات. ففي المثال السابق لا بد من طرح تساؤلات عديدة كلها تتناقض وتلك الافتراضات المزعومة منها: كيف كانت الخلية تحصل على الطاقة التي تحتاجها قبل اندخال الخلية الجرثومية إليها؟ وكيف أمدت الخلية الجرثومية الخلية المضيفة بالطاقة التي تحتاجها؟ وهل تلك الطاقة المتولدة داخل الجرثومة هي طاقة مفيدة للخلية أم أنها ستتسبب في إحداث تخريب داخلها؟ وكيف استطاعت تلك الجرثومة في بيئة داخل خلوية عدائية أن تستقر ثم تستحيل إلى ميتاكوندريا دون أن تتموت إحدى الخليتين أو كليهما؟ وكيف اكتسبت المورثات في الخلية المتطورة الصفات الوراثية للميتاكوندريا كي تظهر في الأجيال اللاحقة. ولماذا لانرى تلك الظاهرة التطورية في أي من مكتنفات الحياة هذه الأيام. ولماذا ليس بالإمكان تجريبيها معمليا مع تضافر الإمكانيات المتاحة؟..... فهناك العديد من الأسئلة التي لا إجابة حقيقية لها عند أنصار التطور. فالموضوع ليس مجرد مزاعم بلا دلائل والإلا تحول الأمر إلى مجرد قصص خيالية وأوهام.

يقدم لنا القرآن الكريم تحديا لأنصار التطور حيث يقول الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة 69 من سورة النحل " وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين". إن العبرة التي ساقها الله تعالى في الآية الكريمة ليذكرنا بها هي عملية إنتاج اللبن لدى تلك الأنعام اللبونة. فاللبن يتكون من مجموعة عناصر غذائية تشترك في وجودها وتختلف في تركيزها بين مختلف الأنعام اللبونة، من بينها الماء والبروتينات بما فيها الكازئين والسكاكر كسكر اللاكتوز والدهن والأملاح بما في ذلك الكالسيوم والفوسفور والمغنيزيوم وغيرها. إن هذه العناصر الغذائية تؤلف في مجملها اللبن الذي ساق الله لنا في إنتاجه مثالا وعبرة. معلوم أن الأنعام اللبونة كالأبقار

والأغنام والماعز بداية وهي التي تنتج معظم الألبان للبشرية هي مخلوقات عشبية أي أنها تأكل الأعشاب المختلفة وتشرب الماء. بعد أن تستهلك الأنعام تلك الأغذية و بعد أن يتم هضم تلك الأعشاب المختلفة ودخول عصارتها إلى الدم تقوم أجهزة خاصة في جسمها وهي الغدد الثديية في فصل العناصر التي تدخل في تركيب اللبن عن الدم لتكون في تلك الغدد لبنا خالصا سائغ الشراب للإنسان. أما ما تبقى من مخلفات فيتم طرحها. فمن بين دم عبيط ومخلفات غذائية مطروحة تم استخلاص ذلك اللبن الذي نشربه كل يوم. والله تعالى يسوق إنتاج اللبن في أثناء تلك الحيوانات اللبونة كعبرة للبشرية. فبالنظر إلى ما زعم من إمكانية تكوين خلية حية من عناصر أولية واكتسابها القدرة على الحياة بتعقيدها، هل يمكن إذا ما قدم كوبا من الماء وكمية من أعشاب مختلفة في معمل استخلاص اللبن من تلك المواد؟ بالتأكيد فإن عملية الحصول على اللبن أسهل كثيرا وأبسط كثيرا في تعقيدها من تكوين خلية حية. من المعلوم أن تلك الأعشاب مع الماء تحتوي كل العناصر التي تحتاجها الحيوانات اللبونة لإنتاج اللبن، فبتقديم الأعشاب نكون قد تجاوزنا المرحلة ما قبل العضوية إلى مواد عضوية جاهزة، وكل ما هو مطلوب قبل الكلام عن إمكانية توليد خلية حية فقط عملية بسيطة هي استخلاص اللبن بصفاته وبطعمه من تلك النباتات العضوية. مع بلوغ التكنولوجيا درجة عالية من التقدم يمكن اللجوء إلى أجهزة الفصل عالية الدقة مثل الكروماتوغرافيا والطرد المركزي وكل ما تفتقت عنه التكنولوجيا من وسائل الفصل المختلفة لفصل وإعادة تركيب عناصر اللبن وفق تركيزها المأخوذ من الحيوانات. لكن النصيحة المقدمة ألا يأمل أحد الحصول على لبن يوافق في خصائصه وصفاته ومزايه اللبن المتحصل من تلك الحيوانات ولو بدرجة قرابة بعيدة. لقد حاول البعض إنتاج ألبان نباتية من الصويا لكن الذي تذوقها يعلم مدى التفاوت الكبير في قيمتها الغذائية وفي طعمها وفي

خصائصها عن لبن الحيوانات. وبعبارة بسيطة تمت كتابتها على الصناديق الحاوية لتلك المشتقات البديلة تقول لا يجوز استخدام تلك المركبات كبديل غذائي للأطفال عن الألبان الحيوانية، يمكن فهم حقيقة مقارنة تلك المركبات بالألبان الحيوانية. إن من يعجز عن استخلاص اللبن الخالص كما جاء في الآية الكريمة فهو أعجز عن أن يبذل خلية حية بكل تعقيداتها.

إن الأبقار والأغنام والماعز هي من الحيوانات اللبونة التي وكما يزعم أنصار التطور قد ظهرت في الأرض قبل مئات الآلاف من السنين من ظهور الإنسان. فهل أبدع الاصطفاء الطبيعي أيضا تقديرا نخطيطيا مستقبليا جعل من هذه الحيوانات معاملة حقيقية للألبان كي يستفيد منها الإنسان لاحقا وبحيث لا غنى لحياته عنها؟ هل هذا يستقيم علميا أو عقليا؟ وبما أن الكلام هو عن الثدييات والتطور فلماذا خدمت ثدييات مثل الأنعام وهي المتأخرة في سلم التطور في تزويدنا بالألبان في حين تأخرت ثدييات أخرى كالرئيسيات وهي كما يزعم أنصار التطور أنها أكثر قرابة إلينا في أن تزودنا بألبانها؟ ثم لماذا لم تتمكن تلك الرئيسيات الأخرى من الاستفادة من ألبان الأنعام كما استفاد منها البشر؟

أنقل هنا، كتابة Michael Denton* 4 يفند فيها المزاعم التطورية وفق وجهة نظره العلمية المغايرة وأترك للقارئ المجال لكي يقرر بنفسه أي المنهجين هو الذي يتحلى بمصداقية علمية ومنطق أولى أن يؤخذ بعين الاعتبار: "إن البيولوجيا الجزيئية بدلا عن أن تبين وجود جموع من الأشكال الانتقالية التي من خلالها حصل تطور الخلية الحية، قد دلت بالتأكيد فقط على ضخامة الفجوة وسعة الهوة. إننا نعلم الآن، ليس فقط بوجود شرح بين عالم الأحياء وعالم الكائنات غير الحية، بل إن هذا الشرح يمثل أكبر انفصال مثير وصريح وواضح في الطبيعة. إن الفرق بين الخلايا الحية والأشكال غير الحية ذات

الانتظام الأدق بين مثيلاتها، مثل البللورات ورقاقات الثلج، يمثل هوة سحيقة مؤكدة بالقدر الذي يمكن للمتخيل أن يتخيله.

بينت البيولوجيا الجزيئية أنه حتى النماذج الأبسط من بين الأنظمة الحية على وجه الأرض الآن، فإن الخلايا الجرثومية تعتبر معقدة بشكل فائض و كبير. وحتى أصغر أنواع الجراثيم والتي هي صغيرة جدا بحيث لا تزن أكثر من 10 - 12 نانوغرام، هي بالنتيجة تعتبر مصنعا جزيئيا حيويا تم تصميمه بعناية فائقة ويحتوي على آلاف من الآلات الجزيئية المعقدة والتي تم بناؤها جميعا من مائة ألف مليون من الذرات، وهي أكثر تعقيدا بمراحل من أية آلة تم تصميمها من قبل الإنسان، وهي دون أدنى شك، لا يمكن أن تقارن بأي مثال يمكن الحصول عليه من العالم غير الحي.

لقد وضحت البيولوجيا الجزيئية أن التصميم الأساسي للأنظمة الخلوية في جميع الكائنات الحية التي تحيا على الأرض هو نفسه، بدءا من الجراثيم ونهاية بالحيوانات اللبونة. ففي كل هذه الكائنات الحية يكون دور ال DNA، وال RNA الرسول والبروتين هو دور متماثل. إن ما تعبر عنه الشيفرة الوراثية في كل الخلايا هو بشكل أساسي متطابق. إن شكل وحجم ونظام التصميم في آلية التصنيع البروتيني تعتبر بشكل أساسي نفسها في كل الخلايا. وفيما يتعلق بالمفاهيم الأساسية للتصميم الكيميائي الحيوي، فلا يمكن التفكير بأن أي نظام حي يمكن اعتباره نظاما ابتدائيا أو أن يعتبر سلفا وسابقا لأي نظام حي آخر، وليس هنالك أية دلائل من أي نوع ولو ضئيلة، تشير إلى حدوث أي تدرج ذو صفة تطويرية بين تلك التنوعات غير المنتهية من الخلايا الحية المشاهدة على الأرض. وبالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يأملون بأن تقوم البيولوجيا الجزيئية برأب الصدع بين الكيمياء والكيمياء الحيوية فإن البيانات المقدمة وبشكل عميق تعتبر مخيبة للأمال."

"قد لا يكون هنالك شيء أكثر تحدياً ووضوحاً مما قد قدمته البيولوجيا الحديثة حول ذلك التعقيد والبراعة اللامتناهية التي تميز ذلك البناء البيولوجي المتراخي من خلال العالم الجديد الفتان الذي منحنا إياه الدراسة الجزيئية للخلية الحية. فبالنظر إلى ما تم رؤيته باستخدام المجهر المكبر الضوئي، والذي لا يتعدى تكبيره عدة مئات المرات، والذي تم استخدامه أيام دارون، بدأت الخلية الحية بشكل ما مخيبة للأمال، فهي كانت تشاهد بمظهر ثابت مزري وفق نموذج غير منتظم، يتكون من فقاعات وحوصلات. حيث كانت تبدو الخلايا نتيجة تعرضها لمجموعة من القوى غير المرئية مقذوفة تحت المجهر كيفما اتفق وفي كل الاتجاهات.

فإذا ما أردنا أن نمسك بواقع الحياة، كما تم تبيانه بواسطة البيولوجيا الجزيئية، فإنه ينبغي علينا أن نقوم بتضخيم الخلية الحية بقدر آلاف الملايين من المرات، بحيث تصبح بقدر عشرين كيلومتراً في أبعادها، وتشبه طائرة عملاقة تغطي سماء مدينة كبيرة مثل نيويورك أو لندن. عندئذ يمكننا أن نرى ذلك التركيب الذي لا مثيل له، وذلك التصميم المبدع المنجز. فعلى سطح الخلية، يمكننا أن نرى ملايين من الفوهات التي تشبه البوابات المشاهدة في سفينة فضائية هائلة، وهي تنفتح وتغلق، دافعة جداول من المواد المتدفقة الداخلة والخارجة. وإذا ما أتيح لنا أن ندخل واحدة من هذه البوابات، فإننا سنجد أنفسنا في عالم من التكنولوجيا المتطورة، بشكل لا مثيل له، ومن التعقيد غير المسبوق. إننا سنرى أعداداً لا منتهية من الأروقة، وأقنية تتفرع في كل اتجاه من محيط الخلية، بعضها يقود إلى بنك الذاكرة المركزي في النواة، وبعضها الآخر إلى معامل التجميع في وحدة الإنجاز. أما النواة في حد ذاتها، فهي تعد الحجرة الهائلة الكروية، والتي يزيد قطرها عن واحد كيلومتر، وتشبه قبة ذات أقراص هائلة لتشفير البيانات، حيث نشاهد في كل منها أنظمة أمتة مرتبة بطريقة ملائمة،

بشكل أميال من السلاسل الملتفة من جزيئات ال DNA . وهنالك كميات هائلة من المواد الأولية والمصنعة، التي يتم مرورها عبر هذه الاقنية متعددة الاتجاهات وفق آلية منظمة بدقة، من وإلى معامل التجميع، أو إلى خارج الخلية. لا بد من التساؤل عمن هو المسؤول في مستوى المراقبة، حول حركة هذه الجزيئات اللامتناهية في عددها عبر تلك الممرات غير المنتهية، في نفس الوقت، وفي تنظيم تام. يمكننا أن نرى كل تلك المسارات أمام أعيننا في كل اتجاه، كل أشكال الكائنات التي تشبه الرجل الآلي تسير في كل اتجاه. إننا سنلاحظ أيضا أن أبسط أشكال المركبات الفعالة المصنعة داخل الخلية، وهو جزيء البروتين، يمثل جزءا من معقد مدهش هو الآلة الجزيئية، والتي تتكون كل وحدة منها، من ثلاثة آلاف ذرة، قد تم تنظيمها بدقة في الحيز الفضائي ذو الأبعاد الثلاثية. وسوف يكون عجبنا أكثر عندما نراقب الفعاليات الهادفة، التي تقوم بها هذه الآلات السلوكية الجزيئية، خصوصا عندما ندرك انه، بالرغم من معارفنا المتراكمة في الفيزياء والكيمياء، فإن مهمة بناء بروتين واحد فعال يشبه هذه الجزيئات في وقتنا الحاضر، هو تماما خارج نطاق الممكنات، وقد لا نتمكن من تحقيقه حتى بداية القرن القادم. ومع هذا، فإن حياة الخلية الواحدة تعتمد، على تضافر عمل آلاف بل بالتأكيد عشرات الآلاف، وربما مئات الآلاف من هذه الجزيئات البروتينية المختلفة.

يمكننا أن نلاحظ أن كل شكل من أشكال الآلات المتقدمة التي بحوزتنا، يوجد ما يشابهها في داخل الخلية: فهناك اللغات الآلية الاصطناعية وأنظمة التشفير الخاصة بها. وهناك المصارف الخاصة بالذاكرة وتخزين المعلومات، وأنظمة المراقبة المنظمة لعمليات تجميع الأجزاء والمركبات بشكل آلي، وهناك أجهزة مراقبة وتصحيح قراءة الكود الخاطئة المستخدمة في أنظمة الجودة والنوعية، وعمليات التجميع التي تشمل مبادئ التحضير لصناعة النماذج، ومن

ثم البناء المعدل. إنه سيعترينا إحساس لا يمكن تصديقه لكثرة تلك التشابهات المذهلة بين ما نعرفه اليوم من مصطلحات تكنولوجياية مستخدمة في تكنولوجيا نهاية القرن العشرين، وما يمكن استخدامه منها ، من أجل وصف الواقع الجزيئي المدهش داخل الخلية.

إن ما يمكننا أن نشهده هو مصنع يشبه معملا آليا هائلا، معملا هو أكبر من مدينة، يقوم ببناء فعاليات متميزة مثل جميع عمليات التصنيع مجتمعة، التي قام بها الإنسان على هذه الأرض. إلا أنه لديه قدرة خاصة لا تعادلها أية قدرة لأية آلة حديثة هي بحوزتنا. حيث أن لديه القدرة على توليد ومضاعفة كامل بنيانه، خلال فترة لا تتعدى ساعات معدودة. إن مراقبة هذا العمل من خلال تكبير يصل إلى المائة ألف مليون مرة، في الحقيقة فانه لا بد أن يكون مشهدا ملهما *5.

أما فيما يتعلق بالحساء ما قبل الحياتي الذي تمت الإشارة إليه أثناء الكثير من النقاشات المتعلقة بنشأة الحياة، وبأنه هو حقيقة لاشك فيها، فمما يؤسف له، أن الدلالات قد دلت بأنه وبالتأكيد لوجود لشواهد إيجابية تشير إلى توفر مثل هذا الحساء *6.

إن التعقيد الذي تتمتع به أبسط أشكال الخلايا الحية هو من العظمة بما يكفي للقول بأنه من المستحيل أن تكون مثل هذه الكائنات قد تم الحصول عليها بعد أن تم رمي مكوناتها الأولية سوية بشكل عشوائي فجائي، من خلال حدث غريب اهتياجي، غير محتمل على الإطلاق. إن مثل هذا الحدث لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق المعجزات *7.

إنه من المدهل أن نفكر، أن تلك التحفة الآلية (وهي الخلية الحية) والتي تملك القدرة الخالصة على تشكيل كل ما هو حي على وجه الأرض، من أشجار الغابات العملاقة إلى دماغ الإنسان، يمكنها أن تقوم ببناء ومضاعفة كامل عناصرها خلال دقائق قليلة، وإن وزنها لا يتعدى 10 / - 16 من الغرام الواحد.

فإذا ما تمت مقارنة حجمها بأصغر آلة صنعها الإنسان، فهي تعدل واحد من ألف مليون مليون جزء من تلك الآلة* 8.

تمثل هذه الخلية من حيث بنيتها كل أشكال التمام المطلق، وهي حقيقة نلاحظها أينما نظرنا وباتجاه أي عمق تطلعننا. فإننا سنشاهد الإبداع والأناقة التي لا حد لها، والنوعية المتميزة التي تتنافى بشكل لا يصدق مع فكرة المصادفة. هل فعلا من المعقول أن تلك الآليات العشوائية قد كان بمقدورها بناء هذا الواقع. إن عنصرا صغيرا كالبروتين الفعال أو المورثة لاشك أنها معقدة، وهي تتجاوز في تعقيدها قدراتنا البشرية الخلاقة على إنتاجها، هذه الحقيقة التي تتعارض مع المصادفة، والتي تؤكد أن الخلية الحية تتفوق بكل الاعتبارات على أي شيء قد تم اختراعه بذكاء الإنسان* 9.

وبالعودة للفقرة التالية في مقولة دانتن: "لقد وضحت البيولوجيا الجزيئية أن التصميم الأساسي للأنظمة الخلوية في جميع الكائنات الحية التي تحيا على الأرض هو نفسه، بدءا من الجراثيم ونهاية بالحيوانات اللبونة. ففي كل هذه الكائنات الحية يكون دور ال DNA، وال RNA الرسول والبروتين هو دور متماثل. إن ما تعبر عنه الشيفرة الوراثية في كل الخلايا هو بشكل أساسي متطابق. إن شكل وحجم ونظام التصميم في آلية التصنيع البروتيني تعتبر بشكل أساسي نفسها في كل الخلايا. وفيما يتعلق بالمفاهيم الأساسية للتصميم الكيميائي الحيوي، فلا يمكن التفكير بأن أي نظام حي يمكن اعتباره نظاما ابتدائيا أو أن يعتبر سلفا وسابقا لأي نظام حي آخر، وليس هنالك أية دلائل من أي نوع ولو ضئيلة، تشير إلى حدوث أي تدرج ذو صفة تطورية بين تلك التنوعات غير المنتهية من الخلايا الحية المشاهدة على الأرض."

يمكننا أن نستنتج النتائج العلمية التالية:

1 - إن التصميم الأساسي للأنظمة الخلوية في جميع الكائنات الحية التي تحيا على الأرض هو نفسه. وهذا يعني بشكل جلي أن من قام بإنجاز هذا التصميم لا يمكن أن يكون إلا فرد واحد أحد وهذا هو المنطق السليم في التحليل العلمي مقارنة بما استدل به أنصار التطور في زعمهم الخاطئ أن ذلك التصميم يدل على الأصل المشترك للكائنات. فالاستدلال على الأصل المشترك لا يصح أن يأخذ من خلال التطابق في التصميم الأساسي وإنما يكون كما هو الأمر عند التعرف على نسب إنسان ما وذلك من خلال التواصل في الأنساب. لقد خلط أنصار التطور بشكل خاطئ بين التصميم الأساسي والتواصل في الأنساب.

**Similar design might
be evidence that the
same designer made
them.**

2 - لا يمكن التفكير بأن أي نظام حي يمكن اعتباره نظاما ابتدائيا أو أن يعتبر سلفا وسابقا لأي نظام حي آخر. فالأنظمة الحية بأنواعها المختلفة تعتبر في تصميمها منذ البداية وفي جميع المخلوقات البسيطة أو المعقدة الأولية في هرم التطور أو النهائية كلها أنظمة مكتملة معقدة ومنتهية وعلى هذا الأساس:

3 - ليس هنالك أية دلائل من أي نوع ولو ضئيلة، تشير إلى حدوث أي تدرج ذو صفة تطورية بين تلك التنوعات غير المنتهية من الخلايا الحية المشاهدة على الأرض. مما يعني أنه من الممكن للكائنات الحية المختلفة في درجة تعقيدها الافتراضية أن تكون قد جاءت إلى الوجود والحياة في المرحلة الزمانية نفسها وهذا عند هذه النقطة يثبت أن الخلق هو الآلية التي جاءت بتلك الكائنات الحية للوجود.

“I fully agree with your comments on the lack of evolutionary transitions in my book. If I knew of any, fossil or living, I would certainly included them. I will lay it on the line—there is not one such fossil...”

Dr. Colin Paterson, Senior Paleontologist, British Museum of Natural History in correspondence to Luther Sunderland quoted in *Darwin's Enigma* 1988 p. 89

إن إمكانية نشوء المخلوقات الحية البسيطة كالخلايا تعتبر معدومة بغير معلومات حقيقية تصميمية مسبقة. تلك المعلومات تستوجب وجود قدرة علمية حكيمة صممتها وصنعتها. إن تلك القدرة التي جاءت عن طريق صانع حكيم عليم تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه منذ لحظة خلقها ومن خلال تخليق تلك العناصر الحية البسيطة في تعقيدها أن ذلك الخالق العليم هو على دراية لحدود لاتساعها في إنجاز أي تعقيد مهما كانت درجته بما في ذلك ما يزعم أنصار التطور أنه قد جاء لا حقا و يقع في أعلى هرم التطور وهو خلق الإنسان.

فالذي صنع الخلية وأبرأها بداية لهو قادر على خلق الإنسان بداية أيضا سيان عنده إن كانت الخلية هي المخلوق الأول أو الإنسان أو حتى أي مخلوق أعقد في تركيبه من هذا الإنسان. إن الوصف الذي قدمه دنتن عن البنية الجزيئية لتلك الخلية الحية البسيطة والمتناهية في الصغر وما تحمله في تركيبها من التعقيد البنيوي والدقة المتناهية يجعل كل متمعن يدرك أن خلق الإنسان بيد هذا الخالق العظيم بعد إدراك تصميم تلك الخلية هو أمر أكثر من هين. يقول الله تعالى في سورة الأحقاف:

"أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير"

فإذا كان علم الخالق التقدير بالخلق وتعقيداته وقدرته منذ البداية معلومة تتجلى في أبسط مخلوقاته، تشير إليها تعقيدات البنى الخلوية كما رأينا، فإن الحاجة إلى التدرج في الخلق التي يستند إليها أنصار التطور في كل صغيرة وكبيرة سوف تنتفي. وإذا ما انتفت الضرورة إلى التدرج في الخلق كما يراه أنصار التطور، فإن النتيجة هي انتفاء لمزاعم التطور جملة وتفصيلا.

ال DNA ؛

يكتب الدكتور محمد العفيفي في كتابه (الثورة الجينية الفكرة والإعصار) صفحة -167 3 - "أما فيما يخص الأحماض النووية والتي تقوم بنقل الشيفرات الوراثية للخلايا عبر الأجيال فيعتقد، وعلى خلاف ما كان شائعا أن أول الأحماض النووية تكونا هو الرنا RNA وليس الدنا DNA والذي يمثل الآن الشيفرة الوراثية لأي خلية حية. والسبب في هذا الاعتقاد بسيط جدا ويتمثل في أنه لكي يكون هناك جزيء عضوي واحد يقوم بالوظائف الحيوية للخلية، فيلزم أن يكون هذا الجزيء قادرا على أداء وظائف كثيرة في آن واحد.

وهو ما تمت معرفته الآن عن الوظائف التي يمكن أن تقوم بها جزيئات الرنا المختلفة. فعلاوة عن نقلها للشيفرة الوراثية عبر الأجيال، فإن بعض جزيئات الرنا والمسماة (Ribozymes) تتميز بخاصية هامة وهي قدرتها على تحفيز التفاعلات الكيميائية اللازمة للحياة والقيام بدور الأنزيمات في إدارة العمليات الحيوية للخلية وذلك خلافا للاعتقاد السائد بان هذه المحفزات لا بد أن تنتمي للبروتينات.

وعلى هذا نجد أن الرنا يملك خاصيتين هامتين تؤهلانه لأن يكون لبعض الوقت الجزيء الوحيد للخلية. أولاهما أنه يحمل الشيفرة الوراثية (وهي خاصية أصلية للدنا) وثانيهما أنه لديه القدرة على إحداث نشاط أنزيمي ضروري لاستنساخ الدنا وتكوين البروتينات وهذا النشاط الأنزيمي هو في الأساس وظيفة بروتينية. وإذا استعرضنا بصورة أكثر تفصيلا ما يمكن أن تقوم به جزيئات الرنا لبدا لنا وضوحا سر الاعتقاد بان الرنا هو أول الجزيئات التي تكونت في الخلية وأنه مر زمان كانت كل الخلايا الموجودة على الأرض تملك جزيء الرنا فقط وهو ما تم تسميته بعالم الرنا أو "World RNA" فجزيئات الرنا المسماة بالرسول (Messenger RNA) تنقل المعلومات الوراثية من الجينات إلى مصنع تكوين البروتينات وهو الريبوسوم، كما أن الرنا الناقل RNA Transfer والرنا الريبوسومي (Ribosomal RNA) يسهم في تصنيع البروتينات. وتقوم بعض مبدئات الرنا (RNA Primers) ببدء تصنيع شريط جديد من الدنا، كما تقوم بعض الجزيئات الأخرى للرنا (Telomerase RNA) بالعمل كقوالب لتصنيع التيلوميرات وهي نهايات الكروموسومات والتي تقوم بكثير من وظائف الخلية مثل تحديد عمر الخلية والتنوع الانتيجيني المناعي للخلية (Antigenic Variation).

لا بد من الإشارة إلى العديد من الملاحظات المهمة في الكتابة السابقة التي لا يجوز المرور عليها دون أن تأخذ جانبا من التقييم.

فخلافًا لما تقدم به الكاتب الذي يمثل في وجهة نظره رأي أنصار التطور، من التسويق لجزء ال RNA على أنه هو أول الأحماض النووية تشكلا، معللا سبب تشكله بضرورة وجود جزيء عضوي واحد يقوم بالوظائف الحيوية للخلية خصوصا وأن التطور يقتضي في بدايات نشوء الحياة أبسط الأشكال الممكنة للمركبات الحيوية التي يتوقع أنصار التطور أن الحياة نشأت بها، فيلزم أن يكون هذا الجزيء وهو المحدود نسبيا في تعقيده قادرا على أداء وظائف كثيرة في آن واحد. ولذلك جاء الرنا ليمثل هذا الجزيء. بينت الدراسات أن الإشكالية التطورية التقليدية، وهي من جاء قبلا (هل ال DNA أم البروتين) لم يتم حلها بإقحام (الرنا المتوالد ذاتيا) كما أشارت إلى ذلك كثير من الكتب المرجعية. إن هذه النظرية فاقدة لمصداقيتها حيث أنها استندت إلى ادعاءات مخبرية شديدة التزييف، وقد تمت تلك التجارب بتدخل مبالغ فيه من قبل العلماء الذين اجروا تلك التجارب *10.

فالكاتب قد استند إلى مزاعم قد دحضتها الحقائق العلمية من جهة. ومن جهة أخرى فالإيهام الخادع هو ظاهرة غالبا ما يتعمدها أنصار التطور لتدعيم وجهة نظرهم. فعندما كتب " فيلزم أن يكون هذا الجزيء قادرا على أداء وظائف كثيرة في آن واحد. وهو ما تمت معرفته الآن عن الوظائف التي يمكن أن تقوم بها جزيئات الرنا المختلفة": يفهم من الشطر الأول لهذا الكلام أن جزيء ال RNA المبتغى، ينبغي أن يكون وكجزيء واحد فقط (وهو بصفة فردية، وليس بصفة أنواع مختلفة من ال RNA) قادرا على أداء وظائف كثيرة في آن واحد. ثم يتابع الكاتب في الشطر الثاني " وهو ما تمت معرفته الآن عن الوظائف التي يمكن أن تقوم بها جزيئات الرنا المختلفة". وهذا يلغي صفة القدرة الفردية لجزء الرنا

التي حمله إياها في العبارة الأولى . ليصبح مفهوم العبارة بعد تعديلها وبناء على المعطيات الحقيقية الفعلية لإمكانية جزيء الرنا، على الشكل التالي " فيلزم أن تكون الجزيئات المتنوعة للرنا المختلفة قادرة على أداء وظائف كثيرة"، في حين أن ما فهمناه في البداية (أن جزيئنا واحدا للرنا قادرعلى أداء وظائف كثيرة). فمن المعلوم أن جزيئنا واحدا من الرنا، لا يمكنه أن يقوم إلا بوظائف محددة ومحدودة. وأن هنالك أنواعا متعددة من الرنا كما وضح هو في نفس المقطع، لكل منها وظيفة مختلفة تماما عن الأخرى، بحيث لا يصلح الرنا الرسول ليقوم بوظيفة الرنا الريبوزومي. كما لا يصلح الرنا الريبوزومي ليقوم بوظيفة الرنا الناقل وهكذا. فلو اكتفى الكاتب بقول الحقيقة كما هي وهي " فيلزم أن تكون الجزيئات المتنوعة للرنا قادرة على أداء وظائف كثيرة" لانتفت فكرة التطور من الموضوع لان وجود أنواع متنوعة من جزيئات الرنا بداية، تعمل في الخلية في نفس الوقت ، يعني أن التعقيد في المركب الخلوي هو أمر أساسي منذ تواجدت الخلية الحية، وهذا ينقض مفهوم التطور الذي يسوق له الكاتب . من الواضح أن الكاتب يسعى، ليسوق لنا المذهب التطوري في علم الوراثة. يدلل الكاتب على هدفه هذا بوضوح حين يكتب " ومن الأدلة التي يسوقها بعضهم على أن الخلايا كانت تحيا منذ حوالي أربعة بلايين من السنين في عالم الرنا هو وجود العديد من الفيروسات حتى الآن والتي يمثل ال RNA فقط كل تركيبها الجيني ومن أشهر أمثلتها الفيروس المسبب لمرض الإيدز(HIV). ولكن مع مرور الوقت كان لابد للخلايا أن تعدل النظام الذي تؤدي به وظائفها الحيوية ليتلاءم مع التطور والتعقيد الطارئ على هذه الوظائف وحتى يتم إحلاله بنظام أكثر كفاءة وهو غالبا النظام الذي تديره البروتينات والذي يمثل العصب الرئيسي لدراسة الخلايا الآن." إذن فمن الواضح أن هنالك إحياء في الفقرة السابقة بأن العلم يدعم الآراء التطورية، وذلك من خلال التطور المزعوم الذي طرأ على النظام الأولى للرنا في بعض

الفيروسات إلى النظام البروتيني اللاحق في الخلية الحية. مع أن كل ماجاء به الكاتب ليس إلا مجرد تكهنات،

وتوضيحا للإيهام الذي حصل، لا بد من التبيان أن الفيروسات، لا يمكن أن تكون أول الكائنات الحية المتشكلة في سلم التطور، وذلك لأنها كائنات طفيلية تتكاثر على حساب الخلايا الحقيقية. فمن غير الممكن أن تكون سابقة في تكونها للخلايا الحقيقية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه لا يعلم وجود أية خلية حية سواء من أشباه الخلايا كالبكتيريا، أو من الخلايا الحقيقية، تمتلك فقط هذا النظام من ال RNA المتواجد في فيروس ال HIV. بل ولا تستطيع أية خلية حية على وجه الإطلاق، أن تعيش بنظام ال RNA الفردي، وإنما لابد من توافر مجموعة متكاملة من الأنظمة الوظيفية الفاعلة داخل الخلية، كل منها له دور منفصل ومستقل لكنه متناغم ومتعاون مع الأنظمة الأخرى، بحيث أن أي تشوه أو اضطراب أو فقدان في واحد من هذه الأنظمة سوف يفضي إلى اختلال كامل النظام في الخلية الحية. وهذا ما سماه الدكتور Behe (التعقيد متعذر الاختزال) الذي جاء ذكره سابقا والذي يؤكد، أن كل هذه الأنظمة لابد أن تكون قد تكونت في نفس الوقت حتى تتمكن من أن تؤدي عملها سوية وليس كما يزعم أنصار التطور. الملاحظة الأخرى هي أن فيروس الإيدز (HIV) هو فيروس مكتشف حديثا في منتصف الثمانينات. لا أحد يستطيع أن يقدر متى تخلق هذا الفيروس، لكن بالتأكيد لم يكن من أوائل المخلوقات التي تخلقت وذلك لسبب بسيط هو أنه فيروس لا يستطيع أن يؤدي وظائفه الحيوية بدون الخلية الحاضنة له. لذلك فإن المثال الذي ساقه الكاتب عن فيروس الإيدز لا يمكن أن يمثل دليلا على أن الخلايا كانت تعيش في عالم الرنا. لكن الشيء المثير للاهتمام هو المحاولة الجاهدة من قبل أنصار التطور لإيهام القارئ أن تطور الأشياء من الأبسط إلى الأعقد هو أمر يكاد يكون بديهيا، مع أن الأمر ليس كذلك.

يتابع الدكتور عفيفي في الصفحة 170 من نفس الكتاب مبينا منطق أنصاالتطور لنشأة الخلية الحية " على أن ما ذكرناه في الفقرة السابقة لا يفسر كيف انتقلت الخلية من طور البدائية إلى حالتها المعقدة التي نراها عليه الآن من وجود عضيات مركبة ومختلفة تقوم بوظائف التنفس والتغذية والإخراج وغيرها خاصة في الخلايا الأكثر تعقيدا والتي تحتوي على نواة حقيقية (Eukaryotes). وتفسير انتقال الخلية إلى طور أكثر تعقيدا واكتسابها عضيات جديدة جاء على يد عالمة أمريكية هي (لين مرجولس) (Lynne Morgulis) والتي افترضت نظرية مثيرة للاهتمام هي الآن مقبولة كحقيقة علمية في الأوساط البيولوجية ونعني بها نظرية التكافل الداخلي (Endosymbiosis). وتقوم هذه النظرية على أن العديد من العضيات الموجودة الآن في الخلية تعتبر عضيات مكتسبة ولم يتم تصنيعها بواسطة الخلية ذاتها. أما كيفية اكتسابها فهو أكثر إثارة. فهي تقترح أن الخلية قد اكتسبتها عن طريق بكتيريا غير متطفلة غزت الخلايا في وقت ما من مراحل تطورها، وعاشت داخل الخلية في علاقة تكافلية غير ضارة وأعطت الخلية بعض عضياتها. ومما يرسخ الاعتقاد بصحة هذه النظرية هو أن التركيب الجيني وتسلسل قواعد الأحماض النووية لعضيات الخلية المكتسبة بطريقة التكافل مثل الميتاكوندريا (وهي جهاز تنفس الخلية) والكلوروبلاست (والذي يقوم بالتمثيل الغذائي الضوئي) أقرب إلى التركيب الجيني لمثيلاتها في البكتيريا عن غيرها من المكونات الأصلية للخلية الأم. كما أن سبعة عشر بروتينا من ضمن أقدام أربعة وثلاثين بروتينا تحتويها خلايا حقيقيات النواة يبدو وكأنها قد جاءت من مصدر بكتيري". ينبغي التحفظ في الفقرة السابقة على نظرية التكافل الداخلي (Endosymbiosis) من حيث كونها الآن مقبولة كحقيقة علمية في الأوساط البيولوجية. فمن المعلوم كما جاء في البحث الثاني أن النظريات لكي

تحقق صفة العلمية ينبغي أن تندخل داخل إطار العلوم التجريبية، وينبغي أن تخضع وأن تكون قابلة للاختبار. والفرضية التي تقع خارج إطار العلم التجريبي، والتي لا يمكن اختبارها، لا يمكن اعتبارها نظرية علمية. فهل أخضعت نظرية التكافل الداخلي للاختبار وهل اجتازت تلك النظرية الاختبار؟ من الجلي أن تلك الفرضية لا يمكن بحال من الأحوال إخضاعها لأي اختبار لانعدام إمكانية مجارة تلك التكهّنات التي قدمتها الدكتور سوا من خلال التجربة في المعامل المخبرية أو بطريق الملاحظة في الطبيعة. فإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن تلك الفرضية التي تقع خارج إطار العلم التجريبي، والتي لا يمكن اختبارها، لا يمكن اعتبارها نظرية علمية. فكيف تم قبول نظرية بتلك المواصفات لا تعدو في أحسن الأحوال أن تسمى بالمزاعم التاريخية كحقيقة علمية في الأوساط البيولوجية؟ وهنالك سؤال مهم أيضا في هذا الصدد وهو هل إذا كان هنالك تشابه ما في التركيب الجيني بين بعض المتعضيات داخل الخلية مثل الميتاكوندريا وبين البكتيريا فهل هذا يتيح للباحث بدون أن يملك أي دليل حق الافتراض أن البكتيريا قد تطفلت على الخلية وأكسبتها لاحقا بعض عضياتها؟ إن الانطلاق من مفهوم العبثية نحو بناء نموذج ذو تعقيد هندسي هو أمر مرفوض من الناحية البديهية والعلمية. والقارئ لمثل تلك الفرضيات الغربية يكرر تساؤله دائما كيف يمكن لمؤسسات علمية كالأوساط البيولوجية أن تقبل مثل تلك النظريات؟

إن الدراسات الملاحظة على الطفيليات داخل الخلية مثل طفيلي الملاريا المتطفل على الكريات الحمراء عند الإنسان وطفيلي اللايشمانيا المتطفل على الخلية البالغة الكبيرة وكلاهما من وحيدات الخلية توضح بشكل لا يقبل النقاش أن تلك الطفيليات لا تملك أي قدرة على إحداث أي تحول أو تغيير بنيوي يمكن أن يقود إلى استحداث عضيات بنوية مفيدة داخل خلية جديدة. فكلا

الطفيليين قد تطفلا على الخلايا البشرية منذ أن وجد الإنسان لكن مانلاحظه بوضوح في هذه الأيام وبعد زمن مديد من التطفل أن تلك الطفيليات لاتزال مجرد بنى منفصلة في نوعها محتفظة بصفتها الطفيلية المؤذية والضارة بالخلايا البشرية الحاضنة دون أدنى تغيير في وظيفتها. إن الثباتية في صفات الأنواع هي صفات ملازمة للأنواع الحية وهي تنفي نظرية التكافل الداخلي.

لقد وضع لايبيل ومن بعده دارون قاعدة علمية مهمة وهي أنه من أجل استقصاء ظاهرة طبيعية ما حصلت في الماضي عليك أن تقارنها بأحداث لاتزال تبدو إنجازاتها تتراءى في الحاضر وهذا ماتفتقده تلك النظرية.

لا بد هنا من تقديم شرح واضح حول فهم أنصار التطور ونظرتهم إلى بيولوجيا الخلية وتفنيد هذه النظرة من الوجهة العلمية وتحديد المدلولات الخاطئة أو الاستنتاجات التي يجانبها الصواب.

إن أنصار التطور يرون بان الخلايا الحية قد تطورت وارتقت في تعقيد بنيتها بدءا من المكتنفات البسيطة دون وجود أية قدرة مهيمنة صانعة مقتدرة قامت بإنشاء أو بناء هذه البنى الخلوية المعقدة. لذلك لابد لأنصار التطور لتسويق أفكارهم أن يقدموا البديل الذي يعتقدون أنه سيضي بالتبرير العلمي لرؤاهم التطورية. لذلك استندوا إلى فرضية وضعتها العالمة لين تفترض أن المكتنفات داخل الخلوية مثل الميتاكوندريا وجهاز غولجي والليزوزومات وحاملات اليخضور في الخلايا النباتية وما سواها من المكتنفات ، هي عضيات مكتسبة من المحيط الخارجي وليست عنصرا أساسيا من مكونات الخلية ذاتها.

فلنبتدئ بتحديد ماهي البنية التي يفترض أنصار التطور أنها الأساس المجرد من الخلية، بدون تلك الإضافات من المكتنفات التي جاءت لاحقا. لا يمكننا منطقيا وعلميا أن نعطي وصفا لكائن ما بدون وجود حيز فراغي يشغله هذا الكائن. إذن فمن المؤكد ضرورة وجود غلاف يحيط بهذه الخلية المزعومة

البكر التي سوف تتحول إلى الخلية الحقيقية لاحقا. هذا الغلاف هو الغشاء الخلوي. ينبغي لهذا الغشاء أن يتصف بصفات مهمة جدا، وذلك لضمان التبادلات الحيوية داخل الخلية وخارجها، باعتبار أن تلك الخلية هي خلية حية. فالغشاء ينبغي أن يكون غشاء حيويا، يسمح انتقائيا بنفوذ العناصر الحيوية المختلفة التي تحتاجها الخلية لحياتها. وفي نفس الوقت، يقوم بمنع المواد المؤذية من الدخول للخلية. كما ينبغي أن تتوفر آلية للضخ الفعال، إضافة للضغط النفوذي، تسمح بخروج الشوارد والمواد عالية التركيز من داخل البنية الخلوية إلى خارجها. لأنه بدون هذا الضخ الفعال سيفضي الأمر إلى انتفاخ الخلية بالمواد التي نفذت إليها، ومن ثم انفجارها ومقتلها. فالضخ الفعال هو أحد الأسس التي لا يمكن بقاء أية خلية حية بدونه من الناحية العلمية. هذا الضخ الفعال، يستوجب وجود مصدر ما للطاقة، وخمائر تساعد على التفاعل لتأمين الضخ الفعال، سواء من خارج الخلية إلى داخلها، أو من داخل الخلية إلى خارجها. ومصدر الطاقة هذا، هو إما الميتاكوندريا وتوليد الطاقة بواسطة الأكسجين، وهو آلية معقدة لا يمكن أن تكون قد نشأت وفقا لزعم التطوريين مبكرا، لأن ذلك سيدع مجالا للقول بالتعقيد المبكر الذي ينفي التطور. فتبقى الآلية الثانية وهي التخمر في هذه الخلايا البكر. التخمر أيضا يتطلب تواجد عناصر داخل الخلية الحية البدائية هي التالية: 1 - سكاكر قابلة للتخمر 2 - وسط مائي داخل خلوي يسمح بحدوث التخمر 3 - أنزيمات خاصة هي التي تقوم بتفاعلات التخمر 4 - أجواف خاصة تسمح لحدوث الاختمار دون أذية بقية مكتنفات الخلية 5 - أوعية خاصة لخروج نواتج الاستقلاب التخمري إلى خارج الخلية عبر الضخ الفعال 6 - آلية لتوليد الطاقة وإدخالها بنظام NAD 6 - أوعية خاصة أخرى لدخول العناصر المتخمرة إلى داخل حجرة التخمر من الوسط الخارجي 7 - نظام خاص بالتصحيح الذاتي للمكتنفات والعناصر الموجودة

وإعادة بناء التالف أو المستهلك منها 8 - نظام آخر هو النظام التكاثري الذي يتيح مضاعفة نفس البنية الخلوية خلال فترة معينة، وانبثاق خلية جديدة من الخلية الأصل، وإلا فعندما تموت هذه الخلية البكر، فلا يمكن أن تتكرر حياتها. هذه هي المكتنفات التي يجب الاتفاق على وجوب توفرها في الخلية الأولية البكر، كي تستطيع أن تبقى وتتكاثر. إن غياب أي عنصر من هذه المكونات، سوف لن يتيح مجالاً للخلية أن تنمو وتبقى حية. ولنتقدم بشكل من التفصيل في هذه الأنظمة:

فعملية التخمر تتطلب توفر مجموعات أنزيمية هي خمائر الهيدروجيناز والكربوكسيلاز - إن الأجواف داخل الخلوية والغشاء الخلوي، يتطلب وجود خمائر قادرة على تفكيك أو ربط المواد البروتينية. - إن بناء الطاقة من عملية التخمر تتطلب وجود نظام أنزيمي خاص. - إن دخول وخروج المواد العضوية وغير العضوية، من وإلى الخلية عبر جدارها يتطلب وجود ناقلات وخمائر متعددة ومساعدات أنزيمات. - إن عملية التكاثر تتطلب وجود نظام فيه يتم توليد مواد بروتينية، فلذلك لا بد من وجود الدنا والرنا بأنواعه المختلفة، والخمائر التي تربط وتفكك البروتينات. وحتى لو اكتفى بالرنا أولياً، كما زعموا وهذا غير ممكن، فلا يزال الأمر معقداً جداً. - ثم هنالك أنظمة الإصلاح على مستوى كل جزء من الخلية الأولية البكر المزعومة، وكل نظام من أنظمة الإصلاح تلك، هو نظام خمائري معقد. فإذا ما تم إحصاء الحد الأدنى فقط من الخمائر التي تحتاجها أبسط خلية حية للبقاء حية ومتكاثرة، فإننا سنجد أنها تفوق في عددها بضعة مئات إن لم يكن آلافاً من الخمائر المختلفة. هذا كله بزعم أن هذه الخلية الأولية تحصل على غذائها من مستحضرات (الحساء الحيوي) التي جاء ذكرها آنفاً، وليس من منتجات الخلايا اليخضورية المكتملة، والتي تقوم بالتركيب الضوئي. لكن إذا كان الحساء الحيوي هو مجرد وهم لا وجود له، فما تبقى هو

أن تلك السكاكر التي استخدمتها تلك الخلية المخمرة الأولية لا بد أنها قد جاءت من مصدر نباتي مشتق من خلية نباتية حقيقية.

ألا يبدو واضحاً أن هذا النظام الخلوي الأولي الذي يفترض وجوده منذ البداية، ولا يمكن الاستغناء عنه للحياة هو نظام شديد التعقيد. هل من الممكن التوضيح بشكل علمي، كيف تم تجميع هذه المكتنفات والعناصر التي تم ذكرها، والتي لا يمكن لأبسط أشكال الحياة أن تتحقق بدونها، حتى تتكون هنالك قناعة أن التطور هو حقيقة واقعة؟ إن الاستناد إلى قواعد الاحتمالات ومفاهيم المصادفة لا يمكن أن تفسر تجمع بضعة مئات من الأنزيمات ذات الفعاليات المتضافرة، في مكان محصور كخلية حية يحيط بها غشاء خلوي، وتكون قادرة على التكاثر، وتملك أنظمة استقلابية متعددة. لا يوجد أي تفسير يمكن أن يفسر هذه الظاهرة إلا تفسير واحد فقط، وهو وجود خبير قدير هو الذي أنشأ هذه الخلية الأولية بطريقة الخلق. إن هذا التعقيد الموجود في الخلية الأولية هو ما قال به الدكتور Behe التعقيد متعذر الاختزال. وهذا التصميم العظيم للخلية قد تم بواسطة ما عبر عنه الخلقيون (وهم المؤمنون بوجود خالق قد خلق المخلوقات) بمسمى التصميم المقتدر (Intelligent design).

تتكلم فرضية الدكتور لين عن وجود بكتيريا غير متطفلة غزت الخلايا. فمن طرق البحث العلمي النقل الصادق كما ورد. والواقع، أنه لم يشاهد و لم يسمع ولم يرد علمياً، بأن بكتيريا غير متطفلة دخلت إلى داخل خلية حية وتعايشت معها. فالخلايا في جسم الإنسان على سبيل المثال، التي تقوم ببلعمة البكتيريا هي الخلايا الدفاعية من وحيدات النوى أو المفصصات وهي خلايا تخصصية. حيث أنها وبمجرد بلعمتها للبكتيريا، تعتبر هذه الخلايا البكتيريا أجساماً أجنبية وعضويات ضارة، وتمارس عليها آلياتها الدفاعية التي تفضي إلى القضاء عليها. أما حين تعجز هذه الخلية الدفاعية عن القضاء على هذه

البكتيريا، لسبب مرضي يتعلق بالخلية الدفاعية، فإن الذي يحدث هو أن البكتيريا هي التي تقضي على هذه الخلية. هكذا يقول العلم. أما أن تدخل بكتيريا غير متطفلة إلى باطن الخلية، فتعايش معها وتصبح جزءا من مكتنفاتها الحيوية فلم ينقل أحد أو يسمع بذلك. ومن طرق البحث العلمي التجربة العلمية والمخبرية : إذ أنه من غير الممكن تجريبيا إحداث اندخال لأي بكتيريا غير متطفلة داخل خلية حية وبقاء هذه البكتيريا و الخلية حية تقوم بوظائفها بشكل سليم، ناهيك عن تحول هذه البكتيريا إلى جزء عضوي من مكونات الخلية وعنصر من عناصرها، تنتقل مع الخلية في تكاثرها إلى الأجيال القادمة. لنفترض جدلا أن هذه البكتيريا استطاعت أن تقبع داخل الخلية وأن تتحول بألية ما إلى عضوية من عضويات الخلية، إن التساؤل التالي هو، إذا كانت البكتيريا قد اندخلت في الخلية، فهل قامت بنفس الوقت بدفع مورثاتها إلى DNA و كروموزومات الخلية والالتحام بها. وكيف استطاعت مورثات هذه البكتيريا أن تندخل في مورثات ال DNA للخلية البالغة ؟ أليست مورثات البكتيريا هي مورثات خاصة، ستعطي في الأجيال القادمة نفس البكتيريا الأصل، التي يزعم التطوريون أنها دخلت الخلية. فكيف إذن ظهرت البكتيريا وفق مزاعم التطوريين، بشكل ميتاكوندريا أو أية متعضية أخرى في الأجيال اللاحقة. هل أصيبت البكتيريا بالتحول الشكلي والمورثة بالطفرة المطابقة لهذا التحول؟؟؟

من الممكن أن يكون وقع هذه النظرية أكثر قبولا، فيما لو كانت مورثة الميتاكوندريا في الخلية الحية الحالية منفصلة تماما عن المورثات المحمولة في ال DNA داخل النواة. إن نظرية الدكتور لين سوف تعتبر صحيحة فقط وفقط إذا كانت كل متعضية مفترضة، قد اندخلت إلى داخل الخلية، تحمل هي بنفسها مورثاتها منفصلة عن كروموزومات النواة، وتتكاثر بشكل منفصل دون أي شكل من أشكال التنسيق مع نواة الخلية الحاضنة. لكن سوف تتكون هنالك

معضلة جديدة. وهي أن كلا من هذه العضويات المندخلة، لا بد لها أن تتكاثر بآلية وتوقيت مغايرين لتوقيت تكاثر بقية عناصر الخلية. وهذا طبعا سوف يفضي إلى دمار الخلية. إن التجانس والتوازن والانضباط والتناغم الذي تشهده عناصر ومكتنفات الخلية في توقيتاتها كلها، أثناء فعاليتها الحيوية المختلفة لهو أكبر دليل على أنها قد تكونت كوحدة متكاملة بخلاف ما جاء في النظرية. الميتاكوندريا في الخلية الحية لها وظيفة محددة وهي توليد الطاقة اللازمة التي تحتاجها الفعاليات الحيوية داخل الخلية. إنها حقا رئة الخلية. وكل خلية حية تمتلك أعدادا محددة من الميتاكوندريا بحيث لا تزيد ولا تنقص لأن زيادتها سوف تدمر الخلية كما أن نقصها سيؤدي إلى اختناق الخلية بنقص الأكسجين والطاقة المرادة. فإذا كانت الميتكوندريا الأولى قد جاءت من خلية جرثومية استحالت عفويا داخل الخلية الحية، فكيف جاءت بقية الميتاكوندريا؟ هل كلها جراثيم أصابها طفرات نوعية في نفس الوقت؟ أليس هذا ما يسمونه التطور بالطفرات والتي قال عنها دارون أن القفزات تعني المعجزات؟ أم أن كل ميتكوندريا تطورت وحدها بشكل منفصل عن أختها! لكن كيف جاءت مورثاتها متطابقة؟ وهل استحالة نوع من الجراثيم إلى ميتاكوندريا ظاهرة معادة في عالم الطبيعة؟ لقد بينت التجارب العملية والعلمية أن أقصى ما تستطيع أن تحصله الجراثيم من تعديلات على بناها من خلال مادعاها أنصار التطور بالطفرات هو امتلاك بعض الجراثيم الكولونية لمقاومة ضد بعض الصادات كالستريبتومايسين. وقد ثبت أن تلك (الطفرات المزعومة) لم تكن أكثر من خلل على مستوى المورثة أفضى إلى حصول فقدان في مستقبل الصاد الحيوي ربما استفادت منه بعض الجراثيم نتيجة امتناع قدرتها على استقلاب الصاد مما أدى إلى عدم اندخال الصاد إليها وبالتالي قتلها. إذن فالجرثومة الفاقدة للمستقبل في حقيقة الأمر خسرت مورثات وبالتالي فهي في الواقع أضعف من شقيقتها التي

تأثرت بالصاد. وبالخلاصة فقد ابتدأنا بجرثومة كولونية وانتهينا بجرثومة كولونية، فأين التطور في الأمر؟ إن التحول من جرثومة إلى ميتاكوندريا يستوجب تحول آلاف من البروتينات والخمائر داخل تلك الجرثومة إلى أنماط جديدة فعالة تتناسب وعمل الميتاكوندريا داخل الخلية الحية وهذا يستوجب تعديلا مذهلا في بناء الأنظمة الحية لتلك العضوية يحتاج بالتأكيد إلى قفزات تطورية هائلة لو حسبت إحصائيا لاستغرق إنجاز هذا التحول أزمنة تتجاوز الخمسة بلايين عام الذي زعم أنصار التطور أنه عمر الوجود. بهذا يصبح التصميم معها أمرا أكثر معقولة حيث أن بناء الميتاكوندريا بالتأكيد لم يستغرق إلا وقتا محدودا حتى من خلال المعايير التطورية مقارنة مع بقية أنظمة الحياة والعضويات الحية المختلفة. لذلك فإن الاصطفاء الاختزالي من جديد في الزمان والمكان وفي العدد المحدود للعضويات الحية الموجودة في الأرض هو دليل لاشك فيه على التصميم. وهكذا وكقاعدة عامة، كلما وجدنا اختزالا ما في بناء العضوية الحية مهما كانت نوعيته فهذا يؤكد أن التصميم هو من قام بإنجاز تلك العضوية.

أما القول "أن التركيب الجيني وتسلسل قواعد الأحماض النووية لمتعضيات الخلية المكتسبة بطريقة التكافل مثل الميتاكوندريا (وهي جهاز تنفس الخلية) والكلوروبلاست (والذي يقوم بالتمثيل الغذائي الضوئي) أقرب إلى التركيب الجيني لمثيلاتها في البكتيريا عن غيرها من المكونات الأصلية للخلية الأم. كما أن سبعة عشر بروتينا من ضمن أقدم أربعة وثلاثين بروتينا تحتويها خلايا حقيقيات النواة يبدو وكأنها قد جاءت من مصدر بكتيري". هناك مثال مشهور لدى الباحثين الإحصائيين يضرب عادة للدلالة على وجوب الاستدلال الصائب في علاقات الارتباط كما في المثال السابق. ففي بريطانيا لوحظ في إحدى السنوات زيادة في تعشيش طيور اللقلق وتكاثرها فوق الأبنية. ترافق الأمر مع زيادة في عدد

المواليد في بريطانيا في ذلك العام. إن العلاقة الارتباطية تستدعي أن زيادة عدد أعشاش اللقلق قد كانت سببا في زيادة عدد المواليد. لكن الحقيقة ليست كذلك ولم تكن العلاقة علاقة ارتباطية مباشرة. كذلك الأمر في استنتاج الدكتورة لين حيث أن توافر وجود البرويتينات المتشابهة بين الجرثوم والميتاكوندريا قد استدل به بشكل خاطئ على الأصل المشترك. لكن الأمر في حالة الولادات في بريطانيا هو أنه أثناء فترة الحمل قبعت السيدات في البيوت وازداد استخدام التدفئة والمدخن فوجدت طيور اللقلق البيئة مناسبة لتبني أعشاشها على ظهور البيوت. وفي حالة فرضية الدكتورة لين فإن التشابه أو التماثل أو التطابق في بعض مفردات التركيب الجيني للكائنات الحية المصنفة في أنواع مختلفة، لاعلاقة له من قريب أو بعيد، ولا يدعم ولا يدل بأي حال من الأحوال، على أن نوعا ما من الكائنات قد تطور من نوع آخر، وإنما يدل بدهاءة على أن الصانع أو المصمم هو نفس المصمم. فبنفس القدر الذي ينظر فيه المرء إلى سرير وخزانة في غرفة ويجد أن الزخارف التي يحملها كل منهما هي نفسها، ويستنتج أن الذي صمم السرير والخزانة هو نفس الشخص، حيث من غير المعقول استنتاج أن السرير قد صنع الخزانة وتطور إليها. كذلك الأمر بالنسبة للتشابه في التركيب الجيني الذي يدل على نفس المبدع وليس على التطور.

عندما يقدم الباحثون على طرح فرضيات كالفرضية السابقة ويسعى البعض إلى تسويقها على أنها فرضية مقبولة من الواجهة العلمية بل يسوقها كحقائق بالرغم من الشذوذ الواضح فيها والنقائص العلمية التي لا تكاد تعد، فإن القارئ يبقى متسائلا عن الهدف من تلك الطروحات الشاذة. لماذا نفترض أصلا أن اندخالا ما قد طرأ على الخلية من قبل جرثومة وهو أمر نادر ما يشاهد في بعض أنواع الجراثيم داخل الخلية المجبرة لكنه لا يتسبب في حدوث أي تحول أو تحور أو تغير لا في بنية تلك الجراثيم ولا في بنية الخلية الحاضنة. فمن أين

تسنى لواقع تلك الفرضية اختلاق تلك التحولات الكبيرة التي لم تلاحظ على أرض الواقع مثل انقلاب الجرثومة إلى ميتاكوندريا أو إلى صانعة يخضور؟ إن هذه الافتراضات تثير لدى الباحث العلمي الشك مكررا في أن أفكارا معلبة جاهزة هي وراء تلك الافتراضات. كأن واضع الفرضية يعمل بدلا من أن يثبت فكرة معينة على نفي أو على الأقل التشويش على حقيقة التصميم. فالخلية الحية كما تم تبيانه أنفا هي خلية غاية في التعقيد الشكلي والبنوي، يستحيل أن تكون قد تكونت عضياتها ومكتنفاتها في مراحل مختلفة، ولابد أنها قد جاءت جميع عضوياتها إلى الوجود مرة واحدة وفي وقت واحد. وهذا يعني أن نموذجا تصميميا اختزاليا يتوافق مع تصميم هذه الخلية الحية قد تم إبداعه كي يتسنى لهذه الخلية أن توجد. إن هذا النموذج التصميمي لا يمكن أن يكون قد استحدث إلا بواسطة حكيم مقتدر لأنه يتناسب ويتلاءم مع عظمة تصميم الخلية ذاتها. فإذا أقر المرء بأن تصميم الخلية هو تصميم إبداعي ملهم كما جاء أنفا في وصف العالم دانتن للخلية الحية فلا بد أن يعترف لمن أبداع هذا التصميم بالعظمة والاعتدال. عند هذا الحد يمكن الافتراق مع أنصار التطور حيث يزعمون أن هذا الإبداع إنما هو إبداع ذاتي عشوائي عدمي أنشأ نفسه بنفسه بالرغم من أن جميعهم يقرون بفطرتهم بأن لاشيء يتأتي من العدم وقد تعلموا ذلك أيضا في الصفوف الدراسية الأولى من القانون الأول للتيرمودينميك. إن هذا الإنجاز هو الذي يطلق عليه اسم الخلق ولابد من وجود خالق عظيم هو الذي أنجز خلق الخلية. أما الدكتور لين فتريد أن نخبرنا أن الخلية قد أنجزت نفسها بنفسها و لا وجود للخلق.

أما فيما يتعلق بال DNA : فهو لا يمكن أن يتضاعف إلا بوجود أنزيم خاص. هذا الأنزيم لا يمكن تصنيعه إلا من قبل ال DNA المتواجد أصلا. بمعنى أن كلا من ال DNA والأنزيم هو أساسي بالنسبة للآخر. وكلاهما يجب أن

يكونا متوفرين من اجل أن يحصل التضاعف في ال DNA . بناء على ذلك فان ال DNA يجب أن يكون متوفرا من بدء الخليقة. إذا كان له أن يتحكم بالحياة * 11 . من المعلوم أن ال DNA هو الذي يحمل في طياته الشيفرة الوراثية (الكود) التي تميز وتفرق كل كائن حي عن الكائن الحي الأخر وهو الذي يقدم المعلومات والأوامر لتصنيع البروتينات في الكائنات الحية المختلفة والتي ستكسب الكائن الحي لاحقا صفاته الشكلية. إن ال دي إن إي هو نظام معلومات دقيق مثله مثل أية لغة يحمل في طياته برامج ومخططات بنيوية تفوق في محتواها عند إنسان واحد العشرة آلاف مجلد. فمن غير السائغ والأمر على هذا النحو القول أن هذه الشيفرة المعقدة قد تولدت بشكل عفوي أو ذاتي أو عشوائي أو حتى بحكمة بشرية وإنما هي اقتدار لمقتدر صنع البشر وصنع بقية الكائنات كلها بكمال مطلق.

لقد برهن علماء الكمبيوتر بما فهموه من أنظمة المعلومات والأتمتة وبوضوح، أن المعلومات لا يمكن ولا يجوز أن تنشأ بشكل عفوي. تنجم المعلومات فقط عن مصدر يقوم هو بتوفير وتقديم الأرشفة المعلوماتية، وذلك من خلال إشراف وهيمنة كلية يؤديها عاقل مدرك. بالتالي، وبما أن ال DNA تمثل معلومات، فإنها لا يمكن أن تكون قد تشكلت من خلال الطرق الطبيعية الكيميائية العشوائية * 12 .

وحيث لا يوجد استعداد كيميائي طبيعي لدى سلسلة من الأسس الكيميائية الخاصة بال DNA كي تقوم بالأصطفاف على شكل سلسلة ذات تموضع يميني (R groups) كما هو الحال بالطريقة المنتظمة المطلوبة من أجل حصول الحياة. فإنه ومن خلال تناقضه مع القوانين الكيميائية الطبيعية التي يوردها أنصار التطور بمزاعمهم الخاطئة حول العشوائية وذلك كونها تتكرر في الطبيعة علما أن التكرار لا يعني العشوائية أو الذاتية أو الضرورة ، فإن ال DNA ومن خلال العلاقة القائمة بين الأسس الخاصة به، ذات التموضع

اليميني (R-groups) إضافة إلى طبيعة بنية ال DNA، المكون من ارتباط أسس أربعة وفق آلية اصطفائية تصميمية كل ذلك لا يمكن أن يكون قد تشكل بواسطة التفاعلات الكيميائية العشوائية المزعومة أو بحكم الضرورة 13.

وبالخلاصة يلخص لنا البروفيسور (Maciej Giertych) رئيس قسم الوراثة في الأكاديمية البولندية للعلوم رأيه في علاقة التطور بعلم الوراثة والمورثات فيقول " إن المورثات وعلم الوراثة لم يقدم أي برهان على التطور. بل إن لدى هذا العلم مشكلة في شرح المزايم التطورية. فكلما تمعن الإنسان أكثر في الشواهد التي يستدل بها على التطور، كلما عثر على دلائل أقل تشير إليه. وفي الواقع، فإن الفرضية التطورية تستمر في وضع النظريات، لكنها تخفق في البرهان عليها. ثم تنتقل لتضع مسلمات أخرى مثل (الحلقات المفقودة بين المستحاثات، والاصطفاء الطبيعي للأجناس الأفضل، والطفرة الإيجابية، والتعاقب الجزيئي عند الاحفوريات. الخ). إننا لا يمكننا تصور العلم بهذه الصورة 14*.

الثورة الجينية والأخلاق:

في محاضرة لأحد الاستشاريين حول الاستنساخ، تكلم المحاضر فقال " لقد استطاع العلم أن يخلق كائنا مستنساخا مطابقا للكائن الأصلي وبإمكان العلم لاحقا، أن يخلق بعملية الاستنساخ بشرا مطابقين في صفاتهم الوراثة تماما للنسخة الأصل". وقد كرر هذا المحاضر كلمة التخليق ونسبها إلى العلم في عديد من المرات في محاضراته. يكتب الدكتور محمد عفيفي في كتابه الثورة الجينية الفكرة والإعصار صفحة 204 " لن يكون من المستغرب أن نسمع مونولوجا شبيها بهذا من أحد علماء الهندسة الوراثة وهو مهتاج من نشوة ما أتيح له بفضل هذا العلم من إمكانية فصل وتعديل ونقل للجينات الوراثة

مخدوعا بأنه أصبح إلها أو نصف إله". ويكتب الدكتور سعيد محمد الحفار في كتابه البيولوجيا ومصير الإنسان: 4 ❖ " ألم يكف الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض حتى يجادل أن يلعب جزئيا دور الله ويتدخل في خلقه وفي قوانين الحياة." لا بد هنا من التوضيح والفصل بين قدرة الإله اللامتناهية وبين إمكانية البشر المحدودة والضئيلة. إن معرفة الإنسان ببعض أسرار المورثات أو الجينات لن تجعل من الإنسان أو من العلم إلها خالقا. فالإله الخالق هو الذي يوجد الشيء من العدم ويوجد الحياة من الفناء، يعيد إحياء الميت بذخيره المعرفية و بإرثه الحياتي الكامل الذي عاشه قبل أن يموت. أما هذا الإنسان الذي غرته بعض المكتسبات المعرفية، فقد ظن نفسه أنه أصبح يضاهي الخالق تعالى في قدرته على الخلق. إن كل ما أدركه هذا الإنسان أو حققه من تقنيات علمية، ماهي إلا كمن يقوم بعملية البذار للبذور ثم يدعي أنه هو الذي زرعها. فالبذار هو ذر البذور ودفنها في التراب وربما إضافة قليل من السماد وتميرير الماء على البذور. أما الزراعة فهي انفلاق الحبة الميتة وتفجر الحياة فيها ثم إنتاشها وخروج البراعم الخلوية الخضراء والاستفادة من ضوء الشمس في عملية التركيب الضوئي، وامتداد الجذر إلى التربة وامتداد الساق في الهواء، ونمو الأزهار والأوراق والثمار من بذرة ميتة. فلا بد من التمييز بين الزارع الذي هو الله سبحانه وبين الذي بذر البذور وهو الإنسان. كذلك الأمر في الثورة الجينية فان الاستنساخ أو الفصل أو التعديل أو نقل الجينات الوراثية بأي طريقة كانت، ما هو إلا شكل آخر وطريقة أخرى من أشكال التزاوج الغريزي الذي تؤديه كل المخلوقات على وجه الأرض. فكل المخلوقات تتزاوج وتتجب، فهل نقول أن كل هذه المخلوقات قد أصبحت آلهة. كذلك الأمر في تطبيقات التكنولوجيا الجينية: فالخالق هو الذي خلق المخطط والنظام الوراثي ممثلا في المورثات والDNA . فسواء قام الإنسان بإجراء تعديلات واعية عليه، وذلك من خلال التطبيقات التكنولوجية، أو بتعديلات غير

واعية من خلال التزاوج الفيزيولوجي، فإنه في الواقع لم يقم بأكثر من تعديل على عملية التزاوج، وظن نفسه أنه قد جرى الخلق. إن القرآن الكريم قد عبر عن هذه الظاهرة الخادعة في سورة الواقعة قال تعالى " افرايتم ما تمنون ❖ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ❖ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ❖ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ❖ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون." ❖ 5 .

إن الإنسان يعيش في هذه الحياة و نوازع الخير لاشك كامنة فيه . كما أن نوازع الشر يمكن أن تستولي عليه.

من المهم جدا أن يعرف الإنسان قدر نفسه وحدوده فلا يتجاوزها، وهو مخلوق مميز، واع، ذكي. فينبغي أن يستخدم تمييزه هذا في فائدة الإنسانية لا في الإضرار بها. والبيولوجيا الجزيئية والثورة الجينية هي علم، مثل غيره من العلوم الأخرى. إذا أراد الإنسان أن يستخدمه في التدمير، فله أن يفعل ذلك وان أراد استخدامه في التعمير، فهو بمقدوره أن يقوم بذلك.

الطفرات والتطور:

يمكن تعريف المورثة بأنها الوحدة المتواجدة في داخل الخلية وتتوضع على الكروموزوم وهي التي تقوم بنقل الصفات الوراثية للعضوية الحية عبر الأجيال. أما من حيث تركيبها الكيميائي الحيوي، فهي تتكون من مئات أو آلاف من الوحدات المتسلسلة من النيوكليوتيد (DNA) الحمض الريبي النووي منقوص الأكسجين. إن تسلسل وحدات الDNA في المورثة هو الذي سيحدد الرسالة الوراثية التي ستنقلها هذه المورثة للأجيال اللاحقة.

أما الطفرة: فهي من ابتداء أنصار التطور، وهي كما عرفوها: اضطراب يحدث بشكل عشوائي و يصيب البنية الكيميائية للكروموزوم على مستوى وحدات

ال DNA بحيث يتسبب وبآلية عشوائية في إحداث انفصال في وحدة أو أكثر أو اتصال وحدة أو أكثر أو تغيير مواضع الوحدات أو انغراس وحدة أو أكثر في غير موضعها. من كل عشرة آلاف تحول هنالك 9999 تشوه ضار وواحد فقط كما يزعمون هو النافع. والطفرة هو ذلك التحول النافع المزعوم. إن تقديم الطفرة وفقا للتعريف السابق هو تقديم مغلوط لا يملك الأساس العلمي الذي يدعّمه بل إن العلم ينفي هذا التعريف وذلك من خلال مايلي: إن الصفات الشكلية التي هي السمات الظاهرة للأحياء عندما تتعرض لأي شكل من أشكال الأذية فلقد تعارف الأطباء والناس عامة منذ القدم على تعريف تلك الأذيات بأنها حالة مرضية تصيب العضو أو الجسم دون أن يكون لتلك الحالة مدلولاً فلسفياً أو تطورياً مهما يكن، والحالة المرضية دائماً تكون منافية للصحة والعافية وهي عادة ماتحتاج إلى علاج معين خارجي لإزالتها ولعاقبة الجسم لحالته الطبيعية. قد يبدي الجسم مقاومة تقوم به أنظمة دفاعية خاصة أو معاوضة لتصحيح هذه الأذية. فالأمر في حالة الصفات الظاهرة التي هي منعكس للصفات الوراثية لم يحدث أن نسب إلى التطور والتحول لا من قريب ولا من بعيد باعتبار أنه لم يكن للأطباء خصوصاً أو للناس عموماً توجه أو رأي مسبق تجاه فلسفة التطور. كذلك الحال في حال العطب الذي يصيب المورثات والذي لا يتعدى كونه أذية مشابهة للأذيات التي تحدث على الصفات الظاهرة. فإن العضوية الحية أيضاً و تبعا لتلك الأذيات لديها آليات دفاعية ومعاوضة تشبه تلك التي تصحح الأذيات الظاهرة تقوم بتصحيح الأعطاب على مستوى المورثات. فالأمر في النهاية لا علاقة له بمصطلح الطفرات المفترضة من قبل التطوريين والتي لا وجود أصلاً لها على وجه الحقيقة كما أنه لا علاقة له بأي شكل من أشكال التطور.

وعلى الرغم من أن تلك التبدلات الطارئة على المورثات هي دائماً ضارة ومشوهة، بل وفي كثير من الأحوال قاتلة. فلا يزال التطوريون يعتقدون أن قلة

من هذه الطفرات المزعومة يمكن أن تكون مفيدة، وبالتالي يمكنها أن تحدث التعديلات الوراثية المتوقعة. فهم يعتبرون أن مصادر التنوع في الكائنات ناجم فقط، عن تلك الطفرات الحسنة إن حدثت. وهم بذلك يؤمنون أن الطفرات الحسنة موجودة. وبالرغم من الظواهر الطبيعية الحيوية التي تعد بالمليارات أو أكثر من ذلك فحتى هذه اللحظة لا يوجد دليل قطعي أتى به التطوريون يبرهن وجود تلك الطفرة الحميدة باستثناء بعض جهات النظر الخجولة التي لم ترق يوما إلى أن تكون دليلا حقيقيا على الطفرات. وفي عالم يفترض أنه تطور بالطفرات كما يزعم أنصار التطور فمن الحري أن تشهد الطفرات في حالة فاعلة أينما نظر المرء بين الأحياء حوله وهذا مايفتقد كليا ويستحق الملاحظة. إذن فلا الطفرة الحسنة قد تأكد وجودها، ولا التنوع المزعوم عن تلك الطفرة الحسنة قد دلت الدلائل عن تحققه. فالأمر كله لا يعدو كونه مجرد تكهنات وافتراضات. وهو كله مجرد نسب مبهم إلى مبهم.

من المفيد هنا أن نذكر رأي فئة ثانية من الطبقات العلمية وهم الخلقيون (أنصار الخلق) في موضوع الطفرات.

يعتبر المؤمنون بالخلق أن الطفرات المفيدة هي طفرات مشكوك جدا بحدوثها. وأن أي تغير عشوائي يحدث على مستوى المورثات سوف يفضي إلى اضطراب أو فقدان في فعالية المورثة. وحتى لو طرأت طفرة مفيدة، فهي ستؤدي إلى تغير في صفة هي بالأصل موجودة، ولن تفضي إلى خلق صفة جديدة أو توليد تعقيدات أكثر.

إن الطفرة لا يمكنها أن تنتج مادة خام جوهرية جديدة. إنك لن تصطنع جنسا جديدا وذلك من خلال إحداث الطفرات في جنس ما*15. إن حدوث الطفرات بالمصادفة بحيث تسمح للحيوانات والنباتات بتأمين احتياجاتها ومتطلباتها ، هو أمر يبدو صعبا بل مستحيل التصديق. ومع هذا فإن الفرضية

الدارونية يبدو أنها تبقى ذات متطلبات أكثر. فإن تبدا في نبتة واحدة أو حيوان واحد يحتاج كي يحصل إلى آلاف وآلاف من الأحداث المناسبة حسنة الطالع. وبالتالي تكون المعجزات قد أصبحت هي القاعدة: فالأحداث ذات الاحتمالات المتناهية في الصغر لا تجد صعوبة في أن تحدث.... وبدوره، فلا يوجد قانون يمنع حدوث أحلام اليقظة! لكن، لا يصح للعلم أن ينغمس في ذلك". " فالطفرات مهما كانت حتى وإن أتت كثيرة ومتعددة فهي لا يمكن أن تنتج أي نوع من أنواع التطور" *16.

مراجع البحث باللغة العربية:

- 1 - ماكس دوسيكتاتي (La Vie de la cellule a l homme) الحياة من الخلية الى الإنسان . ترجمة لمحمد حسن إبراهيم. مطابع وزارة الثقافة. سوريا. 1996.
- 2 - سلفادور لوريا، الحياة تجربة غير مكتملة. ترجمة محمد حسن إبراهيم. مطابع وزارة الثقافة. سوريا 1994.
- 3 - الدكتور محمد العفيفي (الثورة الجينية الفكرة والإعصار) كتاب الهلال، سبتمبر 2000. صفحة 167.
- 4 - الدكتور سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان: العدد 83 سلسلة عالم المعرفة.
- 5 - القران الكريم سورة الواقعة.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية:

- 1- F. Hoyle & C. Wickramasinghe (1981), "Evolution From Space", J.M. Dent & Sons: London p:24
- 2- David E. Green (Institute for Enzyme Research, University of Wisconsin, USA) & Robert F. Goldberger (National Institutes of Health, Maryland, USA) in their book "Molecular Insights into the Living Process", Academic Press: New York, 1967 p:406
- 3- Duane Gish, Ph.D The Origin of Life: Theories on the Origin of Biological Order From icr.org/articles/83, copyright © 2007 ICR .

- 4- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (pp. 249-250). Adler and Adler, 1985.
- 5- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (pp. 328-329). Adler and Adler, 1985.
- 6- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (p. 261). Adler and Adler, 1985.
- 7- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (p. 264). Adler and Adler, 1985.
- 8- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (p.338). Adler and Adler, 1985.
- 9- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (p.342). Adler and Adler, 1985.
- 10- *Scientific American*, February, 1991 p:100-109.
- 11- Scott M. Huse, "The Collapse of Evolution", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1983 p:93-94.
- 12- P. Moorhead & M. Kaplan (eds.), "Mathematical Challenges to the Neo-Darwinian Interpretation of Evolution", Wistar Institute: Philadelphia (Pennsylvania), 1967.
- 13- Scott M. Huse, "The Collapse of Evolution", Baker Book House: Grand Rapids (Michigan), 1983 p:94.
- 14- Maciej Giertych, Head of Genetics Department, Polish Academy of Science, Institute of Dendrology, Poland. Quoted in *Creation Ex Nihilo*, Vol. 13 No. 3, 1991 p:17.

15- Stephen J. Gould in a lecture entitled "Is a New and General Theory of Evolution Emerging?" at the Hobart and William Smith College, February 4, 1980.

Pierre Paul Grassé (former President of the French Académie des Sciences, and holder of the Chair of Evolution at the Sorbonne in Paris for 20 years), "Evolution of Living Organisms", Academic Press: New York, 1977 p:103, 88.

-8- بحوث ودراسات علمية تخالف التطور

الاصطفاء الطبيعي:

BIOLOGICAL EVOLUTION: Descent with modification

- **Modification:** "Natural Selection has been the most important, but not the exclusive, means of modification."

Charles Darwin,
The Origin of Species (1859)

إن من أساسيات التفكير التطوري، مفهوم حدوث التنوع داخل النوع الواحد عن طريق الطفرات والتنوعات الوراثية الأخرى. ان التنوع الوراثي الذي يحدث بهذه الطريقة، والناجم عن اختلافات في القدرة الحيوية، القدرة التخصيلية، الخ. كلها تساهم من خلال التكاثر في الاختلافات الحاصلة على الحصيلة الوراثية للأجيال القادمة. فبعض الكائنات تنجب ذرية أكثر من غيرها. ومن بين هؤلاء الذين يذرون ذرية كبيرة تبقى لتنجب أعدادا أكثر من غيرها يقال عنه أنه الأفضل ملاءمة. ويقال عن هذه الأنواع أنها قد تم اصطفائها من قبل الطبيعة، وبالتالي فان العملية التطورية هي عملية حدوث طفرات مترافقة مع اصطفاء طبيعي. كأن الطبيعة المنفعلة التي ليس بمقدورها ولا تملك من أمرها شيئا قد اكتسبت قدرة خارقة سحرية في التمييز والتقدير والتحكم. فهي تصطفي ما

تشاء كيف تشاء. وكأننا نتكلم عن طبيعة أخرى غير التي نعرفها وندركها ونعلم أنها منفعة غير فاعلة. إن أنصار التطور في توجيههم هذا يمنحون باصطفاءاتهم التي يزعمونها للطبيعة صفات خارقة للطبيعة هي بمثابة المعجزات. فالذي كان ينتقده أنصار التطور على أنصار الخلق وهو إيمانهم بالمعجزات التي تشير إلى الخلق بقدرة الخالق الذي يتنافى في زعمهم مع التفكير المنهجي الاستقرائي الطبيعي ويعتقد بالماورائيات الغيبية، فإنهم في توجيههم ويمنحهم الطبيعة صفات خارقة كالمعجزات إنما أوقعوا أنفسهم في نفس ما انتقدوا عليه أنصار الخلق مع وجود اختلاف جلي ومستبين لصالح أنصار الخلق عليهم وهو أن الخالق تعالى قد أرسل الرسالات وبعث بالرسول كدلائل مادية واضحة ملموسة تؤكد الخلق. أما هؤلاء فلا يملكون في مزاعمهم الخارقة التي أكسبوها للاصطفاء الطبيعي إلا الظن والذي لا يغني من الحق شيئا. هنالك مفهوم آخر أساسي بالنسبة للتطوريين وهو الاعتقاد بان هذه التغيرات الطفيفة أو التحولات الطفوية المحدودة، سوف تتراكم بطريقة ما، بحيث تؤدي الى ان نوعا محددًا من الكائنات، يمكن أن ينقلب بشكل أساسي كنتيجة لذلك، إلى نوع مختلف من الكائنات الحية. بالتالي فإن الكائنات البسيطة سوف تتحول أو تتطور إلى كائنات أكثر تعقيدا *1. ومن جديد يبقى هذا الكلام مجرد تكهنات تفتقر إلى الدليل فمن أين لهم بوجود تلك التحولات الطفيفة المزعومة وكيف يثبتون أنها ستتراكم إن وجدت وكيف سيؤول الأمر في النهاية إلى انبثاق نوع من الكائنات الحية جديد؟ كل تلك الأسئلة تحتاج إلى أدلة علمية استقرائية من الملاحظة والتجربة تثبتها قبل أن تتحول إلى فرضية وهذا ما تفتقر إليه حقيقة تلك المزاعم.

يذكر الدكتور احمد ابو زيد في مقالته الدارونية والتطور (مجلة العربي، العدد 612، تشرين الثاني 2009) " التنمية التطورية (Evolutionary

(Development) تهدف إلى إيجاد أشكال أكثر رقياً وتعقيداً من الحياة البيولوجية والاجتماعية على السواء، عن طريق استخدام مستحدثات ونتائج العلم الحديث والتكنولوجيا. فعلى الرغم من أن عملية التطور الطبيعي الحر الطليق أو التلقائي أدت إلى ظهور أشكال وصور عديدة معقدة خلال مراحل التطور التي استغرقت حقبات طويلة من الزمن، فإنها أدت أيضاً في الوقت ذاته إلى اختفاء واندثار أشكال أخرى عديدة من الحياة الطبيعية والاجتماعية، وذلك على عكس التنمية التطورية التي تمنع من تكرار تلك (الكوارث) وذلك عن طريق التدخل بل والتحكم في تعديل مسار عملية البقاء للأصلح، وتوجيهها مع متطلبات ظروف الحياة في المستقبل. وإذا كان التطور البيولوجي قد أدى بمقتضى الدارونية التقليدية إلى تقدم كل أنواع الكائنات الحية، بما فيها المخلوقات العاقلة بجميع خصائصها ومقوماتها الإدراكية، فإن التنمية التطورية تهتم إلى جانب ذلك، بالنمو الثقافي والتكنولوجي كعامل مساعد على تقدم وارتقاء الجنس البشري بطريقة عقلانية واعية ومرسومة، وبسرعة أكبر مما كان يحدث في الماضي بمقتضى الانتخاب الطبيعي، كما تحقق تقدماً هائلاً في طول فترة الحياة من ناحية، وتقدم إنتاجية العمل والمعرفة العلمية والتنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من الناحية الأخرى".

من المهم التنويه إلى أنه قد تم الزج بمصطلحات وتعابير تبدو في ظاهرها تعابير علمية دقيقة، إلا أنها في حقيقتها هي تعابير حمالة في تفسيرها كالعادة لمعان مختلفة. والمقصود في ذلك ما تكلم به الدكتور أبو زيد حول مصطلح "التنمية التطورية" فهو يقدمها على أنها آلية جديدة للتطور تتم وفق منهجية متقدمة، تستخدم في إنجازها مستحدثات العلم الحديث والتكنولوجيا إلى جانب الاستناد إلى التطور الدارويني التقليدي. إن الدكتور أبو زيد بناء على ما ذكر فيما كتبه، يبدو مؤمناً بأن التطور كما يعرفه التطوريون هو حقيقة واقعة لا

لبس فيها. يجب التأكيد مرة أخرى، على أن التطور كمفهوم يجب وضعه في إطاره الصحيح. فما لم يثبت بالدليل العلمي صحته، يبقى ضمن حدود الافتراضات. أما إذا جاءت الدلائل العلمية ناقضة له فهو يصبح في نطاق المزايم. إن الدلائل العلمية التي بين أيدينا، تناقض في مجملها التطور. لذلك كان الأجدر بالدكتور توخيا للمصداقية العلمية أن يشير إلى التطور على الأقل، من خلال إطار الافتراض. قام الدكتور أيضا بالبناء على التطور الداروني الذي قدمه بمصطلح (التطور البيولوجي) واعتبر أنه هو الذي أدى إلى تقدم وارتقاء كل أنواع الكائنات الحية، على الرغم من أن هذا (التطور البيولوجي) المزعوم هو أمر جدلي، تنكره كثرة كاثرة من الحقائق العلمية الدامغة. فالتطور الداروني يعتمد على الطفرات والاصطفاء الطبيعي. والطفرات هي مصطلح تطوري مشكوك جدا في وجودها، بل إن الحقائق العلمية تنفي وجودها ناهيك عن آلية عملها. فلكي يتمكن الاصطفاء الطبيعي من أداء وظيفته الاصطفائية لابد من وجود عدد كبير غير محدود من الطفرات المرافقة التي يختار من بينها هذا الاصطفاء ما هو أصلح. هنا يقبع مكنم الإشكال في التطور: فالعلماء مجمعون بما فيهم أنصار التطور على غياب وجود الدلائل على مثل تلك الأعداد الغضيرة من الطفرات التي لابد من وجودها إلا من بعض تشوهات محدودة قد قادت إلى تشكل صفات ظاهرة كانت في حالات خاصة ذات فائدة محدودة. لذلك فالطفرات لا يمكن أن يعول عليها كآلية لحدوث التطور. والدلائل العلمية تبين بشكل جلي أن الخلق هو الطريقة التي قدمت التنوع في المخلوقات وذلك من خلال التأكيد على وجود جمهرة وراثية بداية في جميع الأنواع المختلفة من المخلوقات الحية هي التي تكشف النقاب عن الصفات الظاهرة في التنوع المرئي حيث يتحقق ذلك من خلال عمليات التزاوج بلواحق ذات مورثات متخالفة. لذلك فإنه مما يستنكر وبشدة على الدكتور ابوزيد، تأكيده " ان التطور

البيولوجي قد أدى بمقتضى الدارونية التقليدية إلى تقدم كل أنواع الكائنات الحية ، بما فيها المخلوقات العاقلة بجميع خصائصها ومقوماتها الإدراكية". فالورثات المتنوعة لكل صفة ظاهرة و الموجودة في الجمهرة الوراثية لكل نوع هي في الحقيقة التي أكسبت الكائنات الحية في إطار النوع الواحد التنوع الملاحظ في الصفات الظاهرة. هذا التنوع ينحصر فيما تحويه الجمهرة الوراثية من مورثات ولا يتعدها إلى ظهور صفات وراثية جديدة لم تكن أصلا موجودة في تلك الجمهرة. وعلى هذا الأساس فالصفات المكتسبة الجديدة لا بد أن تكون موجودة في مكونات الجمهرة الوراثية بشكل متنح بحيث يتاح لها أن تظهر لاحقا عند تزاوج اللواقح المتطابقة المتنحية أو المقهورة. عندئذ تترأى ظاهريا الصفات الشكلية الجديدة التي لم تكن قد ظهرت بسبب وجود الأعراس الغالبة التي عادة ماتفرض نفسها شكليا. أما عند إجراء التزاوج بتضمين جميع اللواقح دون الاستئثار بفصل اللواقح المتنحية أو اختيارها فإن الصفات الشكلية الظاهرة الغالبة والأكثر رؤية هي التي تعود للظهور وتختفي عندئذ الصفات المتنحية بين أفراد الأجيال الجديدة من الكائنات في النوع الواحد. اعتمد دارون في بناء نظريته في التطور على ملاحظة ظهور صفات شكلية لم تكن موجودة أصلا في جمهرة النوع الواحد سواء في الكلاب أو الطيور الداجنة عندما قام بإجراءات التهجين الاصطناعي لتلك الأنواع فحصل على صفات شكلية جديدة مثل الألوان الزاهية في الطيور. اعتقد دارون أن هذه الصفات الجديدة التي ظهرت نتيجة لذلك التهجين الاصطناعي هي دليل على حدوث التطور تطبيقيا في الميدان باعتبار أن تلك الصفات الشكلية التي ظهرت لم تكن موجودة أصلا وظهرت في النوع لاحقا بعد عملية التهجين فاستدل بذلك استدلالا خاطئا على حدوث التطور من خلال ظهور الصفات الجديدة . لم يكن دارون في حينه يعلم شيئا عن علم الوراثة الذي اكتشف لاحقا بعد دارون. لكن في التجارب اللاحقة التي أجراها بنفسه

وعندما أجرى التهجين دون أن يقوم بعملية الفصل الانتقائي وإنما ترك الحيوانات تتكاثر وحدها، عادت الصفات الشكلية الغالبة البرية للظهور بشكل عام في كافة أفراد الجيل الجديد واختفت الصفات المتنحية عن الظهور. لم يعر دارون قيمة لهذه الظاهرة المهمة ذات الدلالة واكتفى بالاستناد إلى ظهور الصفات المتنحية كدليل استدل به على فرضيته في التطور. لربما كان تسنى له أن يعيد النظر في فرضيته تلك لو أنه أتيح له أن يفتن إلى مدلولات عودة ظهور الصفات البرية لدى كافة أفراد الجيل الجديد حتى وإن لم يكن قد أدرك بعد علم الوراثة. إن عودة الصفات الغالبة المعروفة بين الأجيال الجديدة التي نجمت عن الأفراد ذات الصفات المتنحية المتزاوجة مع أفراد لديها صفات غالبة هو دليل مادي على أن الصفات التي ظهرت في تلك الأجيال هي صفات غالبة والتي اختفت هي صفات مقهورة وهذا يبرهن على أن كلا النوعين من الصفات موجود أصلا في جمهرة هذا الجنس من المخلوقات الحية. لقد تمكن ماندل من إدراك الحكمة من عودة ظهور الصفات الغالبة في حين أن دارون لم يتفتن إلى المدلولات تلك. لذلك قام ماندل بإجراء تجاربه التالية التي أصبحت أساسا لعلم الوراثة الذي جاء لاحقا. وعلى هذا الأساس فإن الصفات الظاهرة المتنحية التي اعتقد دارون أنها صفات جديدة لم تكن على الإطلاق دليلا على التطور وإنما هي دليل على ثبات النوع وهذا يستدل به على تأكيد حدوث الخلق المنفصل. يستغرب من الدكتور أبوزيد الذي يؤمن بأن الكائنات قد جاءت وفق مقتضى التطور، ثم يذكر كلمة "المخلوقات" فالذي يؤمن بتطور الكائنات عن بعضها، لا يمكن أن يؤمن بأنها خلقت خلقا مستقلا منفصلا. وأما قوله " فعلى الرغم من أن عملية التطور الطبيعي الحر الطليق أو التلقائي أدت إلى ظهور أشكال وصور عديدة معقدة خلال مراحل التطور التي استغرقت حقبات طويلة من الزمن، فإنها أدت أيضا في الوقت ذاته إلى اختفاء واندثار أشكال أخرى عديدة من الحياة الطبيعية

والاجتماعية". فقولُه هذا يفتقر إلى الدليل العلمي الصحيح كسائر أقوال التطوريين. فالأحقاب الزمانية الطويلة هي من مزاعم التطوريين. أما اندثار أشكال مختلفة للحياة سابقا فليس مقتضاه أن يكون للتطور أي دور أو علاقة بهذا الانقراض. فالكاتب في استقرائه ينطلق من فرضية التطور والعشواء كأساس لتشكيل الكائنات الحية والتي تقتضي نشوء البلايين اللامنتهية من الأنواع المختلفة لتلك الكائنات التي لم تواتبها الفرصة وانقرضت سريعا فاسحة المجال أمام أنواع هي أميز تطوريا كي تبقى. لقد تجاوز الكاتب في رؤياه تلك الحقائق العلمية التي تقدمها المستحاثات والتي تشير إلى عدد محدود تماما من الكائنات التي عاشت في الأرض الأمر الذي يتناقض تماما مع تلك الرؤيا التي يتبناها. وهنالك دلائل علمية كثيرة وبحوث قام بها العديد من الباحثين أشارت إلى حدوث كوارث طبيعية خلال مسيرة الحياة أفضت إلى انقراض العديد من المخلوقات لكن بقيت ضمن إطار عدد محدود نسبيا. وفيما يتعلق بمصطلح "التنمية التطورية" فقد قدم لها الكاتب تعريفا فضفاضاً لكنه غير واضح. الأمر الواضح فيه، هو أنه يعتبرها امتداداً للمزاعم التطورية الدارونية وما بعدها، من خلال أطر وآليات جديدة. وقد خلع عليها صفات سحرية لا تملكها كل آليات التطور السابقة. فالتنمية التطورية قادرة على إيجاد أشكال أكثر رقياً وتعقيداً من الحياة البيولوجية والاجتماعية. وهي قادرة على أن تمنع تكرار تلك (الكوارث) التي أدت إلى اختفاء واندثار أشكال أخرى عديدة من الحياة الطبيعية والاجتماعية، وذلك عن طريق التدخل بل والتحكم في تعديل مسار عملية البقاء للأصلح، وتوجيهها مع متطلبات ظروف الحياة في المستقبل. إن الدكتور ابوزيد في تحديده لقدرة التنمية التطورية يتعمد دمج مفهوم التطور الحضاري، الذي يعني النمو والازدهار، بمفهوم التطور الداروني في مصطلح واحد. لذلك لا بد من التأكيد هنا على ضرورة فصل المصطلحين. فالتطور العلمي هو الذي سيحقق

للبرية النمو والازدهار، وليس الارتقاء في السلالات وتعدد الأنواع والأجناس الذي يزعم التطوريون أن التطور البيولوجي الداروني هو الذي سيحققه مقرونا بالتقنيات الحديثة التي تفتق عنها العلم. فالمورثات موجودة أصلا في الجمهرة الوراثية لكل نوع. أما ما ستستطيع أن تفعله التنمية التطورية باستخدام التقنيات الحديثة فهو مجمله التحكم في مورثات معينة يعتقد أنها حسنة ومحاولة نقلها للأجيال اللاحقة. ومن المفروغ منه أن تلك العملية في حقيقتها لا تعدو كونها شكل من أشكال التهجين الانتقائي للأفراد ولكن باستخدام تقنيات متطورة مجهرية وهي لن تفضي إلى استحداث أية مورثة جديدة لم تكن أصلا موجودة. وعلى هذا الأساس فالتنمية التي تطرق إليها الكاتب هي تنمية موجهة حاول البعض استخدامها بطريقة شاذة للحصول على ما زعم أنه أنسال بشرية محسنة لكنها ليست تطويرية ولا علاقة للتطور بها.

يؤمن الخلقيون بالمقابل أن كل العضويات الحية لديها القدرة على التنوع، لكنهم يصرون على أن جميع الدلائل تشير إلى أن هذه القدرة مقيدة ضمن حدود ضيقة بما تحتويه الجمهرة الوراثية في النوع الواحد من مورثات، وأنه لا يوجد أي دليل يؤكد على أن نوعا معيناً من العضويات الحية قد نجم عن عضوية حية من نوع مختلف. وهم يؤمنون أيضاً أن إيجاد النوع وتكييفه قد تم إنجازه وتقديمه من قبل الخالق، ليتمكن كل نوع من القدرة على البقاء في ظروف مناخية وطبيعية متنوعة، كي يبقى النوع مؤهلاً للاستمرار بالحياة إذا ما اختلفت الظروف. يقوم الخلقيون بتفسير المعطيات البيولوجية وفقاً لهذا المفهوم بدلاً عما جاء في المعتقدات التطورية* 5. إن هذا المفهوم الذي يؤمن به أنصار الخلق هو مفهوم يتوافق مع ما تم ذكره في مقدمة الكتاب من أن أحد أهم الأسس المرجعية التي يستند إليها في تمييز الأفكار ومدى مصداقيتها هو النقل الصادق. فالوحي الذي جاء من عند الله، هو أصدق الحديث وأصدق المراجع، شريطة أن يكون قطعياً في

ثبوته قطعيا في دلالته. بل إن الاختلاف الجوهرى بين التطوريين والخلقيين، هو أن الخلقين قد استندوا إلى معيار دقيق هو ما جاء في الكتب السماوية وهي عند قطعية ثبوتها ودلائلها، لاشك في صحتها. وهي بالإضافة إلى كونها صحيحة ودقيقة من حيث مصدرها، فهي أيضا تتوافق مع العقل. إضافة إلى أن الحقائق والتوقعات العلمية التجريبية تأتي مطابقة لها. وبالمقابل، فإن الفكر التطوري لا يستند إلى ركائز عقلية، وإنما إلى مظان شخصية وآراء ووجهات نظر، يحاول التطوريون أن يسقطوها على الواقع. لذلك فإن إمكانية الخطأ تكون هي الغالبة، لغياب وجود المعيار المقارن الذي يفترض أن يستندوا إليه. أما التجربة العلمية فينبغي أن تكون حيادية بين الطرفين، وهي التي ستقرر أي الجهتين هي التي على صواب. لذلك فإن الاستثثار الذي افتعله أنصار التطور خلال المائتي سنة الفائتة بالعلم وبالمنظومة العلمية، هو تصرف يجانب الحيادية، وقد أساء إساءة بالغة للعلم ومن ثم للبشرية جمعاء، وذلك من خلال تلقين البشرية قناعات خاطئة في كثير من الأحيان، كان من السهل تداركها لو ترك العلم حياديا ليحكم على تلك الفرضيات المختلفة، أيها هو الأصح من الآخر.

مقاربة جزئية لعلم تصنيف الكائنات:

إن علم تصنيف الكائنات هو علم لتصنيف النباتات والحيوانات. من الواضح أن هنالك كائنات حية في هذا العالم تحمل صفات شكلية من الممكن مقارنتها ببعضها. مثل هذه الأصناف من الكائنات الحية ظهرت دائما في الوسائط المستحاثية، وتقرر أن تصنف ضمن أنواع مختلفة بناء على تلك الاختلافات في الصفات. لقد كان مؤسس علم التصنيف Carlos-Linnaeus من المؤمنين بقوة بالخلق، وكان يعتقد كمثله من الخلقين الحاليين، بأن التماثل في الصفات بين العضويات الحية ليس مرده إلى أنها قد نشأت من نفس الأسلاف،

وانما لان الله قد أسس خلقه على خطة معقدة تتضمن رابطا من الوحدة بين المخلوقات. إن مقاربات Wayne Frair *2 في الدراسات التصنيفية للكائنات قد نحت جانبا الافتراضات التطورية نظرا لعدم أهليتها. إن فرضيته تفيد بأن هذا العالم الخاص بالأحياء، ينبغي أن ينظر إليه على أنه قد نشأ من كائنات أولية أساسية، هي التي تؤلف (الأنواع) الأصلية التي جاء ذكرها في سفر التكوين. إنه يرى أن المهمة المناسبة لعالم التصانيف هي معضلة تصنيف الأحياء من خلال الأنواع، وإيجاد الروابط المشتركة بين هذه الأنواع. لقد تضمن اهتمام Frair في البيولوجيا، تركيزا خاصا على علم المصول وعلم الأعشاب. وقد قام بتضمين كل من العلمين في دراساته التصنيفية، مستخدما الأضداد لمصل السلحفاة كوسيلة لإيجاد علاقات تصنيفية بين السلاحف. لقد قام بحقن المصل الدموي للسلحفاة إلى الأرناب والدجاج وذلك للحصول على أضداد لبروتينات المصل. تم اخذ هذه الأضداد المستحصلة من الأرناب والدجاج ومن ثم قام بمفاعلتها مع تمديدات متتالية لمصول مأخوذة من سلاحف مختلفة. وكان يتوقع أن المصول المأخوذة من السلاحف الأكثر قرابة، سوف تتفاعل بشكل أشد تقاربا، في حين أن المصول المأخوذة من السلاحف الأبعد قرابة، سيكون تفاعلها ضعيفا او لا يحصل أي تفاعل. إن دراسات Frair لم تدعم الرأي المشهور بأن نوع السلاحف العاضة ينبغي أن تصنف في عائلة مختلفة هي (Kinostenidae) وإنما ينبغي أن توضع في عائلة (Emydid). إن مثل هذا التعديل يمكن أن يكون ضئيلا بحيث لا يثير أي مشكلة بالنسبة لعالم الأحياء التطوري. لكن بالنسبة لأنصار الخلق فإنهم يؤكدون على وجوب تصنيف الكائنات دون العودة إلى أي أساس افتراضي تطوري أو طبيعي، وإنما يعتمدون في التصنيف بشكل صارم على درجة التشابه وليس القرابة الكائنة بين الكائنات.

سكان غينيا الجديدة ونموذج التشتت بالهجرة:

يعد أصل سكان غينيا الجديدة مثار تساؤل بين علماء أصل الإنسان. وبصرف النظر عن أصولهم ، فقد عمل هؤلاء السكان على عزل أنفسهم بشكل جماعات، بحيث طرأ عليهم انفصال في لغاتهم ومورثاتهم. قام R.Daniel* 3 بدراسة لفصائل الدم الرئيسية والفرعية لهؤلاء السكان الأصليين في 37 موقعا مختلفا، عبر كامل الجزيرة في محاولة لكشف تفاصيل المعطيات الوراثية والروابط بين هذه المجموعات المتنوعة. وعلى الرغم من أن المعطيات المقدمة غير كافية لإعداد نظرية متكاملة، إلا أن تلك المعطيات قد دعمت فرضية نموذج الهجرة المتشتتة لدى مجموعات غينيا الجديدة. ووفقا لهذا النموذج، فعندما تهاجر مجموعات صغيرة من مجتمع ذو مورثات مشتركة، فإن المجموعة الجديدة هذه تصبح أكثر تميزا عن الأصل. يحدث هذا لأن الأجيال الجديدة سوف تنجم فقط عن تجمع وراثي محدود. وهم سيكونون معزولين عن الأثر التطبيعي الناجم عن التزاوج مع بقية أفراد المجتمع الأصلي بسبب العزلة. وكنتيجة لهذه الظروف، فإن الصفات الوراثية المتنحية سوف تظهر بقوة وبسرعة، وذلك بسبب التزاوج المستمر بين الأقارب.

لقد افترض أن بعضا من عروق بابوا ميلانيسيانز (Papua-Melanesians) قد هاجروا إلى غينيا الجديدة بأعداد نسبية كبيرة. وبعد أن استقروا هناك ، في الشاطئ غير المأهول دفعتهم الزيادة الحاصلة نتيجة التكاثر السكاني، إلى الهجرة عبر ممرات وديان الأنهار إلى الداخل. وقد أصبحت هذه المجموعات معزولة لغويا وجغرافيا وثقافيا مما ولد بزوغ تنوع وراثي في المجتمعات تختلف فيها كل مجموعة عن الأخرى، باعتبار أن كل مجموعة مهاجرة كانت تحمل جزءا من مورثات الجهمرة الكلية.

وعلى الرغم من أن التطوريين يفترضون أن نشأة العروق تحتاج إلى عملية تدريجية لفترة زمنية سحيقة، فإن الخلقين يعتقدون أن عملية مشابهة لما رأيناه في هذا التقرير، قد تكون سببا لنشأة العروق البشرية خلال فترة قصيرة نسبيا. إن التشتت الذي أصاب الناس بعد اختلاف ألسنتهم في بابل، من الممكن أنه تسبب في حصول عزل لجماعات في أعداد قليلة، وذلك إضافة إلى ما وهب الله من لغات متنوعة للأمم حيث أصبح لكل أمة لغة مختلفة، بعد أن كانوا يتكلمون بلغة واحدة. لربما يكون ذلك موجها لحدوث انفصال وراثي بين الفئات ذات اللغة المشتركة. بالتالي، فإن هؤلاء الذين لديهم مورثات أقرب إلى العرق الأسود أخذت الملامح الخاصة بالعرق تظهر لديهم. وبنفس الصورة للقوقازيين الخ... وعندما تكون العرق كتحصيل نتيجة للتزاوج بين أفراد الفئة الواحدة، حدثت هجرات وانعزالات أخرى مثل التي ذكرت أعلاه، مما نجم عن ذلك التنوع الحاصل داخل كل عرق رئيسي.

عصافير جزيرة غالاباغوز Galapagos :

يفترض دارون وآخرون من التطوريين أن التنوع الذي طرأ على العصافير الموجودة الآن في جزر غالاباغوس ، وهي جزر تقع على بعد 600 ميل أو أكثر جنوب غربي أمريكا، قد نجم عن هجرة عصافير من جنوب أمريكا إلى هناك. لقد اعتقد أن العصافير المهاجرة الأصلية كانت متماثلة إلى حد ما، إلا أن الطفرات، إضافة إلى الاصطفاء الطبيعي قد أعطى مبررا وخلال زمن امتد طويلا، لحدوث اختلاف في العصافير الحالية التي تعيش هناك في تلك الجزر المختلفة الان (وتحديدًا في حجم وشكل المنقار) وذلك استجابة إلى الاختلاف في نوع الطعام المتوفر لتلك العصافير في تلك الجزر المختلفة.

يفسر الخلقيون هذه المعطيات بنفس الطريقة السابقة، مع وجود استثناءات مهمة. إنهم يشيرون أولاً أن ذلك التنوع الذي بدا واضحاً بين هذه العصافير هو تنوع محدود جداً، حيث أن هذه المخلوقات، ليس فقط أنها لا تزال طيوراً، بل إنها أيضاً لا تزال عصافير. فليس هنالك من هذه الشواهد ما يدعم ما زعمه التطوريون في تعميماتهم من تحول الجزئي العضوي إلى بشر بواسطة التطور، ولا ما زعموا من أن مختلف أنواع الطيور مثل الإوز والبط والطنان والنسر قد جاءت كلها من سلف مشترك.

ثانياً، يؤمن الخلقيون بأن الاستعداد الوراثي أو الجمهرة الوراثية التي حملت إلى جزر غالاباغوس بواسطة العصافير المهاجرة من جنوب أمريكا كانت كافية لتسمح لهذا التنوع بالحدوث. إن هذا التنوع لم يحدث بسبب الطفرات، وإنما كان الاستعداد الوراثي موجوداً لدى المهاجرين الأوائل، والذي أتاح مجالاً للتشعب إلى أشكال ونماذج شكلية مختلفة، وذلك كنتيجة لإعادة تنظيم الاستعداد الكامن الوراثي للتنوع لدى العصافير الأصلية (من خلال الحقيقة التي ترى أن هذا الاستعداد الكامن للتنوع عند هذه العصافير وبواسطة جمهرتها الوراثية التي تحملها لم ينجم عن أية صدفة!).

بينت الدراسات التي قام بها الدكتور Lammerts* 4 أن ما طراً من تغيرات على تلك العصافير في الجزر هو في الحقيقة أقل بكثير مما تم التصريح عنه في أدبيات التطوريين. قام الدكتور Lammerts بدراسة مجموعة كبيرة من تلك العصافير (والتي أحياناً تسمى عصافير دارون) في أكاديمية كاليفورنيا للعلوم. واستقصى على وجه الخصوص 1 - طول كل طير من ذروة المنقار إلى نهاية الذيل، 2 - الارتفاع من البطن إلى أعلى الظهر. 3 - الطول الكلي للمنقار، 4 - عرض الجانب البطني للفك السفلي للمنقار. وتم نتيجة الدراسة تصنيف هذه العصافير إلى أربع فئات: Geospiza,

Camarhynchus, Cactospiza, Certhidea. هذه العصافير التي درست من قبل Lammerts قد قسمت بواسطة أنصار التطور سابقا إلى 17 نوع مختلف. على الرغم من أن Lammerts اعتبر أن ال Certhidea تمتاز عن الأنواع الأخرى، فقد صرح بأن الأصناف الأربعة داخل هذا النوع بالتحديد، هي متشابهة تماما باستثناء التنوع اللوني لديها، وينبغي أن تصنف في صنف واحد داخل النوع عوضا عن تصنيفها كجنس مختلف. وقد لاحظ Lammerts أيضا، أنه إذا ما تمت إزالة كافة اللصاقات الخاصة بالنوع من بقية عصافير جزيرة Galapagos و أعيد تصنيفها وفقا لحجم المنقار والجسم، فإن تدرجا كاملا يمكن مشاهدته بينها. وقل مثل ذلك بالنسبة لطول المنقار وعرضه وتلون الريش. لقد اعتبر Lammerts انه سيكون من المنطقي أكثر لو تم تصنيف هذه العصافير ضمن نوع واحد. وقد نبذ بشدة فكرة أن التنوع في حجم المنقار هو تحول تكييفي ناجم عن (الاصطفاء الطبيعي). لقد أكد Lammerts أن عادات تناول الطعام لهذه الطيور تعتبر ناجمة بشكل خاص عن نوعية المنقار الذي لديها، وليس لأن هذه المناقير قد نمت ببطئ لكي تتكيف مع نوعية الطعام المتوفرة.

قام الدكتور Lammerts* 5 بإجراء تجربة التشعيع النيتروني على براعم ورود (الملكة اليزابيث) بحيث تسبب في إحداث تغيرات (طفيرية). إن عمليات التشعيع تلك هي إجراء تجريبي سريع يواطئ ما قد يحصل في الطبيعة من تغيرات على مستوى الجينات خلال أحقاب زمنية طويلة. ولقد وجد أن تنوعا في الأشكال لهذه الورد قد نجم عن عملية التشعيع . لكن نتائجه أظهرت، أن جميع هذه التغيرات الطفيرية الناجمة هي تنوعات مشوهة عن الصفات الشكلية للنموذج الأصلي قبل التشعيع. وقد وضحت دراساته أن تلك الطفرات المحدثة قد تسببت فقط في إحداث تغيرات على مستوى التعبير الشكلي، لكنه لم يطرأ أي تغير على النموذج ككل. وقد استنتج بالتالي، أن التحول الكلي من خلال تراكم

الطفرات بحيث تتولد أنواع جديدة كما يفترض أنصار التطور، هو أمر غير ممكن الحدوث. وعلى هذا الأساس، فلا الطفرات ولا التغيرات الطارئة على تموضع وتسلسل الحمض النووي أو التسلسل العكسي للحمض النووي، يمكن أن تزودنا بالآلية المطلوبة لحدوث التطور، من خلال الرؤيا التي تفترضها نظرية التطور. وبالتالي استنتج الدكتور Lammerts أن ذلك النظام الوراثي المعقد والمتكامل لا يمكن أن يكون إلا من صنع خالق قدير.

دراسات التعاقب النباتي:

قام كل من George Howe و Walter Lammerts و*6 باستخدام دراسات التعاقب النباتي من خلال الزراعة المتكررة، لملاحظة الأثر الناجم عن الاصطفاء الطبيعي تحت تأثير ظروف متنوعة. تم إجراء تحاليل حقلية متكررة على خمسة أنواع نباتية متضمنة في ذلك: خشخاش كاليفورنيا، الترمس، عكوب الجبل، برسيم البوم والبنفسج الأصفر. تمثل تلك النباتات عائلات لخمسة أنواع مختلفة من النبات. لقد دونت الملاحظات خلال خمسة فصول متتابعة في موقع Newhall و Corralitos في كاليفورنيا. وبالرغم من وجود تنوع كبير في منسوب هطول الأمطار خلال الدراسة، لم يشاهد أي ميل إلى التحول التدريجي أو النزعات التطورية. إن الاصطفاء الطبيعي الذي تمت ملاحظته في الواقع، كان قد قيد مقدار التنوع الحادث حيث أعاد المجموعات إلى أنماطها التقليدية الاعتيادية خلال السنوات التي كانت الرطوبة فيها مجهددة. استنتج الباحثان من خلال الدراسة أنه، لا دليل على وجود أي شكل من أشكال الاصطفاء الطبيعي المفترض حدوثه من قبل فرضيات التطور. وقد تمت مناقشة نشوء التنوعات الكبيرة في بعض أنواع النباتات حيث استنتج الدكتور Lammerts أن التنوع النباتي قد تم اشتقاقه بشكل معجز، من المجموعات

النباتية الرئيسية التي استطاعت أن تنجو من الطوفان. إن الاحتمال البديل المتوفر الذي يقدم تفسيراً للتنوع النباتي بعد الطوفان، هو أن هنالك جمهرة متنوعة من المورثات في كل نبات نجى من الطوفان، هو الذي أتاح هذا التنوع النباتي المتواجد في هذه الأيام. وفي الحقيقة فإن هذه النتائج تتوافق بشكل جلي مع العديد من التجارب التهجينية على الحيوانات الأليفة ومنها الأبقار للحصول على أنماط هجينة تمتاز بقدرة أكثر على إنتاج اللحم أو الحليب حيث تبين بعد عدة عمليات تهجين موجهة أن قدرة تلك الحيوانات تتوقف عند سقف معين لا تستطيع أن تتعدها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حالة الثباتية في النوع لدى الكائنات الحية والذي يدعم افتراض الخلق المنفصل وينفي آلية عمل الاصطفاء الطبيعي وتالياً التطور من الأصل المشترك الذي تتبناه نظرية التطور.

انتاش البذور وقدرة النباتات على البقاء بعد غمسها في المياه المالحة أو العذبة:

قام العالم George Howe* 7 بإجراء دراسة على تأثير الغمس المستديم للبذور الخاصة بالنباتات الزهرية في مياه البحر والمياه العذبة، كوسيلة لفهم كيف استطاعت النباتات النجاة من الطوفان. تم اختبار بذور خمسة أنواع من الفاكهة، ومن عائلات النباتات المزهرة، لرؤية انتاشها بعد غمسها في مياه البحر، والمياه العذبة، ومزيج متساو من كلا النوعين من المياه. لقد تم الغمس لمدة 140 يوماً وهو يقارب، ما تم تقديره كمدة لما استغرقه الطوفان. قدرت هذه المدة بـ 150 يوماً. وخلال فترات متناوبة 4, 8, 12, 16 و 20 أسبوعاً من بدء الغمس تم رفع بعض الحبوب لكل نوع من النباتات من المياه، ومن ثم زرعها في الظروف الملائمة للانتاش. لقد ظهر هنالك اختلاف في قدرة النباتات على البقاء، لكن وحتى بعد الغمس لمدة 140 يوماً في كل من المحاليل السابقة، استطاعت ثلاث

من الحبوب من النباتات الخمس أن تنجو وتنتش. إن الاقتراح الأول الذي أبداه Howe عند إجابته على السؤال القائل بأن معظم النباتات لم تستطع النجاة خلال الطوفان، هو أن تخريبا كبيرا سوف يطرأ على حياة النباتات خلال فترة الطوفان الطويلة وان كثيرا من تلك النباتات سوف تنقرض كنتيجة لذلك الطوفان. إن الدراسات المستحاثية للنباتات، قد دلت على وجود أنواع كثيرة من المستحاثات النباتية المنقرضة هذه الأيام. وقد قدم Howe تفسيراً لآليات أخرى لبقاء بعض هذه النباتات خلال فترة الطوفان. فإضافة إلى الغمس المديد، فإن بعض النباتات من الأشجار والتي تم نزعها بواسطة الأعاصير إلى البحار كانت لا تزال مندخلة في التربة بحيث أتاحت لها تلك البيئة المحيطة احتمال النجاة في النهاية. إن بعض العناصر النباتية قد عرف أنها انتقلت عبر الجبال الجليدية التي دفنت فيها ومن ثم أنتشت. والحبوب التي كانت تحملها جثث الحيوانات النافقة العائمة في البحر، قد استطاعت أن تنتش لاحقا أيضا. كما أنه لا شك أن الكثير من الحبوب قد تم حملها في سفينة نوح عليه السلام نفسها.

ومن خلال هذه المعطيات وغيرها، استنتج Howe إمكانية بقاء النباتات حية خلال الطوفان.

قام الدكتور وليام تينكل* 8 بإجراء دراسة على نبات البندورة الذي يتكون من ثلاث كؤيسات، بدلا من الشكل الطبيعي المكون من كؤيستين. لوحظ أن بعض نباتات البندورة تملك كؤيسا واحدا والأخرى تملك كؤيستين بشكل طبيعي. لكن ظهور ثلاثة كؤيسات أو أكثر كانت عادة ما تفسر بأنها ناجمة عن خلل وراثي. قام السيد ويليام باختيار البندورة ذات الكؤيسات الثلاثة فقط، وأخذ 100 من بذورها وقام بزراعتها، ثم أجرى الدراسة على الذراري التي حصل عليها. لقد حصل على 69 نبتة، من بينها 66 نبتة طبيعية تحوي كؤيستين وثلاث فقط تحوي ثلاث كؤيسات. أعاد اخذ الثلاث التي تحوي ثلاث كؤيسات، وقام

بزرع بذورها، فكانت النباتات النامية ثلاث وثلاثون نبتة من بينها ثلاثون تحوي كؤيستين، وثلاث فقط مكونة من ثلاث كؤيسات. قام الدكتور تينكل لاحقا بدراسة أثر التغيرات الطفرية هذه على الإخصاب. لقد كان المتوقع بوجود هذا الكؤيس الإضافي خصوصا، والذي سيتيح للنبتة سطح تعرض أكبر لأشعة الشمس، أن تكتسب هذه النبتة مزايا افضل. لكن ما لوحظ هو أن هذه النبتة كانت متدنية في المواصفات أكثر من النبتة ذات الكؤيستين سواء من حيث الغلال أو من حيث النمو ومقاومة الصقيع. وحتى النباتات التي اشتقت من نباتات ثلاثية الكؤيسات وكانت تمتلك كؤيستين فقط، قد أبدت تشوهات في النمو. من الواضح ان مورثة الكؤيسات الثلاث هي مورثة مقهورة بينما مورثة الكؤيستين هي المورثة القاهرة. ومع هذا، فقد ظهر أن بعض النباتات التي كانت تمتلك كلتا المورثتين، وعلى الرغم من ان الصفة الظاهرة هي ظهور الكؤيستين، قد كانت آثار المورثة المقهورة واضحة في إضعاف مزايا النبتة.

ان هذه الدراسة بالمجمل تدل على أنه في النظام الوراثي المعقد، إذا ما وجدت طفرة تسببت في حدوث تغيرات على الصفات الشكلية، فإن هذه التغيرات عادة ما تكون تغيرات ضارة، والطفرة بالتالي هي طفرة ضارة وليست جيدة. وهذا في الواقع هو استنتاج يمكن تعميمه من خلال المعطيات والتجارب العلمية التي تم إجراؤها في السنوات الأخيرة على أصناف الحيوانات والنباتات والتي أثبتت حقا أن الطفرات بالتأكيد هي حالة تشوهات مرضية على مستوى الجينات. وهذا ما حدا في النهاية إلى إفلاس وإغلاق أكثر المختبرات العلمية التي كانت تعول على استحداث طفرات إيجابية ذات فائدة ما في الكائنات الحية لتحسين النوع.

ثبات الخصائص لدى أصناف البكتيريا :

إن التطور وفق النموذج الداروني يعتبر أن مجتمع العضويات الحية في تبدل مستمر بفعل التحولات الطفرية التي تطراً نتيجة للتغيرات البيئية. قام العالم (Jerry Moore) *9 بإجراء دراسة في هذا الصدد على نوع من البكتيريا (Proteus mirabilis) وهي تتبع إلى عائلة الكولونيات وذلك لتقدير مدى ثباتيتها أو تبدلها بفعل الظروف البيئية المختلفة التي تحاكي الظروف الطبيعية ولكن وفق آلية تسريعية للأحداث التي وضعها فيها ومن خلال عامل الزمن.

لقد قام جيري بنقل هذه الجراثيم وتوزيعها على عشرة أوساط زرعية مختلفة تسمح بنموها، ولكن في بيئات مختلفة. إضافة إلى أنه أجرى تنوعاً في درجات الحرارة على أطباق الحضان المختلفة، وذلك بهدف الوصول إلى أقصى درجات الاختلاف البيئية بين مختلف العينات الجرثومية المفصولة. وبعد أن كرر الزرع 62 مرة للسلاسل الجرثومية، وقام بتطبيق التعديلات البيئية والحرارية، لجأ إلى تعريض السلاسل النهائية، إلى أوساط تحسسية بيوكيميائية وصادات حيوية، للتعرف إلى حدوث أية تغيرات ربما طرأت على مختلف الجراثيم الناجمة بالأصل عن نفس المصدر. لقد أظهرت النتائج أن الصفات الأساسية لم يطرأ عليها أي تغيير عن الجراثيم الأصل، التي توالدت منها هذه الجراثيم باستثناء استجابة صغيرة ومتفاوتة ضد البنسلين G . غالباً ما كانت هذه الاستجابة المتفاوتة ناجمة عن تخرب جدران الجراثيم نتيجة تعرضها إلى مركبات مؤذية في الأوساط الزرعية بدلا عن تأثرها بالبنسلين G .

وعلى الرغم من أن تجربة موور وباعترافه هو محدودة في المدى والمدة الزمنية، لكنها بالتأكيد تدعم الثبات البيولوجي الطبيعي للعضويات الحية. لقد

استعرض موور في دراسته العلمية أمثلة مكتوبة عن حالات ثابتة بيولوجية هائلة، بما في ذلك دراسة بينت أن البكتيريا قد استطاعت ان تحتفظ بخصائصها البيولوجية الرئيسية خلال مائة وخمسين عاما. وهي الفترة التي بقيت فيها عرضة لتلك الدراسات المجهدة.

النحل يمثل معضلة كبرى أمام أنصار التطور:

يستطيع النحل عند بناء خلاياه، أن يقوم ببناء أشكال هندسية بشكل مسدس بأبعاد فائقة في الدقة دون وجود أية فجوات أو فراغات بينها. والنحل كما هو معلوم وفقا للتطوريين، من المخلوقات البدائية في سلم التطور. فكيف تمكنت هذه المخلوقات من تركيب هذه البنى الهندسية بهذه الدقة، في حين تعجز كافة الحيوانات اللبونة باستثناء الإنسان، في القدرة على مجارة النحل في إنجاز هذا البناء الهندسي البديع. إن ظاهرة الإلهام المكتسبة من الخالق الحكيم التي يؤمن بها الخلقيون، هي الطريقة الوحيدة التي يمكن لها ان تفسر قيام النحل بهذه المهمة دون سواه من المخلوقات. ولن يستطيع التطوريون تفسير هذه الظاهرة مهما حاولوا أن يقدموا تعليلات مختلفة.

حقائق عن دببة الباندا تدحض التطور:

- أ - إن الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين لا يتفقا في حجميهما.
- ب - إن ذكر الباندا لا يعلم بشكل غريزي كيف يتزاوج مع الأنثى.
- ت - من النادر لأنثى الباندا ان تثار جنسيا.
- ث - لا تبدي أنثى الباندا أية علامة تشير للذكر أنها أصبحت مثارة وجاهزة للجماع.
- ج - إن إناث الباندا عادة ما تغضب من مبادرات الذكر.

ح - عادة ما ينتهي الزوجان إلى عراق يتسبب بجروح واذيات.
وبالرغم من كل ذلك ، فقد استطاعت الباندا خلافا لكل قواعد التطور المتعارف
عليها أن تتكاثر وتبقى حية إلى يومنا هذا *10.

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - الدكتور احمد ابو زيد الدارونية والتطور (مجلة العربي، العدد 612، تشرين الثاني 2009).

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- A DECADE OF 1- DUANE T. GISH, Ph.D. CREATIONIST RESEARCH(Part II) Creation Research Society Quarterly 12(1):34-46 June, 1975-1998.
- 2- Frair, W. 1967. Some molecular approaches to taxonomy, CRSQ 4(1):18-22.
- 3- Shaw, R. D. 1972. Why genetic variation between New Guinea communities (Migration-dispersion model applied), CRSQ 9(3):175-180.
- 4- Lammerts W. E. 1966. The Galapagos Island finches, CRSQ 3(1):73-79. CRSQ 10(4):187-190.
- 5- Lammerts, W. E. 1965. Planned induction of commercially desirable variation in rosesby neutron radiation, CRSQ 2(1):39-43.
- 6- Lammerts, W. E. and G. F. Howe 1974. Plant succession studies in relation to microevolution, CRSQ 10(4):208-228
- 7- Howe, G. F. 1968. Seed germination, sea water, and plant survival in the great Flood, CRSQ 5(3):105-112.
- 8- Tinkle, W. J. 1971. Pleiotropy: extra cotyledons in the tomato, CRSQ 8(3):183-185.
- 9- Moore, J. P. 1974. A demonstration of marked species stability in Enterobacteriaceae,
- 10- Laurence D. Smart, BscAgr, Dip Ed, Grad Dip Ed.

-9- تطور الكائنات الحية

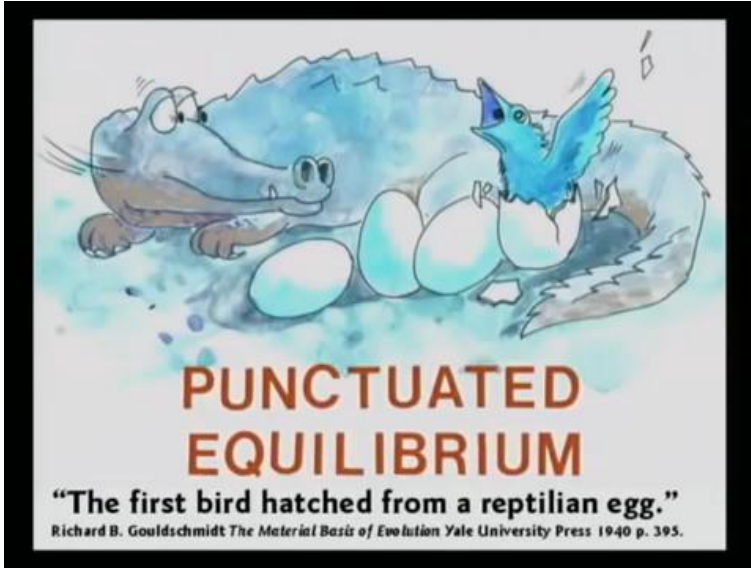
يزعم أنصار التطور أنه قد ثبت في السنين الأخيرة أن الحجر الجيري ناجم عن مخلفات الأحياء الميكروسكوبية، وأن الرخام والمرمر قد صنعتها أحياء كانت تعيش في تلك الاحقاب القديمة. وقد لوحظ وجود طبقات من الفحم على شكل غرافيت بين طبقات الصخور القديمة، فعزيت إلى كونها نجمت عن مواد عضوية قد تحللت وارتبطت برواسب أخرى. وبفضل الحرارة والضغط تحولت إلى غرافيت. إذن فبذرة الحياة قد نشأت كما يزعم التطوريون منذ بليون عام على الرغم من أنهم وباعترافاتهم لم يعثروا على أية عينات تؤكد ذلك. لكن استنتاجاتهم والأدلة غير المباشرة عندهم هي التي أكدت لهم وجود هذه الكائنات. ومن خلال استنتاجاتهم لما قرؤوه في الأرض من سجلات، فقد كانت الأرض في تلك الآونة ذات حرارة مرتفعة ورطوبة عالية جدا. فالمياه التي في المحيطات الآن، كانت تحلق بشكل سحب في السماء. ولذلك لم يكن من الممكن للحياة أن تتكون على الأرض إلا على شكل أحياء ميكروسكوبية قادرة على تحمل الرطوبة العالية، بدون الاستعانة بضوء الشمس. ومع الوقت، بدأت قشرة الأرض تبرد وهطلت الأمطار ودخلت أشعة الشمس إلى الأرض، فبدأت بعض تلك الأحياء تتعلم كيف تستفيد من ضوء الشمس ومن غاز الكربون المنبعث في الجو، فقامت بعملية فذة وهي عملية التركيب الضوئي، فاستفادت من تثبيت الكربون لبناء أعضائها، فشكلت المواد العضوية وطرحت الأكسجين في طبقات الجو. فمن نسل تلك الكائنات الحية الدقيقة للغاية في الصغر جاءت تلك الأشجار الباسقة بثمارها التي يتغذى عليها الإنسان والحيوان. وقد فضلت بعض الكائنات الحية أن تكون عالية على غيرها وألا تلجأ إلى طرق النبات في التركيب الضوئي، ولكن تحتم

عليها وجوب الحركة لتأمين طعامها في حالة قل هذا الطعام ، فنمت لها أطراف وصار عندها أعضاء للحركة. لكن الحاجة إلى تطوير وسائل للحصول على الغذاء، استدعى من هذه الكائنات المتحركة ان تطور أعضاء الحركة لديها من أجل الهجوم على الأحياء الأخرى وافتراسها، أو من أجل الهرب عند الضرورة. فكان أن ظهر الصاروخ لدى حيوان الأخطبوط، من خلال فجوة في جسمه يملؤها بالماء، ثم يدفع الماء عند الضرورة، فيندفع الأخطبوط في الاتجاه المعاكس. ثم تم تعديل الجهاز وصقله، فظهرت الأسماك الهلامية. فحسنت المواصفات بظهور الزعانف. لكن بقيت الحيوانات الهلامية ضعيفة وعرضة للافتراس، مما دفعها إلى التسلح بدروع فظهرت الصدفيات.

تمثل الصدفيات كتابا بالغ الأهمية للعلم في العصر الحديث لان طبقات الأرض احتفظت في حفرياتها بسجلات هذه الأصداف، حيث أن السجلات المستحاثية تبدو واضحة المعالم مع ظهور الكائنات الصدفية، التي حفظت بالصدفة المحضة في الرمال. ثم ظهر العهد (الباليوزوي) وهو العصر الحيواني القديم منذ 500 مليون عام، حيث أخذت الحيوانات بغزو اليابسة، وظهر الحيوان ثلاثي الفصوص الذي يقال انه تطور عن الديدان. ومع حدوث التبدلات الجيولوجية في العهد (البرسي) ، تطورت بعض فصائل هذا الكائن، ودخلت إلى مجاري الأنهار والبحيرات وأصبحت بحجوم ثلاثة أمتار، ثم اضطر بعضها بفعل البيئة القاسية للهجرة والحياة على اليابسة، فظهرت الحشرات كالعقارب والعناكب، بينما فضل بعضها الآخر التحليق في الجو فظهرت الطيور. وفي المحيطات، فإن بعض الديدان المصدفة ارتأت إنشاء قضيبي داخلي بدلا من الصدف المحيط، فأخذت الفقاريات بالظهور لأول مرة. ثم خرجت لاحقا بعض الأسماك من المحيط إلى اليابسة، فتطورت إلى حيوانات برمائية، وإلى زواحف. كان طولها يتراوح بين عدة سنتيمترات إلى بضعة أمتار وكان الكثير منها يملك دروعا. لا

تزال بعض هذه الأحياء البرمائية كالضفادع والسحالي موجودة، إلا أن بعضها تطور أيضا فتحول إلى زواحف استمر عهدها 100 مليون سنة. كانت الزواحف هذه ضخمة في حجمها وشديدة الفتك ببعضها. لكنها انقرضت أيضا لاحقا دون أي أثر يوضح سبب انقراضها، بينما بدأت بالتطور الحيوانات اللبونة صغيرة الحجم، بحجم الفئران، والتي يرى بعض الباحثين أنها كانت السبب في انقراض الديناصورات الضخمة، لأنها كانت تتغذى على بيوضها. في حين أن آخرين يرون أن خلايا تلك الحيوانات الضخمة قد أصابها الهرم والشيخوخة مما أدى إلى انقراضها. ثم ومع انقراض الزواحف الضخمة ظهرت الثدييات التي أتاحت لها الفرصة للتكاثر. وبعد أن كانت صغيرة في حجمها لا تزيد عن حجم الثعالب. فالفيل الحالي كان أجداده بحجم القطط تماما، ثم كبرت وتطورت بتأثير الاصطفاء الطبيعي إلى الحيوانات التي نراها الآن. أما جد الإنسان فلم يعثر له على أثر، على الرغم من تواجد أنواع من القردة في ذلك الوقت. ثم جاء العصر الجليدي، فقصي على بعض الحيوانات التي لم تستطع أن تهاجر إلى المناطق الدافئة في الجنوب كفيل الماموث وغيره. وفي هذا العصر ظهر الجد الأول للإنسان متطورا عن القردة 1 ❖ .

إن الخلاصة السابقة لنشأة وتطور الكائنات الحية على الأرض تصلح لأن تكون حكاية من حكايات الخيال الممتع التي تناسب الأطفال لا أن تقحم في أبواب العلم وتحديد البيولوجيا خصوصا وأن الحكاية تسير بشكل سلس وآليات عفوية غامضة. فالأسماك لا يعيها مثلا أن تخرج إلى اليابسة وتتحول بجرة قلم إلى برمائية وهي المخلوق الذي يعجز كما هو معلوم عن التنفس فور خروجه من الماء ويموت خلال بضع دقائق. أما تلك الزواحف الضخمة فقد قرر بعضها أن الطيران سيكشف له عالما جديدا حالما وهكذا نمت لها أجنحة وأخذت تحلق في السماء متحولة إلى طيور.



و الفيل وقد عجز أن يلتقط فاكهة الفريز من الأرض، أخذ ينفخ ويزبد إلى أن استطال خرطوميه وأصبح بشكله الذي عليه. وهكذا فليس هنالك ما يمنع الخيال في أن يخلق وأن يتفقق عن مزاعم وتهيؤات كيفما اتفق. لكن أن يسقط كل ذلك على العلم وبصبح أساسا من أساسياته فإن الأمر يتعدى هنا بالتأكيد حدود المقبول.

هذا إذن هو زعم التطوريين في تطور الكائنات الحية لكن هنالك ملاحظات لا بد من الإدلاء بها:

- إن البيئة المبكرة لكوكب الأرض لم تكن تصلح لانبثاق وتطور الحياة عفويا فيه. كما أن فرضية الحساء الحيوي العضوي التي جاء بها ميللر وتبناها أنصار التطور، هي أسطورة لا يمكن أن تكون مقبولة من الناحية العلمية أو التطبيقية كما تم تبياانه آنفا * [1]. لقد أكد ميللر نفسه هذه الحقيقة واعترف في نهاية حياته أن ما حصل عليه من حموض أمينية لا يمكن أن تكون برهانا أو دليلا على إمكانية نشوء الحياة بدءا من هذه المركبات. فإذا كان العالم صاحب التجربة نفسه قد أقر بعدم صحة استخدام النتائج التي توصل إليها كدليل على

إمكانية بدء تولد الحياة من الجماد فلماذا يصر أنصار التطور على استخدامها كدليل أساسي من أساسيات التطور؟

- الصدفية المحضة لا يمكنها أن تقوم بتركيب حياة ذات طبيعة معقدة كما وضع الدكتور Behe وغيره من العلماء، في كثير من الدراسات التي أكدوا فيها أن العديد من الأنظمة الحيوية المعقدة في التكوين وفي آلية العمل، لا بد أن تكون قد تخلقت في نفس الوقت لأدائها لمهمتها. وهذا يتنافى كلياً مع منطلق الصدفية والطفرة .

- الاصطفاء الطبيعي ذو قدرة فقط على تحسين المقدرة على التكيف، الأمر الذي أقرب به معظم العلماء بما فيهم أنصار التطور أنفسهم، لكنه وبشكل أساسي لا يستطيع أن يقوم بخلق كائن حي أو إحداث تعديل جذري يتسبب في حدوث انفصال في الأنواع. إن انفصال الكائنات الحية إلى أنواع مختلفة و متميزة عن بعضها بعضاً هو أمر يتعدى نطاق الاصطفاء الطبيعي الذي تكلم عنه دارون والتطوريون من بعده. وقد بينت الدراسات التي قام بها الدكتور لاميريتز على نفس العصافير التي درسها دارون (عصافير دارون) في جزيرة غالاباغوس، أن هذه التغيرات التي طرأت على العصافير كانت محدودة جداً لا يمكن ولا يجوز تصنيفها على أنها تسببت في تشكل أنواع متعددة جديدة بل تبقى في حدود التنوع ضمن الجمهرة الوراثية الواحدة. بخلاف ما جاء به دارون وصنفه على أنه انفصال في الأنواع وتشكل أنواع جديدة*2. إن تجربة إعادة الدراسة التي بدأ بإجرائها دارون والتي كررها العالم لاميريتز ينبغي أن تولى عناية كبيرة. ذلك أن دارون حين قام بدراسته ومن ثم جاء بتصنيفاته لهذه العصافير واعتبر أن هذه الطيور قد طرأ عليها تغيرات حاسمة جعلتها تنقلب إلى أنواع جديدة من وجهة نظره، بحيث قام بتصنيفها في أجناس مختلفة، مدللًا على ذلك الاختلاف في الجنس من خلال التعديل الذي طرأ على شكل وحجم المنقار. فهو قد حاول أن يوجد براهين

بناء على أفكار وقوالب جاهزة مسبقا لديه. فاختلاف شكل وحجم المنقار عند العصافير لا يمكن بأية حالة من الأحوال أن تسبب إعادة تصنيفها في نوع جديد. فهذه العصافير بقيت عصافير ومن جنس العصافير ولم تنقلب بطا أو إوزا أو نسورا. ولهذا السبب فإن معاصريه من علماء البيولوجيا حين عرض عليهم عصافيره تلك قاموا بتصنيفها في إطار نوع واحد. الأمر الذي لم يرق لدارون. إن دراسة دارون كانت دراسة كيفية، والدراسة الكيفية غالبا ماتعوزها الدقة الكافية لوضع أحكام نهائية. وهذا ما حصل في هذه الحالة حين استبق دارون التقرير الصائب على الرغم من ضحالة الدلائل التي بين يديه وقرر انفصالا في الأنواع في هذه العصافير. إن ما فعله الدكتور لاميريتز هو أنه أعاد الدراسة بأسلوب علمي وعمد إلى إجراء دراسة كمية، حين قام بقياس طول كل طير من ذروة المنقار إلى نهاية الذيل، و الارتفاع من البطن إلى أعلى الظهر، والطول الكلي للمنقار، و عرض الجانب السفلي للمنقار. وهنا ينبغي التنويه إلى الدقة الكمية والحسابية في الدراسة التي أبداها لاميريتز. وقد خلص لاميريتز في دراسته تلك بناء على القياسات الكمية التي حصل عليها وفقا لحجم المنقار والجسم، و مثل ذلك بالنسبة لطول المنقار وعرضه وتلون الريش، إلى أن تدرجا كاملا يمكن مشاهدته بين تلك الطيور. وبناء عليه، اعتبر Lammerts انه سيكون من المنطقي أكثر لو تم تصنيف هذه العصافير في إطار نوع واحد. أما تحليل دارون لاختلاف شكل المناقير لدى هذه الطيور وتبريره ذلك بأن تلك الطيور عدلت شكل مناقيرها لتتلاءم مع نوع الغذاء الذي تلتقطه فقد رد عليه الدكتور لاميريتز بأن التنوع الوراثي الذي تملكه جمهرة هذه الطيور قد تسبب لاحقا في ظهور تلك الصفات الشكلية المختلفة وليس العكس. وهنا يبدو واضحا أن للتوجه الفكري عند كلا الباحثين دور مهم في تحليل المعطيات. فدارون وفق منطلقاته الفكرية التي تنكر الخلق يبرر اختلاف أشكال المناقير من خلال

منهجية تتوافق وهذا التنكر على الرغم من استحالة إمكانية تحقيق مثل ذلك الافتراض المقدم. لقد علل التغيير الطارئ على المنقار وذلك بحجة إحداث التعديل التطوري للتلاؤم مع نوع الغذاء الجديد الذي يتوافق مع التطور والتنوع الذاتي للكائنات بدون الحاجة إلى إبداع يد الخالق. لكن مرة أخرى فإن ما قدمه دارون هو مجرد افتراض وهذا الافتراض لم يقيم على أي دليل علمي يثبتته. فلو فرضنا أن هذا الطائر المهاجر كان بمنقار قصير وأن الغذاء الذي يحتاجه والذي تواجد في تلك الجزيرة يتطلب منقاراً طويلاً لأنقرضت جميع تلك الطيور المهاجرة التي هي سلف للطيور الحالية جوعاً قبل أن يتسنى لها أن يستطيل منقارها بفعل التطور وأن تتمكن من تناول غذائها. فلو لم يتواجد الاستعداد الوراثي لدى تلك الطيور أصلاً بوجود مورثات المنقار الطويل إلى جانب القصير في الطير المهاجر الأول لما ظهرت تلك المناقير الطويلة لاحقاً. والحقيقة هي أننا لو افترضنا أن دارون كان يملك بعض الصواب في افتراضه هذا لكان ينبغي أن يوجد في الطبيعة أو في المستحاثات ما يشير إلى مثل هذه التبدلات. لقد بينا في البحث الثاني في هذا الكتاب "إشكاليات في فرضية التطور" الضرورة التي تملئها افتراضاته والتي تستوجب وجود أعداد غير منتهية من المخلوقات البيئية بين تلك العصافير الأصل والأجيال اللاحقة أثناء حدوث التطور المزعوم وهذا ما أقره دارون بنفسه لكن هذا يخالف واقع الحال. أما ما تقدم به الدكتور لاميريتز من وجود جمهرة من المورثات في مجتمع العصافير تلك ظهرت لاحقاً من خلالها تلك الصفات الجديدة التي كانت متنحية أو خافية، فإن الحقيقة العلمية تدعمها من خلال مشاهداتنا اليومية في مختلف مجالات البيولوجيا والأحياء المتنوعة حيث يلاحظ هناك التنوع المحدود الذي يمثل حالة اختزال اصطفائي للكائنات الحية مع انفصال كامل وعدم وجود تواصل في الأنواع.

- إن البنى الحياتية التي شوهدت في المستحاثات المتواجدة في أقدم الصخور عمرا كانت معقدة منذ البداية. فالكائنات أحادية الخلية ووفق مزاعم التطوريين، هي من أوائل الكائنات الحية التي نشأت على الأرض. لقد قدم الدكتور دانتون دراسة متميزة حول تعقيد بناء هذه الخلية الحية، بشكل لا يدع مجالاً للشك في أنها، ومن حيث تركيبها البنيوية، لا يمكن أن تكون بسيطة كما يحاول أصحاب النظرة التطورية أن يلمحوا في كتاباتهم*3.

- لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن أشباه الخلايا (Prokaryotes) ذات التركيبية الأقل تعقيدا، قد تطورت إلى خلايا حقيقية (Eukaryotes) أكثر تعقيدا. إن من غريب ما يزعمه التطوريون، أن أول ما نشأ هو الحساء الحيوي بعناصره العضوية المختلفة. وقد بينت الدراسات أن فرضية الحساء الحيوي هي فرضية لا صحة لها. ثم بتابع أنصار التطور بأنها تداخلت بعض عناصر الحساء هذا بألية عشوائية ووفقا للصدفة وانغلقت على نفسها بغلاف فتكونت أشباه الخلايا (Prokaryotes). وهذا الافتراض أيضا هو افتراض غير مقبول، لأنه وكما تم تبيانه، فلا العشواء ولا الصدفة وقوانينها الاحتمالية، قادرة على جمع تلك العناصر العضوية بشكل له دلالتة، من أجل تكوين مركب حيوي قادر على أن يؤدي الوظائف الحيوية بما فيها التكاثر*4.

ولا حتى، أشباه الخلايا تستطيع إن افترضنا إمكانية وجودها في تلك الآونة المبكرة للحياة، أن تبقى حية في تلك الظروف، بسبب عوزها للمواد العضوية المغذية التي ستؤمن لها الطاقة اللازمة والتي لا تستطيع هي ان تنتجها لنفسها، بل لا بد لها من الخلايا الحقيقية ذات اليخضور كي تصطنعها لها، وهذه الخلايا النباتية قد أتت لاحقا وفق زعم التطوريين.

- إن السجل المستحاثي وخلافا لما يدعيه التطوريون من كونه غير كامل، فهو مكتمل تماما. فالتطوريون يعتقدون بوجود كائنات بينية كما ادعى هيغل

وغيره من التطوريين تقع في معيار التطور بين الكائنات الأصل وبين الكائنات التي تطورت عن تلك الأصول، قد تعذر تماما العثور عليها، في تلك السجلات المستحاثية*5.

إن جميع الدراسات الجيولوجية والمستحاثية في العمود الجيولوجي قد بينت حتى هذه اللحظة، أن السجل المستحاثي هو سجل مكتمل تماما (السجل المستحاثي لا يمكن ان يكون سجلا انتقائيا يكشف ما يشاء ويخفي ما يريد). لقد ظهرت في هذا السجل كافة الكائنات التي عاشت و عمرت هذه الأرض، ولم يعد هنالك كائنات محتملة بينية من تلك الكائنات التي يزعمها التطوريون، قد انقرضت ولم يتم اكتشافها في المستحاثات بعد. فالسجل المستحاثي قد كشف مالمديه.

- يبدي السجل المستحاثي حالة استقرار، وهذا يعني أن الكائنات الحية لم تتطور. إن ظاهرة الاستقرار في السجلات المستحاثية هي ظاهرة مهمة جدا، ومع الأسف، فإن التطوريين لم يعيروها أي اهتمام. لقد تكلم في هذه الظاهرة الدكتور Gish سواء في كتاباته أو في مناظراته، ففي العصور الكامبرية ظهرت المخلوقات الرخوية وثلاثيات الفصوص والإسفنج البحري وغيرها. ولاحقا ظهرت الأسماك والمخلوقات البرمائية. لكن لم يظهر في سجلات الأحقاب السابقة أي شكل من أشكال الحياة الانتقالية بين هذه المخلوقات (والتي لو وجدت لدلت على عدم الاستقرار). ينبغي علينا أن نكون قادرين على اقتضاء اثر هذه الأشكال الانتقالية التي تربط هذه اللافقاريات بأسلافها الافتراضية. إن هذا يجب أن يكون حقيقة فيما إذا كان التطور حقيقة. إلا انه، يبدو أن كل واحد من هذه اللافقاريات قد تشكل بشكل كامل دون أي اثر مستحاثي لهذه الأسلاف، ودون أي أثر لتلك الأشكال الانتقالية التي تربط هذه اللافقاريات بأسلافها المزعومة. فمن المستحيل حدوث مئات الملايين من أعوام التطور التي تتحول فيه وحيدات

الخلية إلى لا فقاريات معقدة دون أن تترك أي أثر. ويظهر كل نوع رئيسي من الأسماك في سجل المستحاثات مكتمل الإنجاز دون وجود أي اثر للأسلاف ، ولا يوجد أي شكل من الأشكال الانتقالية على الإطلاق تربط هذه الأشكال المتنوعة من الأسماك بأسلافها التقليدية. ان هذا كله يؤكد أن السجل المستحاثي هو في حالة استقرار وعدم اضطراب*6.

- يستند أنصار التطور في دراساتهم المستحاثية عادة إلى متحجرات تعود إلى كائنات برية مثل الحيوانات و الطيور. هذه المخلوقات ونتيجة للظروف التي ترتبط بالطبيعة المحيطة بها عادة عندما تموت فإنها غالباً ماتتحلل أو تتعرض للافتراس من قبل الحيوانات الأخرى التي تقتات عليها. لذلك فمن المرجح ألا تبقى وتتحول لمتحجرات إلا في حالات نادرة. بالمقابل فإن الكائنات الصدفية التي تعيش في المياه الضحلة مثل شواطئ البحار غالباً ماتتتعرض للانطمار السريع عند موتها مما يجعل إمكانية تحجرها وبقاء هيكلها في المستحاثات أمراً مؤكداً. على الرغم من كمال السجل المستحاثي لدى تلك الكائنات الصدفية والذي تبين فيه لعلماء المستحاثات الاختصاصيين ثباتية النوع وعدم ظهور أي شكل من أشكال التحول المتدرج إلى أنواع أخرى فإن خبراء المستحاثات من أنصار التطور لا يعيرون هذا السجل المكتمل أي اهتمام مفضلين السجل المنقوص للمخلوقات البرية . يعود ذلك لسهولة إمكانية تقديم المبررات في تلك الحالة والتملص من الإجابة في حالة مواجهتهم بغياب وجود الدلائل حيث يستندون عادة إلى عدم كمال السجل المستحاثي بعد.

- إن السجلات المستحاثية لا تدعم المزاعم الدارونية في التطور. إذ كيف تدعمها وقد بينت هذه السجلات وجود انفصال كامل في الأنواع وغياب الكائنات البينية المزعومة، و لم تشهد الحياة المعاصرة وجود أي من هذه الكائنات البينية

حي. لقد أكد أنصار التطور انفسهم أن الشجرة التي تمثل السجل المستحاثي لا تغطي إلا الأصول والفروع أما ما بينها فهي مختفية تماما لا وجود لها.

- المعيار الجيولوجي المتعلق بالتدرج الزمني للمستحاثات، والذي لا يزال يستخدمه التطوريون للدفاع عن مزاعمهم قد اتضح عدم دقته.

- إن الترسيمات التطورية المتعلقة بالأنساب (أشجار العائلات بين الكائنات) هي محض افتراضات، وضعها التطوريون وفق رؤيتهم الخاصة، وهي لا علاقة لها لا بالعلم ولا بالدلائل العلمية، التي أشارت في كثير من الأحوال إلى خلافها. فالسجل المستحاثي للبشر الذي جرى التعديل عليه مرات عديدة هو أوضح مثال.

- لقد قام بعض علماء التطور وكحالة تأملية حاملة بإضافة بعض من الكائنات البينية إلى رسوم أشجار أنسابهم التطورية بالرغم من عدم وجود هذه الكائنات في الحقيقة. وهذا لا يخفى أنه تحريف وتزوير للحقائق. (انظر إلى السجل التطوري للإنسان (1))

- قبل ظهور الكائنات الصدفية، وحتى باعتراف التطوريين أنفسهم، وباعتبار أن الكائنات الحية كما يدعي التطوريون، التي كانت تعيش على الأرض في حينه، كانت إما جرثومية أو لاحقا هلامية، فهي لم تترك أثرا واضحا يدل عليها. وبالتالي فإن السجلات المستحاثية الأرضية لم تكن واضحة بما يكفي، لكي يستند إليها في تسجيل تلك الفترة بدقة. ولذلك تبقى تلك الحقبة خافية. وإن كل ما كتب عن تلك الحقبة لا يعدو كونه تكهنات وافتراضات وتخيلات ومزاعم. أما الشواهد العلمية فهي غير موجودة ولا يوجد أي دليل قطعي يجزم، بماهية تلك الكائنات الحية التي عاشت في تلك الفترة.

يستنتج مما سبق، أن كل ما ذكر من تطور قد طرأ على هذه الكائنات في تدرجاتها من الجراثيم إلى الهلاميات ثم إلى النباتات وإلى الحشرات والكائنات

المتحركة وإلى الأسماك وإلى الطيور وإلى البرمائيات فالزواحف فالحيوانات
اللبونة فالإنسان، كل ذلك هو محض تكهنات وليست وقائع، بل هي مزاعم بدون
أي مستندات ودلائل علمية تؤكدها.

الأحقاب الجليدية:

يزعم أنصار التطور من الجيولوجيين أن خمسة أحقاب جليدية قد تعرضت
لها الكرة الأرضية كان آخرها قبل 1.7 مليون عام*7.

لكن هنالك شواهد تشير إلى خطأ هذه المزاعم، وان عصرا جليديا قصيرا
واحدا هو الذي اصاب الارض:

- إن تعدد العصور الجليدية هو مجرد زعم يستند فقط إلى افتراضات
التطوريين من علماء الجيولوجيا.

- إن أصل الرسوبيات (tillite) الجليدية يمكن تبريره بتفسيرات متنوعة
غير تلك التي وضعها أنصار التطور.

- لقد عرف منذ فترة طويلة ان الرسوبيات (tillite) الجليدية لا يمكن
تمييزها عن الحطام المتدفق والذي يختلف عن الرسوبيات المتدرجة الاعتيادية.

- إن الرواسب الناجمة عن العصور الجليدية السابقة المزعومة، يمكن أن
تفسر بأنها نواتج الحطام الناجم عن الطوفان.

- إن تقدير الأعمار باللجوء إلى القياس الشعاعي قد قدم نتائج مثيرة
للتساؤلات. وعلى هذا الأساس، فمن الممكن للعصر الجليدي أن يكون قد امتد عدة
مئات من السنين بدلا من ملايين السنين المزعومة.

- تشير مراكز الجليد إلى وجود نشاط و فعاليات بركانية هائلة خلال

فترة العصر الجليدي.

- كما لوحظ أن أفيال الماموث المجمدة المكتشفة في سيبيريا كانت قد تجمدت بشكل مفاجئ و آني تحت تأثير ظروف كارثية. لقد احتوت بطونها على أزهار ربيعية ونباتات أخرى مدارية. هذا كله يقلل من شأن فرضيات الأحقاب الجيولوجية، ويوجه تحديدا إلى التفسير الذي يشير إلى حدوث كارثة بشكل طوفان قاد إلى هذه الظواهر الطبيعية الاستثنائية.

- إن فيلة الماموث غير مجهزة للتكيف مع الحياة في عصور جليدية طويلة الأمد. لقد وجدت قطعان كبيرة منها مدفونة في قبور مستحاثية مع الذئاب والدببة والفيلة والراينوصورات*8. مما يقود إلى الاستنتاج بأن تلك الأحقاب الجيولوجية الجليدية الخمس وخلافا للمزاعم التطورية كانت أحقابا قصيرة نسبيا.

مراجع البحث باللغة العربية

1 - فوزي الشتوي. من عجائب الحياة، سلسلة اقرا، مارس 1968 .

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

1- Duane Gish, Ph.D. The Origin of Life: Theories on the Origin of Biological Order, From icr.org/articles/83, copyright © 2007 ICR.

A DECADE OF CREATIONIST 2- DUANE T. GISH, Ph.D.
RESEARCH(Part I+II)

Creation Research Society Quarterly 12(1):34-46 June, 1975.

- 3- Michael Denton, *Evolution: A theory in Crisis*. (pp. 249-250). Adler and Adler, 1985.
- 4- F. Hoyle & C. Wickramasinghe (1981), “Evolution From Space”, J.M. Dent & Sons: London p:24
- 5- Ian T. Taylor, “In the Minds of Men” (3rd edition), TFE Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:190.
- 6- Duane T. Gish, PhD. *The Fossil Record is Incompatible with Evolution*. THE SCHWARZ REPORT / MARCH 2007 Volume 47, Number 3.
- 7- Grolier Electronic Publishing, Inc. 1993.
- 8- An editorial in *Creation Ex Nihilo*, Vol. 11, No. 2, 1989 p:13

-10- تطور الإنسان

يرى أنصار التطور أنه أثناء العصر الجليدي، عمل الزحف الجليدي على حصر بعض تلك الفقاريات في ظروف قاسية جدا، مما اضطرها إلى محاولة ابتكار وسائل تقيها هذا الصقيع، فكانت هذه مؤشرات بدء التفكير واستخدام العقل. لكن وبرغم البحوث المستفيضة، يعترف أنصار التطور أن السجلات في طبقات الأرض التي خلفها الإنسان، بالرغم من الحداثة النسبية لظهوره بقيت نادرة. وهم يقرون أن كل ما تم العثور عليه هو بقايا عظام لا رابط بينها، حيث تم ربط مواقع اكتشافها، بتسمية الكائن المكتشف باسم المكان الذي تم اكتشافه فيه، مثل إنسان بكين وإنسان نبراسكا وهكذا. وقد استدلوا على أن هذا الكائن المكتشف هو الإنسان، من خلال حجم المخ لأن حجم مخ القرد 300 سم مكعب. في حين أن حجم مخ إنسان جاوة قدر بـ 985 سم مكعب، وأما الإنسان الحالي فيبلغ حجم المخ لديه 1300 - 1500 سم مكعب 1 ❖.

فكما هو واضح فالقالب جاهز وهو أن الإنسان قد جاء كحصيلة لعملية التطور. أما المبررات التي تتعلق بالآلية التي تسببت في ظهور الإنسان فهي المبررات التي جاء ذكرها في المقدمة والتي قادت إلى بدء التفكير واستخدام العقل. لا يخفى مدى سطحية تلك المبررات من أجل تفسير حدث يمثل تلك الأهمية وهو ظهور البشر على الأرض. ليس هنالك من شك بأن الأرض قد تعرضت مرات عديدة وعبر أحقاب زمانية متعددة إلى ظروف بيئية ومناخية قاسية. ويتساءل المرء لماذا كان الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين كل تلك المخلوقات الذي تمكن من التفكير واستخدام ملكة العقل. لماذا لم نر بعض أنواع السنوريات يستخدم ملكة التفكير على سبيل المثال علما بأنه قد تعرض تماما وبنفس الشكل لما تعرض له

الإنسان من ضغوط. إن نظام الكروموزومات والمورثات عند المخلوقات الحية يمكن تشبيهها بأنظمة البرمجة والأرشفة في الكمبيوترات وقد أدرك علماء هذه التقنيات استحالة توليد تلك الأنظمة إلا من خلال تصميم ذكي يعمل على الإعداد والأتمتة. فمن غير الممكن توليد مورثات دماغ مفكر فقط من خلال عامل الاضطرار نتيجة للظروف البيئية القاسية كما جاء في المقدمة والا لكانت المعجزات هي الصفة السائدة لعالمنا. يعتبر الغراب والبيغاء و طائر النورس من أكثر الطيور ذكاء ولديهم قدرة على حل بعض الأحجيات الصعبة. يحاول بعض علماء الحيوان بين الحين والآخر إجراء اختبارات على تلك الطيور ويكتشفون قدرات كامنة فيها. بالرغم من ذلك فإن تلك الطيور بقيت كما هي في إطار النوع الواحد دون أن يحدث أي تطور لدى بعض أفرادها. إن القدرة الوراثية في كل نوع من المخلوقات هي قدرة كامنة ومحدودة بالمورثات التي يمتلكها هذا النوع. وعليه فمن غير الممكن تولد مورثات مستحدثة من العدم لتضاف لمورث أي نوع وتحدث تعديلا عليه. تبقى تلك الأسئلة من غير إجابات واضحة لدى أنصار التطور لتؤكد أن فكرة التطور نفسها هي مجرد حكاية أكثر من واقع علمي. أما الملاحظات التي يراها معارضو التطور في هذا الشأن فيمكن سياقتها على النحو التالي:

- 1 - اكتشفت المستحاثات التي تشبه البشر في الصخور، في البحيرات الجافة، الأصقاع الجليدية، وفي مواقع أخرى. ما يعني أن الظروف البيئية الضاغطة لم تكن مبررا حقيقيا لاستخدام التفكير كما يزعم أنصار التطور.
- 2 - بعض هذه المستحاثات قد تم اكتشافها في داخل الكهوف، في حين أن بعضها الآخر اكتشف في مواقع أبنية أثرية. فلا أصحاب الكهوف كانت أدمغتهم صغيرة ولا سكان الأبنية الأثرية كانوا بأدمغة كبيرة.

- 3 - لقد وجدت هذه المستحاثات في أماكن مختلفة في العالم. ومعلوم أن الظروف البيئية لا يمكن أن تكون ضاغطة في نفس الوقت في كل مكان.
- 4 - اكتشف وجود هذه المستحاثات في أنواع مختلفة من الصخور وفي أعماق مختلفة من الأرض. وهذا يقترح في أن الإنسان وجد في نفس التاريخ وخلال فترة محددة هي العصور الجليدية.
- 5 - لقد تم اكتشاف معظم هذه المستحاثات على شكل قطع وأجزاء مبعثرة. وهذا طبعا يثير تساؤلا حول مصداقية النتائج التي افترضها أنصار التطور بالرغم من الغموض الذي يكتنف مواقع البحث والمكتشفات.
- 6 - وقد اكتشفت فقط، أعداد محدودة جدا من الهياكل العظمية المكتملة. وهذا بدوره يتنافى مع مبدأ التعميم ومن ثم وضع فرضية كاملة حول تطور الإنسان.
- 7 - هنالك تنوع كبير في أشكال هذه المستحاثات الشبيهة بالبشرية. وهذا طبعا يثير تساؤلا مباشرا حول مدى وحدود صلة القرابة التي يزعمها أنصار التطور بين تلك الكائنات المستحاثية المختلفة.
- 8 - إن الأدوات التي يعتقد أنها صنعت من قبل البشر، قد تم العثور عليها بجانب هذه المستحاثات. مما يفيد أن هذه المستحاثات جميعها هي مستحاثات بشرية وهذا يعني أنها لم يطرأ عليها أي شكل من أشكال التطور. أو أن من اكتشف تلك المستحاثات كان قد تعمد وضع تلك الأدوات عمدا كي يدل على أن تلك المخلوقات هم من البشر وهذا لا يخفى أنه تزييف علمي.
- 9 - هذه الأدوات قد تمت صناعتها بواسطة مواد مختلفة كالحجارة، العظام، الخشب، قرون الحيوانات، والمعادن. وهذا يدل على الإمكانية الإبداعية لتلك المخلوقات التي تضاهي القدرة الإبداعية للإنسان الحالي. مما يثير السؤال حول طبيعة هذا التطور المزعوم.

10 - إن عمر تلك المستحاثات والأدوات المرافقة التي هي أقدم من التاريخ المدون (وهو حوالي 4500 سنة قبل الميلاد) هو عمر غير معروف.

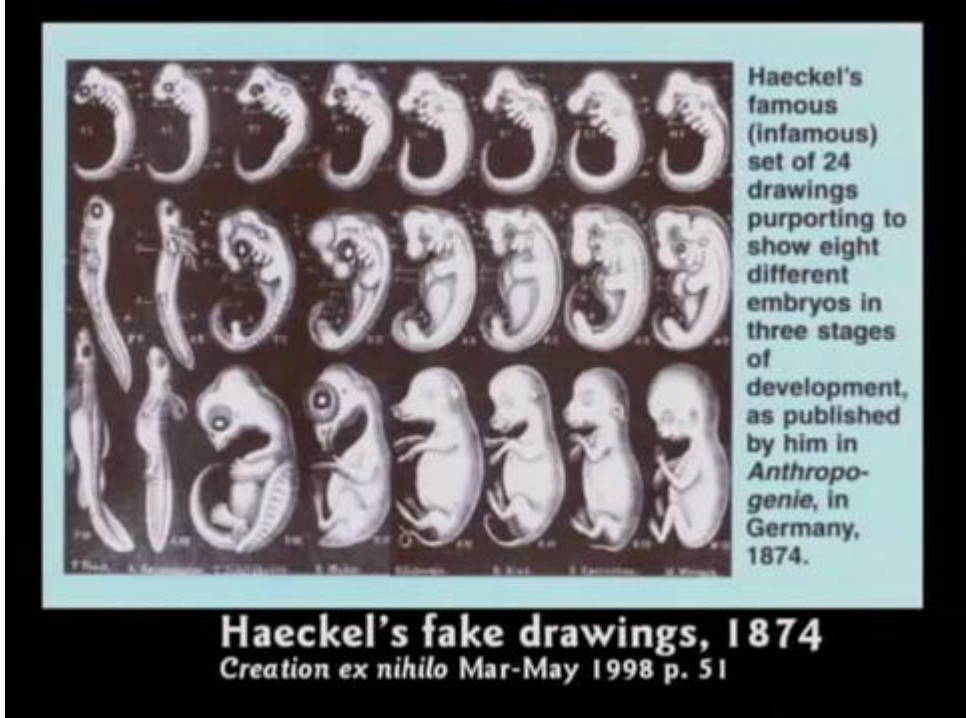
11 - لقد تم تقدير عمر هذه المستحاثات والأدوات المرافقة باستخدام التقدير غير المباشر* 1.

يمكننا الاستنتاج وبدون تحيز أنه، لا يمكن بالاستناد إلى هذه الخلاصة الدراسية التي طرحها التطوريون حول الإنسان القديم أن يتم الربط بأي حال من الأحوال بين هذه المعلومات، وبين ما يدعيه ويزعمه التطوريون من استنتاج بأن الإنسان قد تطور عن المخلوقات الأدنى، مهما كانت أشكال أو أنواع أو طبيعة هذه المخلوقات. فالسجلات التاريخية ناقصة تماما وغير وافية والكائنات المكتشفة هي كائنات افتراضية وليست حتمية، وبقيت هذه الكائنات هي بقايا مبعثرة وغير مكتملة، كما أن العمر التقديري قد تم أخذه بطريقة غير مباشرة. لذلك لا يمكن الاستناد إلى المزاعم والافتراضات والتكهنات لتأكيد حقائق. إن المحاكم وهي وليدة التفكير العلمي لا تستند في قرائنها على المزاعم. فكيف بالعلم أن يأخذ هذه المزاعم التي يراها التطوريون في تطور الإنسان من القرد، على أنها حقائق لا لبس فيها. تقول عالمة بالطبيعيات والمستحاثات (Mary Leakey) : " من خلال معرفتنا الراهنة، لا أعتقد أنه من الممكن تطبيق هذا الكائن شبيه البشري (Hominid) (وهو الكائن الذي يزعم التطوريون أنه من أسلاف البشر) في إطار نموذج أو تصور مقبول* 2.

إن كثيرا من المدرسين والكتب المرجعية لا يزالون يعرضون رسوم الفرضية المبسطة الدارونية الموضوعية في القرن التاسع عشر، والتي تنص على أن الجنين الإنساني أثناء نموه، يلخص التاريخ التطوري لهذا الإنسان.

إن التيار الرئيسي من علماء الجنين قد رفضوا وجهة النظر هذه المسماة (إعادة اختصار التطور) منذ ما يزيد عن نصف قرن. فالمحرض الرئيسي الذي دفع بهذه

الفرضية (إعادة اختصار التطور) هو ارنست هيغل. وهو الذي ارتكب أخطاء في تزييف عدة رسوم بيولوجية وذلك كي يدعم وجهة نظره. وحتى هذا اليوم، فإن بعض المؤلفين لا يزالون ينشرون بعض هذه الرسوم المضللة التي زيفها هو، في الأجزاء الخاصة بالتطور في الكتب المرجعية.



لقد بينت الدراسات الحديثة الوراثية أن الأعضاء المتماثلة في أجسام الكائنات الحية التي تنتسب إلى أنواع مخلوقات مختلفة، لا تنشأ في أصلها الوراثي من نفس المورثة. بمعنى أن تسلسل النيوكليوتيدات في ال DNA الخاص بالمورثة، يكون مختلفا بين الأنواع المختلفة. وهناك مورثات تسمى المورثات الشكلية (Homeotic) وهي التي تمنح الصفات الشكلية للكائنات، كتشكيل اليدين والقدمين والعينين. على الرغم من أن بعض هذه المورثات يكون متشابهها جدا بين الأنواع المختلفة (حيث يكون تسلسل الحموض النووية متماثلا)، نجد أن هذه

المورثة تعطي صفة ظاهرة وراثية معينة في نوع معين، لكنها تعطي في النوع الآخر صفة وراثية ظاهرة مختلفة تماما. وكمثال على ذلك، فإن مورثة معينة في الفراشة هي التي تعطي قرون الاستشعار، على حين أن مورثة مماثلة لها تماما عند الفأر، تمنحه دماغه الخلفي. كما دلت الدراسات على أن تماثل المورثات البنيوية عند الأنواع المختلفة، لا يؤدي إلى التشابه في أشكال الكائنات بين الأنواع المختلفة. فعلى سبيل المثال، إن الدراسات بينت أن مورثات الشمبانزي والإنسان تتشابه بنسبة 98%. إلا أن الصفات الشكلية بين الشمبانزي والإنسان هي صفات متنافرة جدا *3. إن الدلائل السابقة تبرهن كلها بما لا يدع مجالاً للشك على أن التشابه في بنى المورثات بين الكائنات الأقرب نسبا (فيما يزعمه أنصار التطور) لا يمكن أن تكون دليلاً على حدوث هذا التطور بين تلك الكائنات كما يزعم التطوريون.

لقد تم استخدام علم التشريح المقارن ولفترة طويلة كبرهان على التطور، إلا أنه لم يعد هنالك إلا القليل لمثل هذه الجدليات في هذا الوقت. فاكتشاف وجود التطابق (التماثل في الأوصاف بين الأجناس المختلفة) يجب ألا يفسر على أن كلا الجنسين قد جاء من نفس النسب المشترك. إن التطابق الشكلي لم يعد يستخدم دليلاً على التطور من قبل علماء الحفريات الأكثر شهرة *4.

أتراها تهيؤات أم أنها مجرد أوهام في أسلاف الإنسان :

الكائن (Pliopithecus) : تم تصنيفه الآن كأحد أجداد القروود المنقرضة *5.

الكائن (Procnolul) : تم تصنيفه الآن كأحد الحيوانات شبيهة القروود المنقرضة *6.

الكائن (Dryopithecus) : تم تصنيفه الآن كأحد أجداد القرود المنقرضة
*7.

الكائن (Oreopithecus) : تم تصنيفه الآن كأحد أجداد الرئيسيات المنقرضة
(وهو يمثل نهاية مقطوعة في التطور الإنساني حسب التطوريين) *8.

الكائن (Ramapithecus) : تم تصنيفه الآن كأحد أجداد القرود المنقرضة
وكجد للقرود اورانج اوتان *9.

الكائن (Australopithecus) : تم تصنيفه الآن كأحد القرود الرئيسية
المنقرضة يشبه إلى حد ما الشمبانزي *10.

الكائن (Paranthropus) : تم تصنيفه الآن مثل Australopithecus.

الكائن (Advanced Australopithecus) لم يعرف له تصنيف.

الكائن (Homo habilis) اصبح يصنف الآن كقرود من الرئيسيات
Australopithecus *11.

الكائن (Homo erectus) هنالك اضطراب في تصنيفه *12.

الكائن (Archaic early Homo sapiens) : تم تصنيفه الآن كواحد من
العروق البشرية (فيه امتزاج في المستحاثات) *13.

الكائن (Solo Man) تم تصنيفه الآن مثل Homo erectus *14

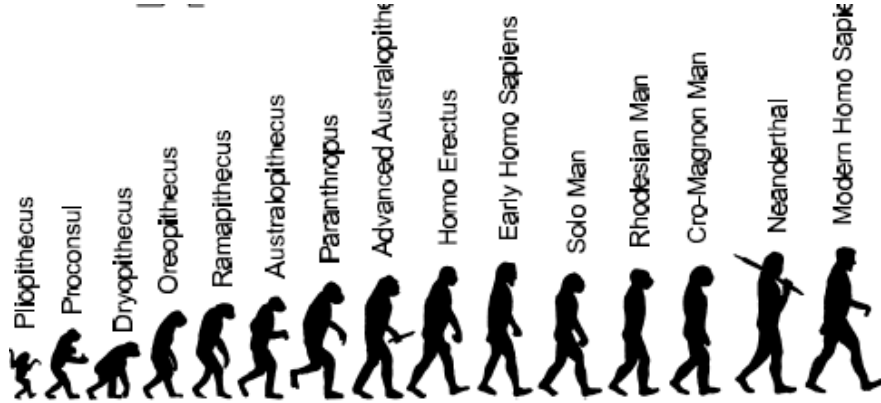
الكائن (Rhodesian Man) : تم تصنيفه الآن مثل Archaic Homo sapiens
*15

الكائن (Neandertal) : يصنف الآن كتنوع عرقي من الكائن Homo sapiens
*16

الكائن (Cro-Magnon Man) : يصنف الآن مثل Homo Sapiens
الجديد *17.

الكائن (Modern Homo sapiens) وهو الإنسان الحالي

يبين النموذج الترسيمي التالي ما ابتدعه خيال التطوريين للوصول من القرد إلى الإنسان الحالي *18:



" ما الذي دفع الدكتور (Pilbeam) إلى تغيير وجهة نظره حول أصل الإنسان ؟ إنه يقول بأن الأمر لا يتعلق باكتشاف عينة واحدة ، وإنما من خلال استعادة مواد بحثية متنوعة، جعلته يدرك أن تصريحاته السابقة المتصلبة جدا، كانت تستند إلى دلائل محدودة جدا. لقد أخذ بالتساؤل، بما أن استناده كان إلى دلائل قليلة، فلماذا تمسك بها بتلك القوة. لقد جعله ذلك يعيد النظر حول نهجه في التفكير العلمي، مما أرسى لديه تغييرا جذريا في مقارنته لتحليل المعطيات لديه. قال إن كثيرا من التصريحات التي تم تقديمها، بما يتعلق بأصول الإنسان " ذات علاقة محدودة جدا بالمعطيات الحقيقية، وهي ذات ارتباط كبير بافتراضات غير معلنة." *19

يقول Willaim R. Fix " إن السجلات المستحاثية التي تخص الإنسان لا تزال بشكل جد محدود معروفة، بحيث أن هؤلاء الذين يصرون على الإعلان الرسمي الإيجابي دعما لمعتقداتهم، لن يكون بمقدورهم أن يفعلوا شيئا سوى القفز من هاجس خطر إلى آخر، أملا ألا يجعل منهم الاكتشاف اللاحق مجرد حمقى

من الواضح أن بعض الناس يرفضون أن يأخذوا العبرة من كل هذا. فكما رأينا، هنالك أعداد غفيرة من العلماء والساعين إلى الشهرة اليوم، الذين لديهم من الطيش ما يسمح لهم بان يخبروننا بأنه "ليس هنالك من شك" حول كيفية نشوء الإنسان. أه فقط لو أن بيدهم الدليل على ما يدعون" *20.

يؤكد هذه الحقيقة التي جاء بها السيد (Willaim R. Fix) ما جاء في تقرير تناقلته محطة الجزيرة 2 ❖ ومحطة (B.B.C) 3 ❖

وجاء فيه :

نقلا عن الجزيرة بتاريخ 2009/10/3 م ما نصه: "أردى" تطعن بصحة نظرية داروين:

"قدم العلماء الأميركيون دليلا جديدا على أن نظرية داروين في النشوء والارتقاء كانت خطأ، وذلك بكشف فريق عالمي من علماء أصول الجنس البشري من جامعتي كين ستيت وكاليفورنيا النقباب عن أقدم أثر معروف للبشر على وجه الأرض، وهو هيكل عظمي إثيوبي يبلغ عمره حوالي أربعة ملايين وأربعمائة ألف سنة أطلق عليه اسم "أردى".

وأعلن فريق البحث أمس الخميس أن اكتشاف "أردى" يثبت أن البشر لم يتطوروا عن أسلاف يشبهون قردة الشمبانزي، مبطلين بذلك الافتراضات القديمة بأن الإنسان تطور من أصل قرد.

وكتب الباحثون في تقريرهم بمجلة ساينس أن "أردى" واحدة من أسلاف البشر، وأن السلالات المنحدرة منها لم تكن قردة شمبانزي ولا أي نوع من القرده المعروفة حاليا.

ويؤكد العلماء أن أردى ربما تكون الآن أقدم أسلاف الإنسان المعروفة، لأنها أقدم بمليون سنة من "لوسي" التي كانت تعد من أهم الأصول البشرية المعروفة."

كما جاء في نص التقرير: " من جهة أخرى أوضح سي أوين لوفغوي، وهو عالم أميركي في جامعة كنت من المتخصصين في أصل الإنسان، أنه أجرى دراسة على الإنسان البدائي الذي يعرف باسم *Ardipithecus ramidus* الذي عاش قبل 4.4 ملايين سنة في إثيوبيا.

وأضاف في دراسة تنشر اليوم في مجلة ساينس، أن "البشر غالباً ما يظنون الناس تطوروا من القردة، لكن ذلك ليس صحيحاً".

وتابع أنه "شاعت فكرة أن البشر هم نسخة متطورة عن الشمبانزي، لكن دراسة الإنسان البدائي ساهمت في تأكيدنا بأنه لا يمكن أن يتطور البشر من الشمبانزي أو الغوريلا". انتهى.

ومما يثير الضحك أن المستحاثات التي تزين شجرة العائلة البشرية التطورية هي من الندرة بمكان، بحيث أنه يوجد هنالك عدد من علماء المستحاثات أكثر من عدد عينات المستحاثات البشرية المزعومة. فالحقيقة الدامغة هي أن كل الدلائل المادية التي نملكها لتطور الإنسان يمكن بمجموعها أن توضع في كفن واحد ويبقى هنالك متسع في المكان، لايزال من الممكن ان يتم تقاسمه مع الآخرين*21.

وفي الواقع، ومن خلال البنية الحقيقية للكروموزوم البشري، فبالإمكان استبيان أن الجنس البشري، لم يأت من خلال عملية التدرج التحولي للإنسان من كائنات ما قبل بشرية. إن واحداً من أهم ما قدمه القرن العشرون في البيولوجيا هو تبيان، أن أنساب كل الأحياء من البشر قريبة جداً من بعضها. لقد قدمت الدراسات الوراثية نتائج أدهشت البعض وهي أن التنوع عند البشر في مستوى ال DNA هو أقل بكثير مما قد يقترحه التنوع التشريحي الوصفي. وهذا يمكن أن يوجه، إلى أن جميع البشر قد جاءوا من أب واحد وأم واحدة*22.

فهل يحق لنا بعد كل ما جاء من حقائق جلية، الاستناد إلى تلك المزاعم الواهية في أصل الإنسان، التي يزعمها التطوريون. إن المرء لا يمكنه إلا الاستنتاج بأنه لا توجد صورة واضحة المعالم لتطور الإنسان* 23.

مراجع البحث باللغة العربية

- 1- فوزي الشتوي. من عجائب الحياة، سلسلة اقرا، مارس 1968 .
- 2- محطة الجزيرة 2009/10/3 م
- 3- محطة (B.B.C) 2009/10/ 3 م

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- 1- Ian Tattersall (1995), "The Fossil Trail: How we know what we think we know about human evolution", Oxford University Press: New York.
- 2- Mary Leakey, world-renowned paleontologist "Disclosing the Past", Doubleday & Co: New York, 1984 p:214.
- 3- Wayne Frair. Embryology and Evolution, Volume 36(2): 62-67 September 1999, CRS Quarterly.
- 4- Scientific Monthly, Vol. 16, No. 3, 1923 p:246; Albert S. Romer, "Genetics, Paleontology and Evolution", (Glen S. Jepson ed.), Princeton University Press, 1949 p:115.
- 5- "Early Man" Life Nature Library, Time-Life International: Netherlands, 1969 p:36).
- 6- Science News, Dec 15, 1990 p:380.
- 7 – Dr Duane T. Gish "Evolution - The Fossils Say No!", Creation-Life Pub: San Diego (USA), 1978 p:102)
- 8 – "Early Man" Life Nature Library, Time-Life International: Netherlands, 1969 p:31)
- 9- New Scientist, Vol. 28, Jan 1982 p:48)
- 10- CexN Technical Journal, Vol. 6, part 1, 1992 p:11)
- 11— New Scientist, May 21, 1987 p:27)
- 12– G.P. Rightmire, "The evolution of Homo erectus", Cambridge University press: Cambridge, 1990 p:86)

- 13-D. Pilbeam “The origins of Homo sapiens: The Fossil Evidence”, in “Major Topics in Primate and Human Evolution”, B. Wood et al (eds), Cambridge University press: Cambridge, 1986 p:333)
- 14-Martin Lubenow, "Bones of Contention", Baker Book House: Michigan (USA), 1992 p:171)
- 15 – Martin Lubenow, "Bones of Contention", Baker Book House: Michigan (USA), 1992 p:171)
- 16-Quarterly Review of Biology, Vol. 32, 1957 p:348-363)
- 17- (source – Encyclopedia Britannica, Vol. 6, 1968 p:792).
- 18- after “Early Man”, Life Nature Library, 1969 p:41-45.
- 19- Luther D. Sunderland, “Darwin’s Enigma - Fossils and Other Problems” (4th ed.) , Master Book Pub: California (USA), 1988 p:86.
- 20- Willaim R. Fix "The Bone Peddlers" Macmillan Pub. Co: New York, 1984 p:150-15
- 21- Written by evolutionary anthropologist Dr Lyall Watson, "The Water People", in Science Digest, Vol. 90, No.5, May 1982 p:44
- 22- Alan Thorne & Milford Wolpoff stating that all humans are very closely related,

"Conflict Over Modern Human Origins", *Search*, Vol. 22,
No. 5, 1991 p:175

23- Dr Robert Martin (Senior Research Fellow at the
Zoological Society of London) "Man Is Not An Onion", in
New Scientist, Vol. 75, No. 1063, August 1977 p:285

11- مزاعم التطوريين في حدوث التطور والردود عليها

يدعي التطوريون :

1 - إن ما يحصل في الطبيعة من تحولات نراها في أيامنا هذه هي نفسها التي كانت تحصل وبنفس التقدير في الأيام السابقة. لا يخفى خطأ مثل هذا الافتراض. فليس هنالك أي دليل علمي يدل على أن درجة التحولات في الطبيعة كانت ثابتة. بل على العكس، فإن مختلف الدراسات الجيولوجية تشير إلى أن الأرض قد تعرضت لدرجات من التحولات حاسمة أثناء الحقب التاريخية المختلفة لاشك أنها عدلت وغيّرت في شكل وطبيعة وسرعة التحولات على الأرض.

2 - من أجل حصول أية عملية تحويلية في الطبيعة ينبغي أن يتوفر العامل الزمني المديد جدا فالتحول عند التطوريين يشترط البطء الشديد من أجل اكتمال حدوثه 1 ❖ .

أولاً: إن ضرورة توفر العامل الزمني لحدوث التحول هو مجرد افتراض وضعه التطوريون كي يدللوا بذلك على العشوائية والاحتمالات وما يزعمون من آثارها في إحداث التبدلات التطورية. لا يستطيع التطوريون أن يقدموا لنا الشواهد التجريبية على صحة افتراضهم هذا. فليس هنالك سجلات تاريخية حقيقية تثبت علمياً أو بواسطة النقل عن عاصروا تلك الأحقاب السحيقة أي تأكيد لصحة مثل هذا الافتراض. فالإنسان الذي دون الكتابة لا يتجاوز عمره على الأرض كما أشارت إليه الاكتشافات التاريخية العشرة آلاف عام، وما عدا ذلك فهو مجرد تكهنات وافتراضات تتطلب براهين علمية.

ثانيا: إن الشواهد الحقيقية والمتعلقة حصرا بالإنسان العاقل ومن خلال ما دونه وسجله من آثار فيها ابتكار تدل على أن عاقلا هو الذي خلف هذه الابتكارات، تشير الاكتشافات الأثرية الى أن اقدم سجل بشري عاقل مبتدع على وجه الارض، لا يتجاوز في عمره العشرة آلاف عام، وهذا عمر محدود جدا إذا ما قورن بما يزعمه التطوريون من ملايين السنين التي هي عمر الإنسان.

ثالثا: السجلات المستحاثية المختلفة تتعارض والمزاعم التي يزعمها التطوريون. فقد بينت السجلات المستحاثية أن الكائنات الحية بأنواعها كانت منفصلة تماما في نشأتها، بدون وجود أية كائنات بينية تشير إلى أي نوع أو أية ظاهرة تطورية أو تحويلية (أنظر الحقبة الكامبرية).

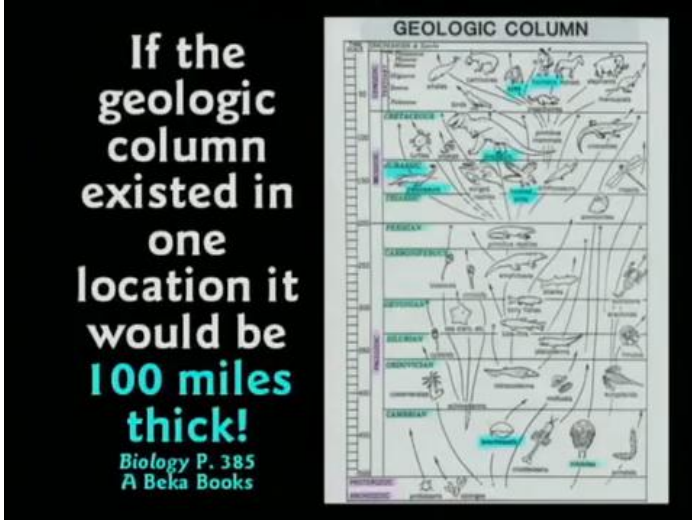
3 - يحدث تشكل الصخور الرسوبية عادة، وفقا لافتراضات التطوريين، بشكل ترسبات بطيئة، وعادة ما تكون تحت الماء. مرة أخرى، هنالك أسلوب بناء نموذج ثابت للحدث وتثبيت للمتغيرات فالتطوريون يفسرون نشوء الأرض وتطورها من خلال قوالب جاهزة علينا أن نؤمن بها ونعتقدها، ومن ثم نبني على هذه الاعتقادات النتائج. وهذا أمر خاطئ من المنظور العلمي. إن أهم أسس البحث العلمي هو تسجيل الملاحظة وليس افتراضها. ثم أن قواعد التجربة العلمية السليمة تحتم على الباحث عدم وضع الشروط المسبقة. وما نراه بين يدينا في افتراضات التطوريين هي شروط مسبقة. وهذا ما ينسف مصداقية البحث العلمي الصحيح. كما أن الشواهد تشير إلى نقيض ما افترضه التطوريون، فالأعمدة الجيولوجية كما تبديه مكتنفاتها تظهر في كثير من الأحيان تدرجات تتنافى مع ما يفترضه أنصار التطور، كما أنه خلال الاحقاب التاريخية طرأت أحداث جيولوجية عاصفة مثل الفيضان الذي غمر الارض وجاء ذكره في الكتب السماوية كما أشارت إليه بعض الدراسات الجيولوجية (البحث-4 -) التي

وردت في هذا الكتاب. وهذا يعني أن بعض الرسوبيات كانت عاصفة وسريعة جدا في حدوثها.

4 - إن العمود الجيولوجي وفقا لمنظور التطوريين قد تم تشكله من خلال معايير ترسيبية منتظمة ومتدرجة زمانيا. وهم يقصدون بالتدرج الزمني والانتظام: أن طبقات العمود الجيولوجي قد ترسبت تدريجيا من الأقدم ونحو الأحدث.

وهذا الأمر فيه شك كبير. فينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن طبقات الأرض عند تشكلها يمكن أن يطرأ عليها انطواءات واعتصارات وحتى الزلازل والبراكين قد تتداخل كلها فتؤثر على التدرج الصحيح للطبقات الرسوبية في هذا العمود. كما أنه يجب ألا ننسى أن هنالك الانتقال للرسوبيات المختلفة بواسطة السيول والأنهار القديمة والحديثة وترسبها في موقع بعيد عن موقع النشوء. كل ذلك يؤثر تأثيرا مباشرا على التدرج المنتظم المثالي الذي يفترضه التطوريون. هذه الاستقرارات ليست استقرارات افتراضية، وإنما هنالك دراسات وشواهد تثبت صحتها. فكثير من الأنهار قد غير مجراه عبر التاريخ وكمثال على ذلك نهر النيل وبعض الأنهار قد اختفى إلى الأبد، وأما التغيرات المناخية والأعاصير والزلازل والبراكين إضافة إلى تشكل طبقات رسوبية بشكل سريع، فهي تمثل شواهد جلية بأن التدرج الزمني الذي يفترضه التطوريون ليس بالضرورة أن يكون صحيحا ومثاليا.

لقد قام العديد من علماء الجيولوجيا من غير ذوي الميول التطورية، بإجراء بحوث علمية جيولوجية بينت نتائجها أن تلك المعايير الترسيبية والمتدرجة زمانيا للعمود الجيولوجي هي معايير مشكوك بها (يمكن الرجوع الى موضوع الجيولوجيا والتطور لتفصيل أكثر).



هنالك تسعة مغالطات تتعلق بالعمود الجيولوجي وفق مزاعم التطوريين يمكن تصنيفها كما يلي:

أ - يفترض التطوريون أن الطبقات الصخرية في الأعمدة الجيولوجية كانت تتناثر في كافة أنحاء العالم حين تكونت.

ب - بما ان لكل طبقة رسوبية صخور تميزها وهي مركبات من الفلزات خاصة بها، فإن الطبقات المكتشفة حديثا من الرسوبيات يمكن بسهولة أن يتم إدخالها في موقعها المناسب في ذلك العمود الجيولوجي كما يدعيه التطوريون.

ت - يرى التطوريون أن الطبقات الرسوبية تحدث دائما بشكل يتوافق مع الانتظام الزمني المتطلب في العمود الجيولوجي. (انظر البحث -4 -)

ث - إن العمود الجيولوجي (كما يراه التطوريون) يسمح لنا وبشكل دقيق بانورامي، أن نرى كيف كانت تلك العهود الجيولوجية تبدو تماما. (انظر البحث -4 -)

ج - إن العمود الجيولوجي وتموضع المستحاثات فيه يقدم برهانا لا يقبل الشك (وفقا للتطوريين) حول تطور المتحول أحادي الخلية إلى إنسان. (انظر البحث -9 -) لكن الحقيقة هي أنه وبافتراض صحة ذلك العمود فإن الدليل المقدم يدل

فقط على تسلسل قدوم المخلوقات المختلفة للحياة ولا يدل قطعاً على أي شكل من أشكال التطور.

ح - تقدم لنا المستحاثات، بزعم التطوريين، أفضل طريقة لتوجيه الطبقات الرسوبية إلى موضعها المحدد في العمود الجيولوجي. (انظر البحث -4 -)

خ - تثبت شواهد الطبقات الرسوبية، وفق زعم التطوريين، أنه كان يجب أن تمضي حقبة زمنية تتعدى ملايين السنين لترسيب طبقة واحدة من تلك الطبقات الرسوبية. (انظر البحث -4 -)

د - إن القياس الشعاعي لتحديد العمر وفقاً للتطوريين، يمكن أن يحدد وبدقة تامة ومؤكدة، الأعمار الحقيقية للطبقات الرسوبية المختلفة في العمود الجيولوجي. (انظر البحث -3 -)

ذ - قام التطوريون من الجيولوجيين بتركيب العمود الجيولوجي من خلال إجراء تجميع للفترات الزمنية والعهود التي عرفوها فقط* 1.

5 - يؤمن التطوريون أن السجل التاريخي للمستحاثات المتدرج بشكل تصاعدي زمنياً هو سجل دقيق كامل. إن السجل المستحاثي هو سجل مقبول من حيث المبدأ. لكن ينبغي أن لا يأخذ على أنه دقيق تماماً، إذ أنه ليس بيننا من عاصر تشكل هذا السجل المستحاثي كي يؤكد دقته المطلقة. كما أن هنالك شواهد علمية تشير إلى حدوث انثناءات وانطواءات وانزلاقات في الطبقات الأرضية. كل ذلك قد يؤثر بشكل مباشر على هذا السجل المستحاثي وعلى صحة تدرجه الزمني. إضافة إلى أن بعض الترسبات قد تأتي من مصادر بعيدة عن منشأها عبر السيول والأنهار، ومن ثم يحدث الترسيب في موقع بعيد كل البعد عن مكان وزمان المنشأ. كما أن الانهدامات الأرضية والتشققات وعوامل التعرية وغيرها من عوامل الطبيعة المختلفة، كلها تلعب دوراً مباشراً في حدوث تعديلات جوهرية على التدرج الزمني للسجل المستحاثي وتجعل من دقته أمراً

مشكوكا به. أما الفصل الزمني والأحقاب المديدة المنسوبة لهذا السجل فهي أمر مفروغ من عدم دقتها (يمكن الرجوع إلى موضوع الجيولوجيا والتطور في الكتاب لتفصيل أكثر).

6 - ان التحول النسبي المحدود ضمن النوع الواحد سوف يقود مع مرور الأحقاب الزمنية الطويلة إلى إحداث تبدلات رئيسية كبيرة في هذه الكائنات مما ينجم عنه نشأة الأنواع الجديدة من الكائنات. هذا هو المبدأ الأساسي في فرضية التطور ونشوء الأنواع. فالتطوريون يفترضون وجود عاملين اثنين أساسيين لحدوث التطور. الأول وهو التبدل التدريجي البطيء في الكائنات. والثاني هو الأحقاب الزمانية السحيقة التي يحتاجها التطور كي يحدث. إذا كان زعم التبدل التدريجي صحيحا، فإنه ينبغي أن يحدث ظهور ونشوء كائنات جديدة انتقالية في صفاتها بين الأصل وبين النوع المتشكل، هذه الكائنات الانتقالية وبفعل الأحقاب السحيقة والتغير المحدود، يجب أن تولد اعدادا من الكائنات البينية غير منتهية، أو على الأقل كثيرة جدا من حيث التنوع في صفاتها. وينبغي لنا أن نعثر عليها ليس فقط في السجلات المستحاثية، وإنما حية في الطبيعة الآن، كما كان من قبل. لأنه لا يمكننا القول باختفائها بالرغم من بقاء الأصل والنوع الجديد المتشكل من الذراري حتى هذا الوقت. فإما أن تكون هذه الكائنات الانتقالية حية معا، وإما أن تختفي كل هذه الكائنات معا. وفي الواقع: فلا السجلات المستحاثية قد وافتنا بدلائل تشير إلى وجود هذه الكائنات الانتقالية في خلال الأحقاب التاريخية. كما أننا لم نلاحظ في هذه الأيام وجود هذه الكائنات حية بيننا. إذن فالشواهد والملاحظات العلمية تناقض وتنفي هذه الافتراضات. كما ان الدراسات العلمية التي قام بها العديد من الباحثين قد خالفت فرضية التطوريين في التحول النسبي بالقفزات إضافة إلى أن فرضية

التبدل التدريجي البطيء في الكائنات قد تم نقضها مرارا وأصبحت غير مقبولة من الناحية العلمية (يمكن الرجوع إلى الموضوع -8 - لتفصيل أكثر).

7 - ان الكائنات الحية قد نشأت من بعضها بعضا.

لقد أظهرت السجلات المستحاثية (الحقبة الكامبرية) انفصالا لا ريب فيه، في الأنواع والأجناس. فلو أن الكائنات الحية قد نشأت بعضها من بعض لكان علينا أن نرى الكائنات البينية (وهي الانتقالية) بأعداد لانهائية تعيش وتسرح بين هذه الكائنات النهائية. لكننا نرى سمكة وحصانا وطييرا وإنسانا ولا نرى أيا من هذه الكائنات المزعومة لا في الأحافير ولا في الحياة الان، فالواقع يخالف ما يزعمون. (يمكن الرجوع إلى الموضوع -8 - لتفصيل أكثر).

8 - لقد تطورت الكائنات الحية من الأشكال الأقل تعقيدا إلى الأشكال الأكثر تعقيدا.

مرة أخرى فليس هنالك أي دليل مادي يثبت مثل هذه المزاعم . والزمع بأن الخلية المستخدمة للخمائر لتوليد الطاقة قد نشأت قبل الخلايا الحقيقية هو زعم لا دليل عليه يثبته. بل إن الافتراض الأقرب للمنطق العلمي وللصحة هو أن أول ما يفترض أنه نشأ من الكائنات الحية في الأرض هو الخلية النباتية الحاوية على اليخضور والتي تمكنت من تثبيت وتركيب المركبات العضوية بواسطة التركيب الضوئي. فالمخلوق الوحيد القادر على تحويل المواد اللاعضوية إلى مواد عضوية يمكن الاستفادة منها هي الخلايا الحاملة لليخضور بخلاف غيرها من الكائنات الحية التي تفتقر إلى هذه المواد العضوية في حياتها، ولا يمكنها أن تصنعها بنفسها. فالمخلوقات النباتية هي التي أتاحت تأمين الغذاء للمخلوقات الأخرى والتي من الممكن أن تكون قد خلقت لاحقا. لقد أظهرت بعض الدراسات الجيولوجية المستحاثية تواجد أنواع من النباتات الخضراء قديما حتى في الحقبة ما قبل الكامبري، مما يتعارض وافتراضات التطوريين في ظهور النباتات الخضراء

لاحقا في أحقاب تالية. (يمكن الرجوع إلى الموضوع -4 - لتفصيل أكثر). إن البنية الجزيئية لجميع الكائنات الحية الصغيرة منها والكبيرة قد بينت أن هذه الكائنات ذات بنية معقدة منذ البداية بحيث أن هذا التعقيد يدعم الانفصال والاستقلالية في كل نوع من أنواع الكائنات الحية. وهذا لا يدع مجالاً لضرورة حدوث أي شكل من أشكال التطور المزعوم والاتصال بين الكائنات.

9 - اعتماد التطوريين على الأسس والقواعد الأقرب لمزاعمهم حتى وإن خالفها الحقائق العلمية المجردة:

لا يسعنا القول في فهم التطوريين للبيولوجيا إلا ما يلي: عندما تتعارض نتائج التجارب العلمية بشكل مطلق مع المزاعم التي لديهم فإنه من الأسهل لهم الاعتقاد بأن تلك النتائج الناجمة عن التجربة هي الخاطئة (مثلما هو الحال في زعمهم للشذوذات المستحاثية. انظر البحث -4 -) بدلا من الإيمان من أن هنالك شيء ما أساسي خاطئ في معاييرهم التي يستندون إليها.

أمثلة على أخطاء مزاعم التطوريين:

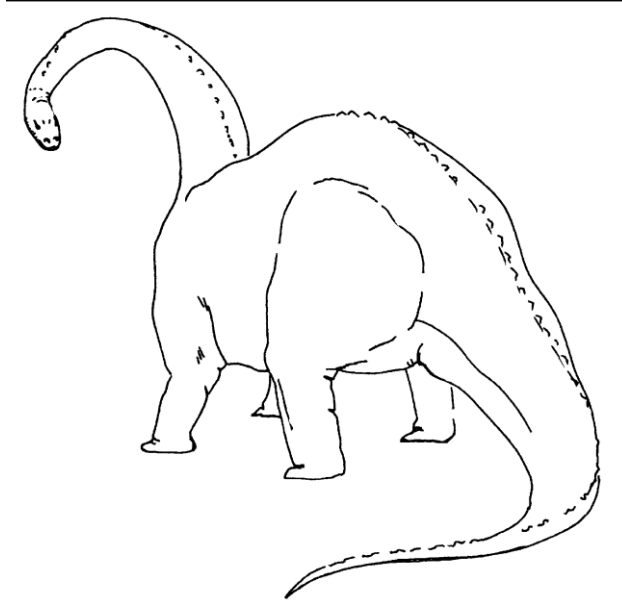
مثال (1): لقد كان من الأسهل على أنصار التطور الاعتقاد بأن المصهورات البركانية المتدفقة، لم تشر بدقة إلى التغيرات الطارئة على الحقل المغناطيسي للأرض، بدلا عن الاعتقاد بأن هنالك شيء ما رئيسي خاطئ في قياساتهم من خلال الأحكام والمعايير التي وضعوها و المتعارف عليها في هذه الأيام*2 .

مثال (2) لقد حاول علماء المستحاثات من التطوريين تحويل الكائن (Archaeopteryx) إلى ديناصور مكسو بالريش لا يمكنه الطيران. إلا أنه طير. مجرد طير. ولن يكون إلا كذلك بالرغم من كل تلك المغالطات*3.

مثال (3) إن صلة القرابة المفترضة لفصيلة الخيليات (مثل الحصان ، الحمار، حمار الوحش الخ...) هي عبارة عن غش وخداع. فهي لا تضى لنا بأية وجهة، الأصل المستحاثي للحصان *4.

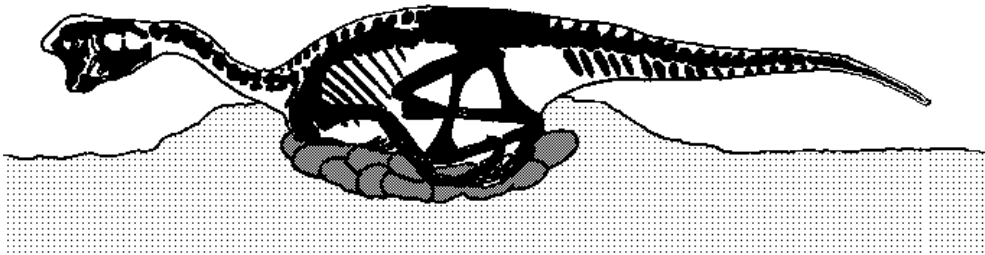
مثال (4) إن العينات المأخوذة لإعادة بناء الكائن (Australopithecus Anamenis) قد تم العثور عليها في (Allia Bay) في كينيا . إلا أنها كانت تنتشر في مسافات تتجاوز الكيلومتر الواحد. لقد تم تأريخ عمر هذا الكائن باستخدام علاقات الارتباط الإحصائية. وهذا يعني أن علماء المستحاثات من التطوريين قد قاموا ببناء العمود الجيولوجي بأكمله بالاستناد إلى مفاهيم الاحتمالات (الإحصائية ٩٩)، معتبرين بأن تلك الطبقات الموجودة في الصخور في تلك المواقع المختلفة كان بالإمكان تجميعها و بدقة مع بعضها. وهذا يتضمن، عينات مأخوذة من أماكن بعيدة جدا عن بعضها *5. إن وضع استنتاجات حول استقصاءات من هذا النوع تعتبر غير مأمونة وذلك لأن المساحة الجغرافية هي رقعة واسعة غالبا ما تتضمن وجود العديد من الأحافير المتنوعة ضمنها والتي قد تختلط بعضها بالبعض الآخر.

مثال (5): إن الديناصور المشهور (Brontosaurus) ما هو إلا أسطورة من اختراعات التطوريين من علماء المستحاثات. حيث أنه تم تلفيق رأس لأحد الديناصورات على هيكل عظمي لديناصور آخر وجد في مسافة تبعد 6 ستة كيلومترات عن موقع الرأس.



مثال (6): على مدخل الكهف (Carlsbad) كان هنالك بين الأعوام 1924 - 1988 لوحة للزوار تقول أن عمر الكهف لا يقل عن 260 مليون عاما. وفي عام 1988 تم تغيير اللوحة وأصبح عمر الكهف يتراوح بين 7 - 10 مليون عام ، وبعد فترة قصيرة غيرت اللوحة وأصبح العمر مليوني عام . والآن أزيلت اللوحة نهائيا من مكانها *6.

مثال (7) صورة ترسيمية توضح توضع الديناصور (Oviraptor) في عشه أثناء حضنه للبيوض: *7



إن ثقلا هائلا كهذا الذي يحمله الديناصور وهيكل عظميا للحوض بهذا الشكل سوف يتسبب في سحق البيوض لحظة حضنها .

مثال (8): نظرية إعادة اختصار التطور في الحياة الجنينية التي وضعها هيغل: قد تم التخلي عنها اليوم على اعتبار أنها احتيال *8.

تفيد تلك الفرضية أن الجنين البشري يمر في مراحل نموه عبر خطوات تشير إلى تطوره. إن هذا الاعتقاد المسمى بالاختصار الجنيني للتطور كان يستند إلى رسوم مزيفة هي من مقتنيات التطوري ايرنست هيغل. يدعي هيكل في نظريته هذه، أن الأجنة البشرية ، حينما تسبح، فهي تمثل أجدادنا ، عندما كانوا أسماكاً، لأن الجنين يحمل ذاكرة غير واعية فهو يتذكر تلك الأطوار.

فهل إذا كانت الأجنة البشرية تملك ما يشبه شكل الذيل (وهو ماسينمو لاحقاً ليشكل العمود الفقري) فهي تمثل في تحركها في الأوساط السائلة الأسماك؟ وما هو وجه التمثل بين تلك الأجنة وبين الأسماك؟ إن البنية النسيجية لجنين الإنسان هي بنية تختلف بالكلية عن البنية النسيجية للسمكة. فلا يوجد أي تقارب من أي نوع بين بنية وشكل وقوام السمكة وبين الجنين. فأين هي الزعانف والبنية المعقدة للأسماك ككائن حي متعدد الأعضاء والنسج والخلايا، من كائن منقسم خلويًا ينمو ليعطي مخلوقاً بشرياً. إن التشبيه فيه الكثير من المغالطة. إن طريقة هيغل في التشبيه، تتيح للمرء أن يبتدع من آليات التلاقي بين الكائنات في الصفات والأشكال والبنى ما لا يمكن إحصاؤه. لكن السؤال المهم هو أي من الادعاءات تلك هي ما يمثل الحقيقة العلمية!

مثال (9) إذا ما تم الاستناد إلى التقارب في البنية الأنزيمية بين الكائنات الحية كدليل على التطور. فإذا أخذنا الأنزيمات الدماغية كمثال ، يكون اقرب الكائنات الحية قرابة وصلة بالفيل هو الذبابة.

مثال (10) لقد لوحظ وجود بصمات لأقدام تماثل أقدام البشر الحاليين في صخور تقع بجوار بصمات أقدام الديناصور.

مثال (11) إن أحد اقدم المستحاثات المشابهة للبشر التي عثر عليها وهي (ار - دي) قد تم تقدير عمرها بحوالي 4.5 مليون عام. وهذا هو تقريبا نفس عمر الحيوانات المزعومة القردو - بشرية التي يزعم التطوريون أن الإنسان قد تطور عنها 2 ❖.

مثال (12) يدعي التطوريون أن القمر قد نشأ عن الأرض وانفصل عنها منذ ثلاثة بلايين عام. إلا أن القمر يبتعد عن الأرض سنويا بمقدار 4 سم. ومن خلال هذه النسبة، فإنه كان على القمر أن يلامس الأرض منذ حوالي 1.4 بليون عام.

مثال (13) يدعي التطوريون بوجود كائن انتقالي من الرئيسيات هو (Nebraska Man). تشير الحقائق العلمية أن هذا الكائن غير موجود على الإطلاق، حيث أن هذا الكائن القردو - بشري الذي تم تخيله ككائن قد تم اختلاقه فقط من سن واحد تم العثور عليه ويعود لخنزير بري.

مثال (14) إن إنسان نندرثال المشهور لم يعد يصنف من أسلاف الكائنات الانتقالية القردو - بشرية. لقد أعيد تصنيفه الآن على أنه بشر حقيقي. حتى أنه قد يتعذر عليك تمييز أحدهم إذا ما رأيته يرتدي زيا رسميا.

مثال (15) ان إنسان (Piltdown) لا وجود له:

من المفيد تناول قصة هذا الإنسان المزعوم بشيء من التفصيل وذلك لما فيها من تشويق ودلالة: اكتشف السيد شارل داوسن المحامي في عام 1908 قطعة عظمية من الجزء الخلفي للجمجمة. ولاحقا في عام 1911 عثر على الجزء الأمامي بما في ذلك الزاوية الخارجية للعظم الوجني الخاص بتجويف العين. ولاحقا واثرت التنقيب عثر على الجزء القذالي من الجمجمة إضافة إلى نصف الفك الأسفل. لقد لوحظ وجود تباين كبير بين عظم الفك والجمجمة مما

دفع بعض العلماء منذ البداية إلى إنكار وجود صلة بين عظم الفك وبقية الجمجمة. لقد بقي العلماء البريطانيون، ومنهم السير آرثر سميث وودوار والسير آرثر كيث، مصرين على أن الجمجمة كاملة وعظم الفك كانت لمخلوق واحد. قدر وودوار حجم الجمجمة بحوالي 1070 سم مكعب بينما كانت تقديرات كيث تشير إلى 1500 سم مكعب. وقد تسبب ذلك في إثارة الدهشة بين العلماء مما دفع كيث إلى خفض تقديره إلى 1400 سم مكعب وأعاد وودوار تقديره إلى 1300 سم مكعب. ومرة أخرى عدل كيث من تقديره حيث تبين له أن حجم الجمجمة كان مساويا لـ 1358 سم مكعب في هذه المرة. لاحقا تبين للعلماء أن هذا الكائن هو امرأة. وفي عام 1953 اكتشف العلماء أن بقايا بليتدون هذه كانت زائفة، حيث قام مكتشفها المحامي داوسون بتزييفها عمدا بهدف خدعة العلماء، حيث كانت هذه الجمجمة تعود لقرود، قام السيد داوسون بإدخال تعديلات عليها لتصبح مشابهة لشكل جمجمة الإنسان وانطلقت المكيدة على كثير من العلماء.

ان هذا الكائن المتخيل والانتقالي بين الرئيسات والإنسان، قد تم بناؤه من هيكل ملفق مصنوع من جمجمة وفك قرود من اقروود الاورنج اوتان 3 ❖ .
مثال (16) إن المنحدر الهائل لـ (Grand Canyon) لم يفسر بأنه معجزة ولا كارثة مفاجئة، وإنما فسره التطوريون أنه عبارة عن عمل المياه عبر ملايين السنين في الصخور. واليوم فان أعدادا كبيرة من العلماء الجيولوجيين يحبذون فرضية الكارثة المفاجئة *9.

مثال (17) إن التأريخ المستخدم لتقدير أعمار الأشياء باستخدام النظائر المشعة هي طريقة غير دقيقة بما يكفي لتدل على عمر الصخور. لقد تم إحصاء أعمار صخور بركانية بملايين السنين نجمت عن انفجار بركاني حصل في القرن الماضي أو منذ أعوام قليلة.

مثال (18) الأعضاء المتبقية الزائدة: (وهي بحسب (Wiedersheim) أكثر من 180 عضوا لدى الإنسان هي من مخلفات أسلافهم من الكائنات. ومن بينها الزائدة الدودية)*10.

اليوم : تم التخلي عن هذه الفرضية، باعتبار أن معظم هذه الأعضاء يقوم بعمل مهم في الجسم.

مثال (19) إن الأدوات التي استخدمت في العهد الحجري لا يمكن أن تمثل برهاناً على تطور الإنسان. لأن هذه الأدوات الحجرية قد لوحظ تواجدها تقريبا مع كل أنواع المستحاثات البشرية المكتشفة.

مثال (20) يؤمن كثير من الناس أن السجل المستحاثي يقدم الدليل الأفضل على التطور. إلا أن دراسة تمت من قبل عالم المورثات ذو الصيت الذائع عالميا البروفيسور (Richard Goldschmidt) في عام 1940 بينت غياب وجود أية أشكال انتقالية بين الأجناس العليا للكائنات الحية. إذن فبعد مرور مائة عام على تشارلز دارون لم يتم اكتشاف أية أشكال انتقالية. وسوف لن يكون هنالك أي منها لاحقا أيضا*11.

رأي العلماء في المغالطات الملاحظة في المزاعم التطورية:

- 1 - إن التأكيد بأن الحياة قد انبثقت وتطورت بشكل ذاتي في كوكب الأرض ، هذا مما لا شك فيه هو محض هراء.
- 2 - إنه لمن المستحيل أن تنشأ أية حياة من مادة (الحساء البدائي) المزعومة. (ارجع إلى الموضوع -6 - لتفصيل أكثر).
- 3 - إن احتمالية نشأة المركبات الكيميائية للمادة الحية بالصدفة المحضة، والخلط العشوائي للجزيئات العضوية البسيطة يعدل ببساطة الصفر. (يمكن العودة إلى الموضوع -6 - لتفصيل أكثر).

- 4 - التحول الطفري والاصطفاء الطبيعي لم يكن بمقدورهما أن يخلقا أول جزيء عضوي معقد لأن الاصطفاء يعمل على البديل الأصلح الذي لم يكن متوفرا في البداية. (ارجع إلى الموضوع -7 -).
- 5 - لا يزال الأمر جدليا فيما يتعلق بإمكانية تطور المعلومات المخزونة داخل الخلايا عن عناصر كيميائية بسيطة.
- 6 - إن كمية العناصر الوراثية في عضوية ما لا تتزايد بشكل طردي مع زيادة التعقيد في العضوية الحية.
- 7 - إن مقدار حدوث الطفرات هو نسبيا بطيء جدا بحيث لا يتيح مجالا للتطور الداروني لأن يحدث. (ارجع إلى الموضوع -8 -).
- 8 - إن سوء النسخ للمورثات عادة ما ينبغي أن يقود إلى (الاستمساخ) وهو الانحدار في مواصفات الانواع الحية وليس إلى التطور فيها. لقد رأينا ذلك وبشكل لا يخفى في نتائج رمي القنبلة الذرية على هيروشيما وناكازاكي حيث كانت النتائج مروعة على المستوى الوراثي. وكانت كافة المواليد التي أصابها تبدلات في مورثاتها قد جاءت مشوهة وناقصة.
- 9 - معظم العلماء (مع الأسف) يأخذون الدارونية والنظريات التي تدعمها على ظاهرها بحسن نوايا دون أن يتعمقوا في الفهم الحقيقي لهذه المزام.
- 10 - وبسبب هذا الفهم السطحي، فإن العلماء يعيرون الأساطير التطورية اهتماما أكثر من الحقائق العلمية.
- 11 - بعض الدارسين يقبلون بعض التعليقات الضعيفة التي تدعم التطور ليس من خلال مبدأ علمي، وإنما بسبب منطلق اعتقادي فلسفي أيديولوجي.

- 12 - بعض العلماء يبدون ترددا في الانسحاب من الدارونية والتطور، على الرغم من وجود الدلائل الجلية التي تدحضها ، وذلك لأن ذلك الانسحاب سوف يكلفهم ثمنا باهظا على أصعدة كثيرة.
- 13 - إن الشروح العلمية التي توضح كيف تعمل فرضيات التطور لا تستند إلا على النظريات.
- 14 - لقد تم قبول الدارونية والتطور بشكل تلقائي عندما أخفق لامارك في برهان نظرياته.
- 15 - يحاول التطوريون جاهدين تجنب حقيقة القانون الثاني للثيرموديناميك الذي يعتبر أن كل العناصر المركبة في الكون سوف تؤول إلى التفكك مع مرور الزمان، إذا لم يوجد عامل خارجي يؤثر عليها. (ارجع إلى الموضوع -5 -)

مراجع البحث باللغة العربية

- 1 - سلفادور لوريا، الحياة تجرية غير مكتملة. ترجمة محمد حسن إبراهيم. مطابع وزارة الثقافة. سوريا 1994.
- 2 - محطة الجزيرة 2009/10/3 م
- 3 - قيس القرطاس، نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيهها. مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى 1971.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية

- 1- Steven A. Austin, geologist "Ten Misconceptions About the Geologic Column", in Acts & Facts, Impact Series No. 137, November 1984.
- 2- R.T. Merrill, "Principle of Least Astonishment", *Nature*, Vol. 374, 1995 p:674
- 3- Alan Feduccia of the University of North Carolina , *Science*, Vol. 259, February 5, 1993 p:764
- 4- Charles Deperet, French paleontologist and evolutionist "Transformations of the Animal World", Arno Press: New York, 1980 p:105
- 5- After *Nature*. Vol. 376, 1995
- 6- Data from Arizona Highways, January 1993, P4-11.
- 7- after fig. 2, *Nature*, Vol. 378, p:775 1995.
- 8- Wayne Frair. Embryology and Evolution, Volume 36(2): 62-67 September 1999, CRS Quarterly.
- 9- Dr Winterton C. Curtis, Zoologist, University of Missouri.
- 10- Professor Horatio Hackett Newman, Zoologist, University of Chicago.
- 11- *American Scientist*, Vol. 40, 1952 p:97

12- هل التطور يمثل حقيقة أم أنه مجرد اعتقاد

1. إن استخدام القياس الإشعاعي لا يمكن أن يحدد بدقة أعمار الصخور:

- الصخور والحجارة المستحاثية لا يصح أن تحتوي على الكربون المشع (C-14).

- إن تحديد الأعمار باستخدام اليورانيوم المشع هو فقط أمر نظري حيث يستند إلى ثلاثة افتراضات.

- إن التأريخ بالقياس الشعاعي المنبعث من المواد المشعة الأخرى لا يمكن اعتباره مقبولاً ولا يمكن الاعتماد عليه أيضاً.

- إن التأريخ لأعمار الصخور عن طريق البراكين الحديثة هي طريقة خاطئة بالكلية. (عد للبحث -3 -).

- إن سماكة الغبار القمري لا تتوافق من حيث العمر مع ما حددته طرق التأريخ بالقياس الشعاعي في حساب أعمار الصخور القمرية.

- إن الانفجار الكوني الهائل هو من مزاعم التطوريين. (يمكن العودة للبحث -5).

إن الإنسان العادي والذي يحمل قدراً من المعرفة أصبح ينتابه الشك من جراء تلك التبريرات المتعكسة من حيث استخدام الصخور لتحديد أعمار المستحاثات، واستعمال المستحاثات لتحديد أعمار الصخور. إلا أن الجيولوجيين لم يعيروا الإجابة أي طرف اهتمام، معتقدين أنه لا قيمة لأن يتعب الإنسان نفسه بالإجابة طالما أن العمل يجني محصوله* 1.

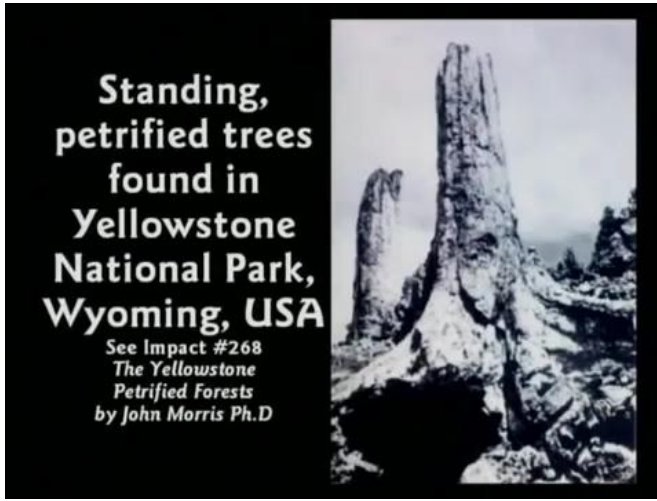
- بعض العلماء لا يقرون بنتائج المعطيات التي لا تطابق آراءهم المسبقة:

" إذا كان التأريخ للعمر الجيولوجي باستخدام C-14 يدعم نظرياتهم ، فإنهم

سوف يقدمونه في النص الأصلي. وأما إن كان لا يتناقض بشكل كامل مع تلك المعطيات ، فإنهم يضعونه في الملاحظات الهامشية. أما إذا كان سيتعارض بشكل كلي مع المعطيات التي يريدونها ؛ فإنه يجدر بهم أن يدعوه خارج الحاشية."* 2

2. الجيولوجيا لا تدعم مزاعم التطور:

- هنالك أشجار في المستحاثات شوهدت قائمة بشكل عمودي وبارتفاع يقارب ال 12 مترا في طبقات الصخور. إن بقاء الأشجار قائمة في المستحاثات يدل على أن ركاما آنيا تسبب في انطمارها عندما كانت لا تزال حية مما يدعم فرضية الكوارث الطبيعية كالطوفان وهذا يخالف في نفس الوقت فرضيات التراكم البطيء للرسوبيات التي وضعها أنصار التطور.



- يمكن للرواسب تحت الماء أن تقوم بتكوين ركامات ثخينة.
- إن أجزاء الركام المختلفة لها نفس العمر لا كما يدعي التطوريون.
- لقد تأكد بأنه خلال عدة ساعات تم تشكل رسابة في جبل سانت هيلين بارتفاع 200 متر.

- كما أنه تم خلال ساعات تشكل واد عميق في جبل سانت هيلين بعرض 60 متر وبعمق 30 متر.
- وعلى هذا لا تحتاج الصخور الرسوبية لملايين السنين كي يتم تشكلها.
- إن الخلع الجيولوجية تمثل تصدعات ناجمة عن الجفاف، وليس تراكمات جديدة.
- الرسوبيات تصبح فقط قاسية في أعماق تتجاوز 300 متر تحت سطح البحر.
- إن الطبقات الرسوبية لا يمكنها أن تقدم دلائل صحيحة عن عمر الصخور.
- الطبقات الرسوبية لا يمكن استخدامها لتحديد عمر الصخور أو المستحاثات. (يمكن العودة لموضوع 4 - لتفصيل أكثر).
- 2 - المستحاثات لا تثبت حدوث التطور*3:
- إن هنالك كثرة من العلماء المرموقين لا يؤمنون بمزاعم التطور ولا يقرون بها.
- لا وجود لأي برهان حقيقي على أن الحياة قد ابتدأت من خلية واحدة .
- يظهر من القرائن العلمية سواء من خلال المستحاثات أو من خلال القرائن المرئية بين الأحياء أن كل الأنواع من المخلوقات قد أتت للحياة بشكل فجائي وبدون أي أسلاف.
- لا وجود لأي مستحاثات تشهد على وجود كائنات انتقالية.

There are no “missing Links”! The whole chain is missing!

“The absence of fossil evidence for intermediary stages...has been a persistent and nagging problem for... evolution.”

Dr. Stephen J. Gould, *Evolution Now* p. 140 Marxist Professor at Harvard University in Boston

- أحصي خمسمائة نوع مختلف من المستحاثات التي تم تقدير أعمارها من قبل التطوريين بين 15 - 50 مليون سنة، وتبين وجود كائنات مطابقة لها تعيش في هذه الايام. فهذه المخلوقات لم تبد أي علامة من علامات التغييرات التطورية التي من الممكن أن تكون ذات أي دلالة على الرغم من الحقبة الزمنية الطويلة نسبيا التي عاشتها تلك المخلوقات. لا يمكن للتطور إن كان فعلا حقيقة أن يكون انتقائيا في عمله *4.

- من غير المقبول قبول تطور الإنسان الحالي عن الكائن (Australopithecus) أو غيره من الكائنات الافتراضية المستحاثية.

- إن مقارنة العظام المتشابهة لدى الحيوانات ذات الأجناس المختلفة لم تعد مقبولة كبرهان على التطور. فالعظام المتشابهة من حيث الشكل لم تنشأ من نفس المورثات. وبناء على ذلك، لا يمكن أن تكون هذه العظام قد انتقلت بين

الحيوانات من الأسلاف الحيوانية نفسها. إن المورثات المتطابقة تعطي صفات شكلية مختلفة بين الأجناس المختلفة كما أن الصفات الشكلية المتشابهة أو المتطابقة عادة ما تنجم عن مورثات مختلفة بين الأجناس.

- بما أنه لا يوجد لدينا أي دليل ولو كان يسيرا سواء بين الكائنات الحية أو في المستحاثات الخاصة بالحيوانات عن أي تدرج انتقالي بين الأصول الرئيسية، فمن العدل الافتراض بأنه لم يحدث أن تواجد أي من هذه الأشكال الانتقالية*5.

3. إن الحياة تأتي فقط من الحي، وليس من العدم:

_ إن التوالد العفوي قد تم نقضه بالطرق العلمية على الرغم من بعض الاعتراضات.

- لقد برهنت نتائج رحلتي سفينتي الفضاء فايكنغ 1، 2 على عدم وجود حياة في المريخ.
- لا يوجد أي دليل مؤكد يثبت بأن الحياة قد نجمت عن التطور.

4. البيولوجيا الجزيئية لا تثبت مزاعم التطور:

- الطفرة والاصطفاء الطبيعي لم يثبت أنهما لهما وجود حقيقي أو أنهما كانا سببا في حدوث التطور.
- إن العضويات الحية الحالية تؤكد أنها قد جاءت من مخلوقات قبلها مطابقة لها.
- إن العضويات الحية كانت دائما ذات صفة معقدة.
- وحتى وحيدات الخلية هي مخلوقات ذات تركيب معقدة (مثل الباكيريا).

- إن التطور المزعوم على الصعيد الكيميائي الحيوي، في واقع الأمر لم يحصل. فجميع الفرضيات والتجارب التي أجريت بما في ذلك تجربة ميللر قد أكدت استحالة بداية أي شكل من أشكال الحياة بدءاً من الحساء الحيوي المزعوم.

- لا يوجد أي دليل على أن الإنسان قد تطور عن حيوانات بدائية.

- لقد قام باحثون من جامعة مانشستر باستقصاء ألوان أكثر من 1800 فراشة من فراشات العت (*Biston betularia*). ووجدوا أن المناطق التي كانت مأهولة بفراشات العت السوداء تتقلص بصورة منتظمة، على حين أن الفراشات ذات اللون الفاتح قد أصبحت هي الأكثر غلبة. فمنذ أن بدأ تطبيق قوانين (تنقية الهواء) أصبحت الظروف البيئية أكثر نظافة. يعتقد أن ذلك كان له أثره على تلك التغيرات. إن هذه المعطيات تؤكد وخلافاً للمزاعم التطورية أن فراشات العت ليست مثالا على أداء التطور في الميدان. إن مورثات العرق الأسود كانت دائماً موجودة في جمهرة الفراشات، ولم تحدث على شكل طفرة كنتيجة لتكاثف الكربون على الأشجار. فلا شيء إذن تطور، وإنما ما حصل، هو تغير في عدد فراشات العت ذات الألوان المختلفة. بينما بقيت أجناس فراشة العت كما هي (*Biston (betularia)* منذ البدء وحتى النهاية. إنما الدلالة الحقيقية لهذه الظاهرة تكمن في تفسير أثر الجمهرة الوراثية في ظهور الصفات الشكلية* 6.

- تقول الفرضيات التطورية أن الأفاعي هي أقرب في نسبها إلى التماسيح منها إلى الطيور. لقد قامت دراسات في عام 1982 على خضاب الدم ألفا في هذه الحيوانات. أثبتت هذه الدراسات أنه إذا ما تم مقارنة الأنساب من خلال خضاب الدم ألفا، فإن الزواحف أقرب نسباً إلى الدجاج منها إلى بعضها البعض* 7. وهذا يؤكد على أن الاستدلال على القرابة بين الأجناس المختلفة بواسطة تشابه المورثات هو استدلال غير دقيق.

- يقول H. J. Muller " إنه يبدو تماما أن تجارب كثيرة قد اتفقت، أن الغالبية العظمى من الطفرات ذات الطبيعة العفوية كانت ذات صفة ضارة للعضوية الحية وتؤثر على بقائها وتكاثرها. أما الطفرات الجيدة فهي نادرة بما يكفي للقول، أن كل الطفرات هي طفرات سيئة." *8 وهذا يؤكد من جديد أن تعبير الطفرة في حد ذاته هو مصطلح من بنات أفكار أنصار التطور ولا تدعمه الحقائق العلمية.

- ويقول Arthur Koestler " في الوقت الحالي فإن المتعلمين من عامة الناس لا يزالون يؤمنون بأن دارون قد قدم كل الإجابات المنطقية من خلال تركيبته السحرية الخاصة بالطفرات العشوائية، إضافة إلى الاصطفاء الطبيعي، وهم غير مدركين الحقيقة بأن الطفرات العشوائية قد ثبت أنها غير مقبولة و غير ذات صلة بالتطور." *9

5. علم الوراثة لا يؤيد التطور:

- إن المزاعم التطورية لا تدعمها الحقائق العلمية.
- إن الاعتقاد بمفهوم الطفرة ومفهوم الاصطفاء الطبيعي هو الذي تسبب في توجيه تصور العلماء لمفهوم التطور. والمصطلحان كلاهما مصطلحان مخادعان. فالطفرة هي مصطلح طارئ بمفهوم التحول الإيجابي يقابله في الحقيقة التشوه أو الأذية المرضية على مستوى المورثة. أما الاصطفاء الطبيعي فهو مصطلح خاطئ افترضه دارون نتيجة استنتاج خاطئ عند ظهور الصفات المتنحية أثناء تهجينه للحيوانات والطيور حيث استنتج أن تلك الصفات الظاهرة لم تكن أصلا موجودة وإنما نشأت لاحقا ولذلك جاء بفرضية الاصطفاء الطبيعي. أما ما يقابلها وكحقيقة علمية فهو يمثل تعدد النسيلا المتواجدة أصلا في الجمهرة الوراثية بين أفراد النوع الواحد.

- لم يلاحظ أي تشكل طفري له فائدة (الطفرة الجيدة الإيجابية).
- إن التنوع الذي يحصل داخل الأنواع يحدث من خلال الامتزاج في المورثات الحاصل أثناء التكاثر.
- تحدث التغيرات الشكلية من خلال اختيار المورثات، وليس بواسطة تشكل مورثات جديدة.
- يمكن البرهنة على حدوث التطور فقط وفقط إذا برهن على تشكل مورثات جديدة.
- إن المعلومات الوراثية في مستوى ال DNA تحتاج وتتطلب قدرة منظمة واعية، وليس محض الصدفة. هذا ما أكده أخصائيو الحاسوب والتكنولوجيا الرقمية. فالمعلومات البرمجية تستوجب وجود قدرة فكرية وليس عشواء.
- إن البيولوجيا الجزيئية تبين لنا أن جزيء ال (DNA) يجب ان يكون موجودا منذ البداية وهذا يستوجب حدوث التعقيد في الأصل.
- إن نمو أنواع من الحشرات المقاومة للمبيدات الحشرية عادة ما يستخدم كبرهان على فعل التطور الميداني. لكن هذه الظاهرة هي في الواقع، مثال على عملية المسح الميداني، التي تدل على أن القدرة لدى الحشرات على توليد المقاومة هي بالأصل موجودة في الشيفرة الوراثية لهذه الحشرات. لكن لم تظهر المقاومة إلا عندما تم استخدام هذه المواد الكيميائية. مما تسبب في قتل تلك التي لا تحمل المقاومة في مورثاتها. من جديد فالكلام هنا يتعلق بالجمهرة الوراثية. إن هذه الأمثلة لا تمثل دليلا على التطور، أكثر مما يمثلها تهجين طيور الببغاء للحصول على أنواع جديدة ذات ألوان زاهية *10.

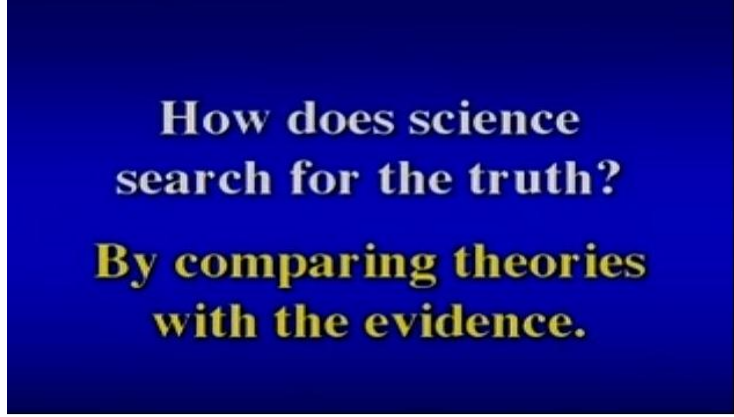
6. الكروموزوم يدحض التطور:

وفقا لمزاعم التطوريين فقد حدث التطور من الكائنات الأدنى إلى الأعلى، وإن المورثات تزداد في تعقيدها من الابسط إلى الأعقد. وعليه فقد جاء السرطان البحري مبكرا يحمل (100) كروموزوم، وبعده جاءت العضاءة تحمل (46) كروموزوم، ثم الطيور حاملة (12) كروموزوم ثم الجرذان حاملة (42) كروموزوم ثم الاغنام (54) كروموزوم وبعدها الكلاب (78) كروموزوم ثم القرود (48) كروموزوم ثم جاء الإنسان حاملا (46) كروموزوم. يقول التطوريون أن العضويات الأكثر ارتقاء ينبغي أن تحمل كروموزومات أكثر لأنها قد تطورت بشكل أكثر تعقيدا فهل يظهر هذا التفسير واضحا هنا ؟؟؟

النتائج النهائية:

- ان التطور هو فلسفة وليس علم. لقد بينت الدراسات الاستقصائية عند علماء الطبيعة أنهم يقومون بتفسير نتائجهم التي توصلوا إليها بحسب قناعاتهم التطورية المأدلجة وليس تبعا لمنهج علمي جاد.
- إن عامة الناس غير المتبصرين..... يعتبرون العلماء شكلا من أشكال القديسين العظماء في مجتمعاتهم قد بلغوا حد الكمال في مصداقيتهم و ليس لديهم أية اعتقادات فلسفية يصرون عليها. و بالتالي فإنه من السهل أن يتم تلقين العامة افتراءات فلسفية من خلال ما يقدم لهم و يعتقدون أنه العلم* 11.
- ومن خلال دراسات العلماء: " إن الأسطورة التي تقول أن العلم هو مشروع حيادي مجرد يقوم بتعليمه رجال غير متحيزين هو منطق يخالف الحقيقة* 12.

- ان الإجراءات المستخدمة في الكمبيوتر يتم ترتيبها بحيث تثبت دائما الآراء التطورية. يعود ذلك إلى أن المعايير التي تستخدم في تلك البرامج داخل الكمبيوتر هي معايير تطويرية. وبكلمات أخرى ، فإن البرنامج المكتوب هو برنامج قد تم إدراج البيانات التطورية بداخله، ومن ثم تم استخدامه للبرهان على التطور. فنحن إذن ندور في حلقة مفرغة *13.
- إن الصورة التي تظهر رجل العلم بشكل رجل حيادي لا يتعاطف مع غاية معينة هي صورة نمطية يراها إما إنسان ساذج أو طالب شاب لا يزال في بدايات دراسته للعلوم *14.
- إن ما تستنتجه مفاهيم الاصطفاء الطبيعي هو : " ان الأشخاص الاصلح للبقاء بين أفراد المجتمع (والذين قد تم تعريفهم بأنهم أولئك الذين يذرون أكبر عدد من الذرية) هم الذين سيذرون أكبر عدد من الذراري *15. لكن هذا في الواقع هو اصطفاء في أفراد الجمهرة الوراثية وليس تطورا على الإطلاق.
- التطور بما يحويه من أفكار وافتراسات لا يمكن حتى أن يكون فرضية مقبولة.
- إذا ما أهملت مزاعم التطوريين، وأخذت الحقائق العلمية بعين الاعتبار، فإن عمر الحياة على الأرض يمكن تقديرها بآلاف السنين وليس اكثر.
- إن التطور ما هو إلا حكاية طريفة تناسب المراهقين.



- لقد ارتكب بعض العلماء بشكل غير متعمد وفي أحيان أخرى، بشكل متعمد أخطاءً وتجاوزات في حق العلم رصدها علماء آخرون فعلقوا عليها. نقدم فيما يلي تعليقات لعلماء على تلك التجاوزات أو الآراء المنحرفة باسم العلم:
- ان فلسفة بعض العلماء التي تكسب مشروعهم النظري ألوانه الزاهية هي " الحكم المسبق، نفاذ البصيرة، التصور المسبق. وهي تمثل فيما تمثله لهم، جزءاً من العلم، وبشكل ما، يمكن أن نشبهها بما يحصل من أخطاء عند الآخرين في أشكال الحياة الأخرى. فالرداء المخبري الأبيض سوف لن يهب صاحبه الطاقات الخارقة التي تخوله أن يكون موضوعياً *16.
 - بعض العلماء يقومون بتفسير المعطيات التي بيدهم وفقاً لفلسفتهم الخاصة، وليس من خلال مجموعة من القواعد والأسس العلمية: " يمكن للناس أن يحرفوا المعطيات التي بحوزتهم حتى تحقق هذه المعطيات ما يريدونه، وإنهم ليذهبون في أهوائهم الشخصية حتى تحقيق الهدف، وذلك في محاولاتهم للبرهان على نظرياتهم" *17.

- بعض العلماء يكررون تجاربهم حتى يحصلوا على النتائج التي يرغبون بها: " فإذا ما تم العثور على قطعة من عظم الفخذ واعتقد بأنها تعود إلى الكائن Australopithecine. فإن عددا لا يحصى من تجارب تحديد العمر المستحاثي باستخدام (البوتاسيوم - أرغون)، ينبغي أن يتم إجراؤها، حتى نصل إلى نتائج مقارنة لعمر المليون سنة التي يفترض أن تتوافق فيها نتائج تلك التجارب مع تلك القيمة *18.

- يستمر بعض العلماء في قناعاتهم لمدة طويلة بعد أن يكون قد ثبت زيف هذه القناعات (الأفكار المعلقة): " كل ما كان يشغل هيغل، هو أنه رفض الاعتراف بان كائن (Monera) الخيالي هو كائن لا وجود له. وقد ذهب إلى قبره وهو لا يزال مقتنعا بأن الكائن Bathybius موجود في قاع البحر ينتظر من يكتشفه *19.

- فريق من العلماء يتآمرون للسيطرة على حقل العلوم - مثال (نادي X): " وهو ناد تأسس من قبل T.H-Huxley عام 1864 وكان يتكون من تسعة رجال يعتبرون الأفضل في اختصاصاتهم المهنية، لهم وجهات نظر خاصة في رؤاهم ولهم تأثير شخصي تقريبا، على كل عالم مشهور في العالم، ومن خلال هذا المفهوم فإن الحقل العلمي البريطاني كان بموضوعية، " مسيطر عليه " من عام 1864 ولغاية 1884 *20.

- بعض العلماء لا يرتابون من التصريحات التي يقدمها العلماء الآخرون في الاختصاصات العلمية الأخرى:

مثال (1) " إن كل اختصاصي من الممكن له أن يتحرى مصداقية الدلائل المتعلقة بإثبات التطور في مجال اختصاصه الذاتي. إلا أنه يبقى متأكدا بصورة إجمالية من صحة فرضية التطور، مفترضا أن البقية من العلماء الآخرين في

اختصاصاتهم المختلفة، يملكون كل الدلائل القطعية الدالة على صحة فرضياتهم".

مثال (2) إن مفهوم التصحيح الذاتي في العلم يتضمن اتخاذ تدابير شخصية من قبل العلماء، وذلك من خلال مساءلة العالم للعالم الآخر. لكن ما يحصل في الواقع، أن بعض العلماء قد أبدوا إيماناً وثقة لا يصدقان بعمل زملائهم من العلماء الآخرين. فهم يميلون إلى قبول أعمالهم بمنتهى الثقة دون الحاجة لأية استقصاءات للنتائج التي يقدمها زملائهم على وجه الإطلاق* 21.

- بعض العلماء يرفضون العمل العلمي الذي يختلف بشكل جذري مع ما قاموا به هم أنفسهم:

مثال (1) "إن العلم اليوم منغلق حول قوالب..... وإن كل طريق تسلكه فيه تجده مغلقاً بقناعات خاطئة. وإذا ما حاولت نشر أي شيء في مجلة في هذه الأيام، قد يتعارض مع القوالب المعدة مسبقاً، فإن المحرر في الصحيفة سوف يعيده إليك معللاً ذلك، بسبب عدم صلاحيته للنشر."* 22

مثال (2) إن الجيولوجيين وعلماء الفضاء من أنصار التطور قد اعترضوا بشكل عنيف على كتاب (Velikovsky) بحيث أنهم هددوا بمقاطعة الكتب المرجعية التي تنشرها الشركة التي كانت بصدد نشر الكتاب وهي شركة (Macmillan). مما دفع المؤسسة لتقديم عمل (Velikovsky) إلى ناشر آخر لا علاقة له بنشر الكتب المرجعية، وهو الناشر (Doubleday). *23

هل ينبغي تدريس الدارونية والتطور في الحقل التعليمي أم لا :

يلخص لنا الدكتور Loren Eiseley وهو عالم بالأنثروبولوجي إخفاقات النظريات التطورية والدارونية فيكتب: "مع تلك الاخفاقات المتكررة وبالرغم من الجهود الكبيرة المبذولة، فإن العلم قد أصبح بشكل ما في وضعية

محرجة. حيث أنه قام بافتراض نظريات معينة في نشوء الأحياء لا يمكن تقديم البراهين عليها. فبعد أن قام العلم بتجريح علماء الدين، بسبب تبنيهم للخوارق والأساطير. وجد العلم نفسه في موضع لا يمكن أن يحسد عليه. حيث كان عليه أن يخلق هو نفسه أسطورة لنفسه، وهي بالاسم، فرضية قد أخفت كل تلك الجهود المبذولة في هذه الأيام في البرهان على حدوثها، ويراد لها أن تكون شاهداً على ما حدث في الأيام الغابرة." *24

لقد تم في هذا الكتاب وبشكل موجز، عرض لمختلف الفرضيات والآراء والنظريات والمعتقدات التي جاء بها التطوريون الأوائل، أو من تبنى وجهة نظرهم في هذه الايام، كما تم الاستناد إلى دراسات علمية، وتضمن الكتاب ملخصات عنها، قام بها علماء اختصاصيون، ناقشوا فيها وجهات النظر التطورية، كل من خلال اختصاصه، وبينوا الأخطاء التي وجدوها في وجهات النظر التطورية تلك. كما تضمن الكتاب بحثاً علمياً قام به مؤلف هذا الكتاب بين فيه بعضاً من المآخذ على الافتراضات التطورية، واستناد التطوريين في مناهجهم، إلى قوانين رياضية وإحصائية في غير موقعها. تضمن الكتاب أيضاً كتابات ووجهات نظر لعلماء تطوريين كبار، تبين لهم أن التطور هو فرضيات خاطئة، ووضحوا مواقع الزلات التي رأوها في هذه الفرضيات. كما احتوى الكتاب على آراء لعلماء آخرين ممن أنكروا التطور وحددوا مواقع الخلل في فرضياته المختلفة. لقد حاول الكتاب أن يكون كتاباً شاملاً يفتد الآراء التطورية من معظم الزوايا التي وضعها التطوريون. وقد لجأ أحياناً إلى الاستعانة لتوضيح الأفكار التطورية، بكتابات للتطوريين أنفسهم، تبعها التعليق عليها. مما يجعل هذا الإنجاز محاولة عصرية لتقديم التطور وانتقاده بروح يرجى لها أن تكون بقدر الممكن علمية.

لقد بينت الحقائق العلمية التي جاءت في الكتاب ومن خلال البراهين النقلية والتجريبية أن الفرضيات التي أتى بها علماء التطور، حول نشأة الكون

وتطوره هي فرضيات مشكوك بها، لاتدعمها البراهين العلمية بل تنفيها التجارب والملاحظات العلمية الصحيحة. إن تقديرات الفرضيات التطورية التي افترضت عمر الكون بعشرة بلايين من السنين وعمر المجموعة الشمسية بخمسة بلايين عام والقمر بثلاثة بلايين عام هي تقديرات غير صائبة، حيث بينت الدلائل أن استخدام النظائر المشعة في قياس أعمار المستحاثات هي بكل المعايير، لا يمكن الاعتماد عليها أو الوثوق بها لا في تحديد أعمار الكائنات المستحاثية ولا عمر الأرض أو عمر الكون أو عمر الصخور والرسوبيات. لذلك فإن كل ما جاء به التطوريون من أعمار زعموها يجب أن توضع في موضع الشك وألا يتم البناء عليها أو الاستناد إليها في تأكيد التطور. لقد بينت بعض الدراسات الحديثة وبالاستناد إلى وسائل العصر العلمية، أن مجرتنا ومجموعتنا الشمسية، قد نشأتا حديثا. وأنهما في دراسات كثيرة لا يتجاوزا في عمرهما مئات الآلاف من السنين. أما فيما يتعلق بنشوء الحياة على الأرض، فإن فرضيات التطور التي تحدثت عن أحقاب سحيقة لنشأة الحياة، وأن أول ما نشأ هو المواد العضوية (الحساء الحياتي) بواسطة التفريغ الهوائي بالأشعة الكونية، فهي محض مزاعم. أثبتت الدراسات العلمية التي احتواها الكتاب، عدم إمكانية تولد أية مادة عضوية ويقائها معدة للاستفادة منها لاحقا، وفقا لتجربة ميلر الشهيرة. ولقد بينت الدراسات العلمية، أن الكائنات المخمرة لم تكن بالضرورة أول الكائنات الحية التي ظهرت على سطح الأرض. بل وضحت كثير من الدراسات الجيولوجية تواجد الخلايا والكائنات النباتية ذات اليخضور في المراحل الأولى لتشكل الحياة. أما تنوع الكائنات الحية، فقد تحدث التطوريون في أدبياتهم، أن الحياة قد تطورت من بعضها، وأن الكائنات الأقل تعقيدا هي التي ظهرت في البداية، ثم تبعها الكائنات الأكثر تعقيدا، بفعل عمل الطفرات عبر الأزمنة الطويلة، ومن خلال آلية الاصطفاء الطبيعي والبقاء للأفضل. وقد قدم الكتاب أبحاثا ودراسات متنوعة

أكدت ان هذه الفرضيات التي جاء بها التطوريون و المزايم التي نجمت عنها، كانت غير صائبة، وقد تم تفنيدها وإنكارها من قبل علماء محسوبين على التطوريين قبل العلماء الذين ناهضوا أفكار التطور منذ البداية. ثم جاء الإنسان وفق المزايم التطورية بعد أن تطور عن أسلافه من القرود والرئيسيات . وبينت الدراسات المتنوعة أن الفرضيات المتعلقة بأصل الإنسان، كانت كلها موضع ارتباك، لا يمكن الاستناد إليها في بناء أية فكرة عن أصل الإنسان.

ومن خلال طرق الأبحاث العلمية المختلفة تبين أن الاستعانة بالمستحاثات لم يمكن من إثبات حدوث التطور. كما أن الدراسات والعلوم الجيولوجية التي تم إجراؤها خلال المئتي سنة الأخيرة لم تدعم مزايم التطور. أما البيولوجيا الجزيئية والتي حاول التطوريون في هذه الأيام الاستناد إليها واستقراءها عليها تقدم لهم دليلا يفيدهم في مازعموه، فهي أيضا لم تثبت مزايم التطور بل جاءت الدراسات العلمية من هذه الجهة مناقضة لمزايمهم. و فيما يتعلق بعلم الوراثة فالدراسات العلمية في هذا المجال، لم تؤكد فقط على أن هذا العلم لا يؤيد التطور، بل أكدت على توجب وجود قدرة خلاقة منظمة واعية اصطفائية اختزالية هي التي أوجدت هذه المورثات وهي التي حققت هذا التنوع الكوني في المخلوقات.

فالتطور كنظرية قد أخفقت إخفاقا واضحا في كثير من الجوانب المختلفة التي قدمتها. وقد جاءت الحقائق العلمية مناقضة في كثير من الأحيان بل وداحضة لها. وعلى هذا الأساس وبالعودة إلى ما جاء في مقدمة هذا الكتاب، حول كيفية تصنيف الآراء والأفكار . فمن الإنصاف القول بأنه لا يمكن للتطور كنظرية بعد ما جاءت الحقائق العلمية بنقضها، أن تمثل نظرية علمية ولا حتى فرضية. بل لا يمكن تصنيفها إلا في إطار المزايم.

من خلال كل ما ورد ذكره يتبادر السؤال المهم هل ينبغي تدريس الدارونية والتطور في الحقل التعليمي أم لا:

أما أن تدرس الدارونية والتطور على أنها حقائق علمية أو حتى نظريات أو فرضيات، فإن في ذلك تزييف للحقائق، وخذاع للرأي العام، وإجحاف بحق العلم ومصداقيته، وظلم للأجيال المتعلمة، لا يفترض أن من الإنصاف قبوله أو تحمل مسؤولية تطبيقه، بعد أن استبان كل الحقائق وبشكل علمي واضح. وأما أن يتم الإشارة إليها من باب الأخطاء العلمية وكيف أنه، من الممكن حتى للعلم أحيانا أن يقع في زلات أو تحت تأثير أحكام مسبقة خاطئة، وكيف يمكن تجنب هذه الأخطاء في المستقبل، فإن هذا أمر يبدو مقبولا، على أن يترك للمجتمع العلمي وللرأي العام، أن يقررا إمكانية الإشارة أو الرجوع إلى تلك المزاعم عند الرغبة في ذلك.

البدائل الحقيقية التي ينكرها التطوريون والتي أثبتت الدراسات العلمية

ونائج البحث العلمي صحتها: *25

- 1 - التصميم الذكي هو حقيقة وليس مجرد مزاعم.
- 2 - إن الأشكال المختلفة من الأحياء قد نشأت بشكل منفصل ومستقل.
- 3 - إن القوانين الفيزيائية التي لا تصح الحياة إلا بها قد وجدت بشكل مقصود ومتعمد.
- 4 - إن القوانين الفيزيائية الكونية قد تم إيجادها بشكل مقصود من قبل صانع حكيم.
- 5 - لا بد من وجود صانع حكيم أكثر حكمة وتقديرا من قدرة البشر.
- 6 - إن الحياة قد جاءت من قبل خالق خلقها

مراجع البحث باللغة الإنكليزية:

- J.E. O'Rourke, *American Journal of Science*, Vol. 276, -1
January 1976 p:47
- 2- [Professor Brew] quoted by T. Save-Soderbergh
(Egyptologist) & Ingrid Olsson (Physicist) in
"C-14 Dating and Egyptian Chronology" in Proceedings of
the Twelfth Nobel Symposium, John Wiley & Sons: New
York, 1970 p:35
- 3- Tom Kemp Evolutionist (Curator of the University
Museum, Oxford University) "A Fresh Look at the Fossil
Record", in *New Scientist*, Vol. 108, No. 1485, December
1985 p:66.
- 4- Creation Ex Nihilo, Vol. 15, No. 2, 1993 p:14-19.
- 5- Dr Austin Clark, biologist of the Smithsonian Institute as
editor of the book "The New Evolution: Zoogenesis",
Williams & Wilkins: Baltimore, 1930 p:189.
- 6- Science, Vol. 86, April, 1986 p:9
- 7- Dr Colin Patterson in Lecture #5, at the American
Museum of Natural History, New York, 1982
- 8- H. J. Muller, Radiation and mutation expert "How
Radiation Changes the Genetic Constitution", Bulletin of the
Atomic Scientists, Vol. 11, No. 9, November 1955 p:331

- 9- Arthur Koestler , "Janus: A Summing Up", Vintage Books:
New York, 1978 p:185.
- 10- Journal of the American Medical Association, Vol. 200,
No. 11, June 12, 1967 p:42
- 11- Martin Lubenow, "Bones of Contention", Baker Book
House Co: Michigan, 1992 p:18.
- 12- American Sociological Review, Vol. 39, 1974.
- 13- Laurence D. Smart, BscAgr, Dip Ed, Grad Dip Ed.
Unmasking Evolution Sept-2000.
- 14- American Sociological Review, Vol. 39, 1974
- 15- Ian T. Taylor, "In the Minds of Men" (3rd edition), TFE
Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:80
- 16- [David Kavanagh, Faculty of Psychology, University of
Sydney] R. Simms, "Subjectivity Entrenched in Science",
Lab News, April 1995 p:10.
- 17- David Kavanagh (Faculty of Psychology, Sydney
University) quoted by R. Simms, "Subjectivity Entrenched
in Science", *Lab News*, April 1995 p:10
- 18- Ian T. Taylor, "In the Minds of Men" (3rd edition), TFE
Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:252

- 19- Ian T. Taylor, "In the Minds of Men" (3rd edition), TFE Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:190
- 20- Ian T. Taylor, "In the Minds of Men" (3rd edition), TFE Publishing: Toronto (Canada), 1991 p:189
- 21- M. L. Lubenow, "Bones of Contention", Michigan: Baker Book House Co., 1992 p:35
- 22- [Quote: Sir Fred Hoyle] J. Horgan, "The Return of the Maverick", *Scientific American*, 272(3), 1995 p:25
- 23- Richard Milton, "The Facts of Life: Shattering the Myths of Darwinism", Corgi Books: London, 1992 (1994 edition) p:107
- 24- Dr Loren Eiseley (Anthropologist) in the book "The Immense Journey", Random House: New York, 1957 p:199
- 25- F. Hoyle & C. Wickramasinghe (1981), "Evolution From Space", J.M. Dent & Sons: London

-13- في الختام:

من خلال كل ما سبق، فإن الدارونية والتطور لا يمكن تصنيفهما إلا في إطار المزايم: فدارون، كغيره من البشر، لا يمكن تنزيهه عن الوقوع بالخطأ. كان في حياته يهوى الغناء والشراب والمرح ولعب الورق، وكان يؤثر أن يمضي وقته في الريف. دخل كلية الطب في جامعة ادنبرغ لكنه لم يكمل دراسته، وانسحب من الجامعة. وقد أقر هو بنفسه ببعض أخطائه حين صرخ يوماً في نهاية حياته " يا لهذا الكتاب الذي خطته يد شيطان، كم هو مليء بالأراضي الجرداء المنخفضة الكئيبة. 1. ❖"

وفي كتابه (محاكمة دارون) وضع القاضي فيليب جونسون أن الدارونية في أساسها ليست سوى " فلسفة طبيعانية تطبيقية" * 1.

ودارون، قد تبين له من خلال تجاربه الطويلة في قوالب التطور التي افترضها، أن الوقائع تخالف افتراضاته حيث ادعى في البداية وجود الحلقات المفقودة، لكن اتضح له في النهاية، أن تلك الحلقات المفقودة كانت من الدلالة ومن الضخامة بحيث لا يمكن لعقل أن يعتبرها حلقات مفقودة، وإنما هي سلاسل تبدأ في نوع ما من الكائنات ولا تنتهي إلا في النوع الآخر. فهو لم يستطع أن يعثر من بين الأحياء، على كائن حي واحد يمكن أن يخلق له تلك الحلقات. ثم عكف وأنصار التطور على المستحاثات يستنطقها عليه يجد ضالته فيها. لكن المستحاثات خيبت أمله أيضاً، ومع هذا بقي مصرًا على فرضيته.

“In the years after Darwin, his advocates hoped to find predictable progressions. In general, these have not been found—yet the optimism has died hard, and some pure fantasy has crept into textbooks.”

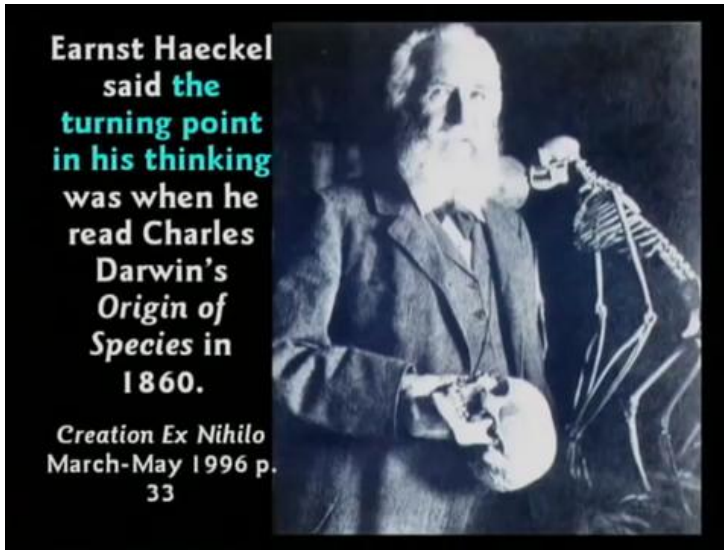
Raup, David M., “Evolution and the Fossil Record,”
Science, vol. 213 (July 17, 1981), p. 289

إذن ، لقد عانى دارون في منهجه الذي اتبعه في أسلوب بحثه من العديد من العثرات، ولم يكن دقيقا وحاذقا وموفقا بما يكفي لأن يأتمنه الإنسان على صحة كل ما قدمه، خصوصا وأن حياته الأرسقراطية وطرقه المعرفية تبين للباحث الجاد أن هذا الشخص لا يحمل قدرا وافيا من المؤهلات التي يمكن الوثوق بها لإكسابه كل تلك الهالة من المصداقية العلمية التي حيكته حوله 2 ❖. فهو لم يتمكن من نشر بحثه في نشوء الأنواع في أية مجلة علمية محكمة وهكذا قدمه ككتاب للعامه.

إن الذي يتمعن في تلك المخلوقات الحية أمامه يرى بفطرته السليمة، أنها لاشك منفصلة في أجناسها وليست متمازجة. إن أي إنسان عاقل لا يمكن عندما ينظر في المخلوقات المختلفة وأن يعمن النظر بها أن تختلط عليه المسائل، فلا يتمكن من أن يميز كائنا حيا ما عن كائن آخر، وهذا هو السر الذي أتاح لنا كبشر أن نسمي المخلوقات بأسمائها. وإلا، لعجز الإنسان منذ البداية على القدرة على تسمية المخلوقات بأسمائها الحقيقية نتيجة عجزه عن تمييزها.

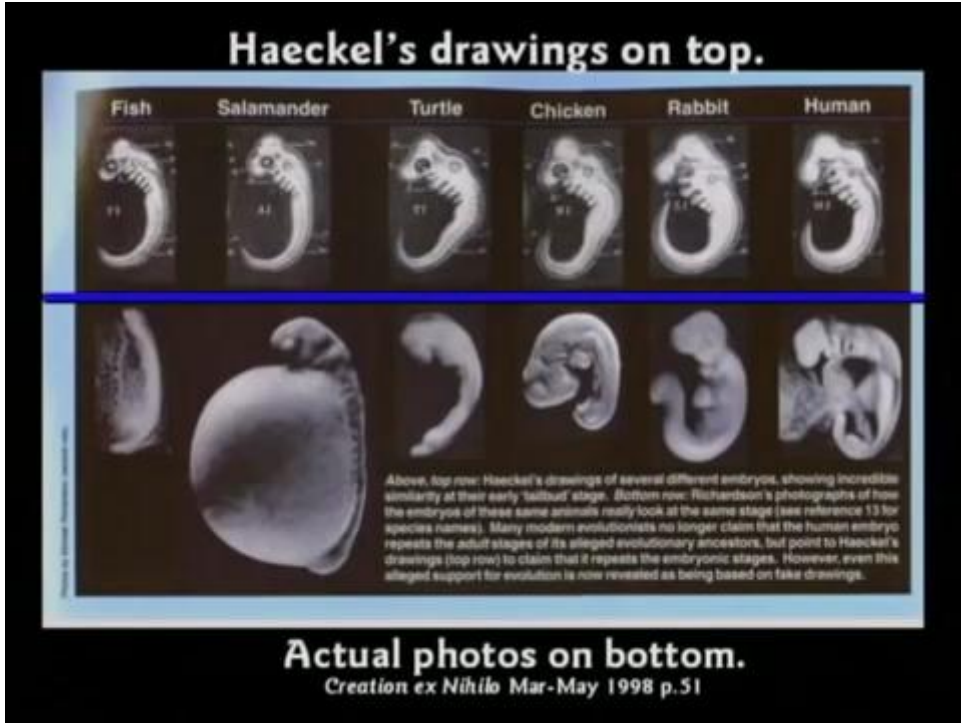
يتظاهر الأمر أيضا في الاختلاف البين بين المورثات والصفات الظاهرة حيث قد تتشابه المورثات أو تتطابق بين الأنواع المختلفة من الكائنات الحية بنسبة كبيرة على الرغم من الاختلاف البين في الصورة الشكلية النهائية لهذه الكائنات والناجمة عما آلت إليه الصفات الظاهرة المتباينة.

أما رديف دارون ومواليه هيغل، فقد بينت الدراسات الكثيرة أنه كان يزييف ويعدل في نتائجه لتصبح مواكبة لما يعتقد من أفكار وذلك على حساب الحقيقة العلمية* 2.



راح هيغل يزييف الحقائق ويخترق المزاعم، لكي يؤكد مزاعم غير موجودة أصلا. لقد حاول الاستفادة من الأدوار التي تطرأ على الجنين خلال حياته الرحمية. ثم قدم صورا ترسيمية لهذه الأدوار حرفها واعتمدها لدعم موقفه في التطور. إلا أن العلماء سرعان ما اكتشفوا التزييفات التي قام بها. فكتب مقالة عنوانها تزوير صور الأجنة، بتاريخ (24 - 12 - 1908) يقربها بما فعل وقد جاء فيها: " إنني اعترف رسميا حسما للجدال في هذه المسألة أن عددا قليلا من صور الأجنة نحو ستة في المائة أو ثمانية موضوع أو مزور إذا عد الدكتور براس

ذلك تزويرا ، وذلك فيما إذا كانت المواد التي يراد فحصها أو رسمها غير كاملة حتى يضطر فاحصها أو راسمها وهو يضع حلقاتها بعضها بإزاء بعض في سلسلة ارتقائها، أن يملأ بينها بحلقات فرضية..... فبعد هذا الاعتراف يجب أن أحسب نفسي مقضيا علي وهالكا، ولكنه يعزيني أن أرى بجانبني في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في التجارب العلمية، وغيرهم من علماء الاحياء (البيولوجيا). فإن كثيرا من الصور التي توضح علم بنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة المنتشرة المعول عليها مزور مثل تزويري تماما لا يختلف عنه في شيء" 1 ❖.



بداية، سواء كان عدد الصور التي زيفها قليلا أم كثيرا، فإن التزييف قد حصل، أما محاولته الالتفاف على التزييف محتجا بحكم اضطراره وضع الحلقات إزاء بعضها بعضا في سلسلة ارتقائية يزعمها هو، فإن ذلك اعتذار ليس

بمقبول. فالعلم والمصادقية العلمية يجب أن يكونا مجردين من الأهواء أو الانفعالات الشخصية، لا أن يكونا موجّهين باتجاه نتائج توافق الأهواء. ثم أنه، من الذي اضطر هيغل إلى ملئ حلقاتها المزعومة وفق أهوائه؟ وماذا لو أن كل باحث أراد أن يملأ بعض الحلقات الناقصة في نتائجه العلمية ويقدمها لنا جاهزة معلبة بنفس طريقة هيغل؟ لا ريب أن ذلك سيكون كارثيا على العلم وعلى المتعلمين على حد سواء. وأما ما تضمنه اعترافه من وجود عدد آخر من العلماء في شتى حقول العلم الذين زوروا كما زور هو الكثير من الصور، فهذا كلام يدل على أن صاحبه لديه مشكلة في اللياقة الأدبية والأخلاقية. فحينما شعر أنه وقع في جريمة التزوير، أراد ان يدفع بالآخرين إلى نفس الهوة. لقد كان هذا الرجل بلا شك، موقع استهجان في دوائر العلماء.

يمكن أن نستنتج إذن، أن العديد من بين أساطين الدارونية الأوائل لم يكونوا في يوم من الأيام، ومن خلال شواهد حقيقية على التزييف الذي قاموا به، أهلا للثقة في المعلومات التي جاءوا بها. وعليه ينبغي على من يتابع أفكارهم، أن يضع كل ما جاؤوا به محل الشك الصريح لا اليقين الخالص. أما بالنسبة إلى أنصار التطور في هذه الأيام: فهم يشكلون أحد فريقين :

1 - الفريق الأول وهو الفريق الذي يعتنق الدارونية والأفكار التطورية عن يقين وقناعة. ويرى التطور يمثل علما ونظرية حقيقية لنشوء الكون ووصوله إلى وضعه الراهن، مستندا في ذلك إلى الآراء والمزاعم والافتراضات والنظريات المختلفة التي تنحو في هذا الاتجاه. فهذه الفئة هي فئة لاشك أنها مخدوعة فيما اعتنقته من قناعات. لأن الحقائق العلمية وبمنتهى البساطة، قد خالفت مثل هذه الاعتقادات. ولو عادت هذه الفئة إلى جميع تلك الفرضيات والمزاعم التي جاء بها التطوريون السابقون واللاحقون، وقيمت تلك الفرضيات والمزاعم بميزان العلم وميزان العقل، لوجدت هذه المزاعم ساقطة لا تدعمها أية حجة. ولأنكرت هذه

الفئة ما جاء به التطور وتبرأت منه، كما فعل الكثير من العلماء التطوريين الذين خدعوا بتلك المزاعم.

وأما الفريق الثاني فهو فريق قد أدرك أن التطور هو خدعة لا تقوم لها حجة لكنهم مع ذلك تبناها:

إننا لا نزال نرى من هذه الفئات، علماء يتشبثون بمثل هذه المعتقدات ويعملون على الترويج لها والاستماتة في الدفاع عنها. على الرغم من إدراكهم يقينا، أن كثيرا من هذه الادعاءات كاذبة، ولا معنى لها. إن تمسكهم بمثل هذه الادعاءات على الرغم من يقينهم بطلانها، يثير أكثر من تساؤل حول السبب الحقيقي الذي يدفعهم لمثل هذا التشبث:

1 - هل هي المكاسب المادية التي وصلوا إليها، والمناصب الرفيعة التي حصلوا عليها ويخشون زوالها.

2 - هل هي فلسفات اعتنقوها وأهواء وشهوات ومتع دنيوية حصلوا عليها، فهم بهذه المزاعم يستبيحونها.

3 - هل هو سعي متعمد لإفساد عقول العامة من خلال معتقدات ومزاعم فاسدة يروجون لها.

ألدوس هاكسلي مؤلف الرواية الشهيرة "عالم جديد شجاع" ممن اعتنقوا تلك الفلسفات الطبيعية. هو أديب ومفكر وفيلسوف وهو يعتبر من بين الستين الأكثر نبوغا والسابقين لعصرهم في فترة العشرينات من القرن الماضي حيث كان من رواد تعاطي المخدرات والتجارب ذات الطابع الأخلاقي، يوضح هنا انجذابه إلى العقيدة الفلسفية الدارونية والأفكار العلمية الطبيعية المادية التي حملتها فيقول: "شأنني شأن العديد من معاصري فقد قبلت بلا نقاش عدم وجود أي معنى لهذا العالم وذلك من خلال حقيقة أنني قد تقاسمت الاعتقاد بأن الرؤيا العلمية للواقعية تمثل واقعية حقيقية للحياة بمجملها (بمعنى أنه فهم

الرؤيا الدارونية للحياة كرؤيا متكاملة حقيقية للواقع بالمجمل وهذا يعني أن العالم بالنسبة له لم يعد له أي معنى أو أي هدف.) لقد كان لدي الرغبة في ألا يكون لهذا العالم أي معنى كنت دائما أفترض بأنه يجب على هذا العالم ألا يحمل معنى وقد كنت لأجد صعوبة في إيجاد المبررات التي ترضي هذا الاهتمام لدي. فبالنسبة لي إن هذه الفلسفة غير الهادفة في الحياة تفيد التحرر. هذا التحرر الذي كنا نسعى إليه هو في آن واحد تحرر من الأنظمة السياسية والاقتصادية (خصوصا وأن نشأة هذا الرجل كانت في بريطانيا في فترة العشرينات حيث كانت بريطانيا تمتاز بنظام اجتماعي صارم) لقد كنا أيضا نسعى للتحرر من الأشكال التقليدية للقيم الأخلاقية لأنها تتعارض مع حريتنا الجنسية كما وسعينا للتحرر من الأنظمة السياسية والاقتصادية نظرا لأنها كانت تتعارض مع العدالة. يدعي الداعون لهذه الأنظمة أنهم أدخلوا الرؤيا المسيحية إلى هذا العالم. وقد أصروا أن يقوموا بالوصاية على الناس وبالتالي تسببوا في إحداث ثورة اجتماعية جنسية . وهكذا أنكرنا أن للعالم هذا أي معنى على الإطلاق".

في مقالته الدارونية والتنمية التطورية، يكتب الدكتور أحمد ابوزيد في مجلة العربي العدد 612 تشرين الثاني 2009 ص32 نقلا عن علماء تطوريين متعددين ما يلي: يقول عالم البيولوجيا (Gould Stephen Jay) " كل العقلاء يقبلون فكرة التطور من دون تحفظ، وإن الانتخاب الطبيعي فكرة قوية وسبب رئيسي للتطور". ويتهم (Richard Dawkins) المعارضين للدارونية بأنهم " جهلة وأغبياء وحمقى". ثم يقول لاحقا " إنني لا أسحب أي كلمة مما قلته سابقا وإن كنت أعتقد الآن أنها لم تكن كافية". ويكتب الدكتور احمد أبو زيد " فالفكرة السائدة في كثير من الأوساط أن الجنس البشري قد توقف عن التطور منذ حوالي خمسين ألف سنة بظهور الانسان العاقل (Homo

(Sapiens) الذي يمثله الإنسان المعاصر، وإن الحضارة وضعت حدا لهذا التطور . فالإنسان العاقل هو إنسان الحاضر والمستقبل، ولكن يبدو أن ذلك غير صحيح تماما وأن الجنس البشري لا يزال يتطور حتى بمعدلات أكبر وبخطى أوسع و أسرع مما حدث في الماضي، وأنه يكتسب ملامح وخصائص جينية ووراثية جديدة، وإن عملية الانتخاب الطبيعي البطيئة التي كانت تستغرق عشرات القرون لم تعد تتلاءم مع متطلبات العصر وإن العلم بدأ يتدخل في فرض "انتخاب " من نوع جديد، لا يكاد يترك مجالاً لعملية الانتخاب الطبيعي التي قال بها داروين والدارونية التقليدية".3❖

فالدكتور احمد يبشرنا هنا بأن التطور لا يزال مستمرا في هذا الزمان، ليس هذا فحسب. بل إنه يسير بخطى سريعة ولا يترك مجالاً فيها للانتخاب الطبيعي والدارونية التقليدية كي تسايره، بفعل تأثير العلم الحديث على مجريات التطور. فكيف اكتشف الدكتور أن التطور لا يزال مستمرا. وهو لم يقدم لنا أي دليل على أن التطور عند الجنس البشري يسير بمعدلات أكبر وبخطى أسرع من ذي قبل. وأي تطور يقصد؟ هل هو التطور الحضاري والتقدم العمراني، أم التطور الجيني الوراثي الداروني وتشكل كائنات جديدة من كائنات قديمة. وإذا كان ما يقصده هو التطور الداروني فأين هي أدلته على هذا التطور؟

إننا نعلم أن الإنسان الأول الذي مشى على هذه الأرض كان يحمل من الخصائص الوراثية والشكلية ما ينافس به هذا الإنسان الذي يعيش في هذا العصر. إن الإنسان الأول كان منذ البداية، قادرا على أن يترك من الآثار الحقيقية ما يدل على مؤهلاته. وما سوى ذلك فإنها مزاعم تتطلب البرهان. إن الإنسان الأول قد ترك لنا من المنحوتات والآثار ما يؤكد أن مؤهلاته تعدل تماما مؤهلات الإنسان الحالي. إن الآثار الحقيقية الصارخة التي ظهرت في بلاد الرافدين، كالحضارات الأكادية والبابلية والآشورية، وفي تركيا كالسومرية

والحديثة تمثل حضارة الإنسان الأول. وما سوى ذلك مما تقدمه مخيلة علماء التطور، فهو مجرد مزاعم لا دليل على صحتها. هذه الحضارات قد قدمت وتركت آثارا تثير الكثير من الإعجاب حول التقدم العمراني والحضاري الذي عاشته تلك الأمم، في ظروف أصعب بمراحل كثيرة من الظروف التي نعيشها الآن. إن ذلك الإنسان الذي قدم تلك الحضارات في ذلك الزمان وفي تلك الظروف هو إنسان لا يمكن أن يكون أقل تطورا، في أية زاوية اخترت أن تراه منها، من إنسان اليوم. هذا هو الإنسان القديم الذي عرفناه، والذي سطر تاريخه بنفسه. أما ما سواه ممن لم يترك لنا أثرا، بل إن التطوريين هم الذين قاموا باختلاقه، وصاغوا آثاره نيابة عنه، ثم أخذوا يرهقون أنفسهم في العثور عليه بين بقايا المتحجرات والجماجم، ويعثرون على سن هنا وبقايا عظمة هناك. فتأخذ الآلة التطورية باختراع قصص ومزاعم، حول ذلك الإنسان الذي قدر له أن يكون مرة قردا مترقيا بدماع صغير، ومرة قردا منتصبا بدماع كبير. وبين هذا القرد المتخلف، وذلك القرد المتألق، قرود وقرود، مرة يكتشفونها في أقصى الصين، ومرة في أصقاع أمريكا، ومرة يدعون وجودها في أفريقيا. وهم يستقرئون الحجارة عليها تكلمهم وتخبرهم بقصة ذلك الكائن الأسطورية. وكلما استطاعوا أن يوجدوا لأنفسهم بصيص أمل من المزاعم، أتت الحقائق العلمية لتدحض افتراضاتهم. فيعودوا من جديد ويعاودوا الكرة عليهم يلتمسوا مزاعم جديدة. إن هذا الكائن الأسطورية سيبقى أحجية لا قيمة علمية لها ولا يأبه بها سوى من اخترعها .

هل قدمت الدارونية والتطور أية فائدة للعلم:

هذا تساؤل مشروع، على الإنسان أن يجيب عليه. وفي الحقيقة، فإن هذا السؤال في كثير من الأحيان يتم التغاضي عنه في سياق البحث العلمي. لذلك تخرج في كثير من الأحيان مقالات أو أبحاث، لربما لو أعيد النظر فيها قبل الانكباب عليها، لكان من الأفضل لصاحبها أن يعكف عنها وعن الوقت الذي

أضاعه فيها إلى ما هو أولى منها وأكثر قيمة وفائدة. فالإنسان عليه أن يتساءل قبل الانطلاق إلى خطة البحث، حول ما هو الهدف من أي بحث يجريه، ولماذا يجري هذا البحث. كيف يستفيد من هذا البحث في خدمة البشرية، ويفيد البشرية من أبحاثه. هل للبحث قيمة أخلاقية. هل للبحث نتائج ضارة على البيئة وعلى الطبيعة وعلى الإنسان.

ما هو الهدف من أي بحث: إن أهم هدف للبحث العلمي هو خدمة الإنسان وتحقيق الامان والسعادة لهذا المخلوق الذي وجد على سطح هذه الأرض لكي يعمرها. فكل ما من شأنه أن يوصل هذا الإنسان إلى الرخاء والسعادة والراحة، فهو مشروع على وجه العموم، بل هو أهم ما يجب أن يهدف إليه البحث. لذلك فإن البحوث التي تهدف إلى التطوير التكنولوجي في شتى الصعد، يمكن أن تدخل ضمن هذا الباب. يأتي بعد ذلك البحث بهدف تنمية المعرفة والاطلاع. فالكون واسع وآفاقه لا تنتهي. إن البحث في هذا الكون قد لا يجدي التطور التكنولوجي فائدة مباشرة. لكنه يزيد الاطلاع ويوسع آفاق الإنسان. والإنسان كلما اتسعت آفاقه كلما زادت خبرته ومعرفته في الحياة. يدخل في هذا الإطار بحوث علوم التاريخ والجغرافية والآداب والفنون المتنوعة وغيرها. إن هذه المعرفة مشروعة، على ان تكون صادقة النوايا مخلصه في غاياتها.

وبالنسبة للدارونية، ماذا كان الهدف منها؟ إن المنحى الذي كانت تنحوه كما ظهر في البداية، هو تنمية المعرفة والاطلاع بصورة رئيسية. ولذلك عكف دارون في رحلته التي قام بها إلى تلك الجزر على دراسة الطيور والتميز بينها وأخذ يدرس الحيوانات ويفرق بينها. هذا العمل العلمي لاشك أنه إجراء معرفي متميز لو أن دارون اكتفى بذلك. إلا أن الانتقال إلى موضوع النشوء والارتقاء وإقحامه في هذه الدراسات لهذه المخلوقات، هو المأخذ والمنزلق الذي يجدر التنبيه إليه.

“Darwin considered this ‘by far the strongest single class of facts in favor of’ his theory.”

Icons of Evolution,
p. 82

BSCS Biological Science 1978 p. 628



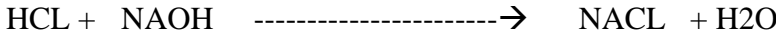
فقبل دارون، كان جميع الناس يؤمنون بأن الكائنات بأنواعها قد نشأت بقدرة خالق أنشأها منفصلة على شكلها التي هي عليه. هذه القناعات لم تأت إلى البشر عن طريق حدسهم وتجاربهم العلمية وملاحظاتهم، لأن الله لم يشهد الإنسان خلق المخلوقات ولا خلق الكون ولا خلق الإنسان نفسه، بل جاءتهم بالتأكيد، نقلا عن الرسالات السماوية. والإنسان المؤمن يتمسك بهذه الاعتقادات كجزء من موروثه الإيماني الذي لا يمكنه أن يتخلى عنه، لأنه يمثل الحقيقة والصواب اللذين يجانبهما الخطأ. في حين أن المعرفة البشرية مهما وصلت إليه من تقدم قد يعترئها الخطأ. وهذا ليس عيبا في البشر. فالعلم لا حدود له، وإنما المحدودية في كفاءات وقدرات البشر. جاء دارون فقرر في فرضيته، والتطوريون من بعده، أن الكائنات قد تطورت بعضها من بعض. فهم بذلك قد بدلوا مفهوم الخلق الذي جاءت به جميع الديانات السماوية. بالتالي فإن إبدال مفهوم الخلق، والافتراض بان الكون قد جاء من تلقاء نفسه، يفهم منه إنكار

وجود خالق حكيم قدير قد خلق هذا الخلق. من خلال ذلك، فإن دارون والتطوريين كما يظهر، قد قدموا بديلاً يتنكر لوجود الخالق وفعله من خلال نفيهم حصول الخلق المنفصل. هذا البديل، هو فلسفة وجودية مادية تناسب تلك الفترة التي تمت الإشارة إليها في بداية الكتاب (راجع الموضوع 1)، وهي فترة الثورة الفرنسية التي نادت بشعارها المشهور (لا نريد ملكاً ولا ديناً). لقد جاء في مقدمة هذه الفقرة إن هذه المعرفة مشروعة، على أن تكون صادقة النوايا مخصصة في غاياتها. فهل حقق دارون والتطوريون من بعده هذين الشرطين؟ هل قصد دارون والتطوريون المعرفة المجردة عندما استبدلوا الخلق بالتطور. من الواضح أن دارون عندما تكلم عن التطور كان قد تيقن بنفسه من خلال المعطيات المستحاثية والعيانية التي عاينها بنفسه انتفاء المطلق، وأن لوريا عندما تكلم عن تشكيل الخلية الحية لذاتها بذاتها قد علم يقيناً استحالة ذلك. وأن من تكلموا عن الحمض النووي وتكونه العضوي قد أدركوا يقيناً استحالة تكوينه بغير خالق مقتدر هو الذي يخلق كل شيء، فإن كل هؤلاء لم يكونوا يتكلمون علماً وإنما تكلموا فلسفة تزعم أن الكون قد جاء من تلقاء ذاته وأنه لا وجود لخالق لهذا الكون. إن هذا القول لم يخفه ريتشارد دوكينز حيث صرح به جهاراً في كتابه وهم الإله حين تنكر لوجود الخالق ولخلقه للمخلوقات. نحن إذن أمام إلحاد ألبس لبوس العلم بغير أي صفة حق. إن العلم لا يمكن أن يبنى على التكهانات والافتراضات والمزاعم والاحتمالات كما أكد ذلك نخبة وجمهرة من أعظم العلماء في كل الاختصاصات وجئنا على أقوال بعضهم في هذا الكتاب. يبنى العلم على الحقائق الموثقة كما ويبنى على النقل الصادق عن الخالق تبارك وتعالى بما أرسله من رسالات إلى رسله. فإذا ما جاءنا شيء عن الخالق تبارك وتعالى يتعلق بظاهرة علمية وكونية وكان قطعي الثبوت قطعي في دلالته فإنه يمثل حقيقة علمية خالصة لا شك فيها. إن الله تعالى يقول "ألا يعلم من خلق

وهو اللطيف الخبير" إن علم الخالق هو علم أصالة فهو علم يقين أما علم المخلوق فهو علم تلقين لأنه مكتسب وشتان بين العلمين. وعلى هذا فعندما ذكر الله تعالى الخلق في كتبه السماوية الثلاث كما جاءت به الآيات قطعية تشير إلى الخلق المنفصل للمخلوقات المختلفة، ولما كانت تلك الآيات الكونية تمثل حقيقة علمية خالصة، فقد كان ينبغي على الإنسان الإيمان بها والعمل بمقتضاها لا التشكيك فيها والعمل على نقضها. لقد خالف دارون ومعه أنصار التطور في نظريتهم هذه الحقيقة العلمية المجردة وهي الخلق المنفصل للمخلوقات، فالريب إذن أن الظواهر الكونية والتجارب العلمية ستكون على نقیض كامل مع مزاعم أنصار التطور. كل إنسان يعلم ويدرك أن الكون بكماله، لا يمكن أن يكون قد جاء من تلقاء نفسه. لأن ذلك يتنافى مع أساس أساسيات أي عقل أو علم أو معرفة أو اجتهاد. لكن التطور والدارونية تريدان أن تقنعانا بكل ما لديهما من مزاعم، أن ذلك ما حصل. فالكون قد جاء عندهم من تلقاء نفسه. والعشواء والصدفة المحضة هي قوانين النشوء. وهذا القول في حقيقته لا يمكن إلا أن يتنافى مع العلم شاء الدارونيون والتطوريون أم أبوا. لذلك فإن الكثير من علماء الطبيعة قد صنفوا الدارونية والتطور تحت منظور الفلسفة وليس العلم، فهي إذن فلسفة وجودية. نستنتج مما سبق ان الدارونية والتطور لم تكتفيا في البحث بمجرد المعرفة المطلقة، وإنما أدخلتا إلى البيولوجيا الفلسفة الطبيعية مما يشكك في صدق المنهج الذي نحت نحوه أهداف الباحثين التطوريين، وإلا لكانوا قدموا في دراساتهم التي درسوها، الحقائق العلمية بشكلها المجرد، دون أية نزعة فلسفية مهما كانت. إن من يقرأ أي كتاب خطه التطوريون، سيجد هذه النزعة بارزة في كتاباتهم بحيث لا يكاد يخلو مقال من مقالاتهم أو فكرة من أفكارهم إلا ونسبوا إلى التطور إما دعما له وإما استنادا إليه.

كيف يفيد العالم من البحث ليقدم خدمة للبشرية ويفيد البشرية من أبحاثه: إذا لم تكن الغاية من البحث هي خدمة الإنسانية وفائدتها، فإن الهدف سيؤول إلى إحدى غايتين: إما الإساءة للإنسانية والإضرار بها، وإما أن يكون بحثا لا يهدف لأي غاية وعندئذ يكون البحث بلا قيمة.

هنالك طريقتان لتحري الظواهر أو الأفكار فإما ان يتم تحريها وفقا للقواعد العلمية المعروفة ومن خلال التجارب الصحيحة. مثال على ذلك : عند تفاعل حمض كلور الماء مع ماءات الصوديوم فانك ستحصل على ملح الطعام والماء وفقا للمعادلة التالية:



هذه العملية لو تم تكرارها دائما فسوف نصل إلى النتيجة ذاتها، لا يمكن أن تتغير بأي حال من الأحوال، إذا ما ضمنت الشروط نفسها للتفاعل. بناء عليه فإن هذه الطريقة هي وسيلة سليمة وصحيحة لاشك فيها لتحري صحة ظاهرة أو فكرة معينة.

أما الطريقة الثانية لتحري الظواهر والأفكار فهي عن طريق النقل الصادق. والنقل الصادق يجب أن يشترط فيه صدق الراوي وصدق من روى عنه، تسلسلا حتى الوصول إلى الراوي الاول الذي ينبغي أن يكون صادقا في روايته. فإذا عجزنا عن الوصول إلى الحقيقة بالطريقة التجريبية، فإن الوصول إلى الحقيقة يكون بالطريقة النقلية. وفيما عدا ذلك فإن هذه المسائل تبقى مجرد مزاعم لا يمكن القول بصحتها أم بعدمه.

فإذا ما تم إسقاط الدارونية والتطور على ذلك التساؤل ليتم تقييمهما من خلال الخدمات التي ستستفيد منها البشرية فإن ما يمكن استنتاجه هو التالي: الفرضيات التطورية هي افتراضات جاء بها دارون واتباعه من بعده، يزعمون فيها أن الكون قد أنشأ نفسه بنفسه من تلقاء ذاته، وتطور عن ذاته إلى أن أعطانا تلك

التنوعات في الجمادات والأحياء التي هي عليها الآن. بالاستناد إلى الطرق العلمية، فإن أول ما يمكن الاعتماد عليه لبرهان هذه المزاعم أو نفيها هو الملاحظة. يقصد بالملاحظة هنا، وجود أحد من البشر الذي عاصر نشأة الكون و أدلى بملاحظته هذه . عندئذ ينجلي الأمر وتتكشف الحقيقة. من الواضح أنه لا يوجد أحد من البشر قد شهد خلق الكون ولا خلق الإنسان وقد ذكر الله عز وجل خالقنا ذلك بشكل واضح في سورة الكهف في القرآن الكريم (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا). فلا يستطيع أحد أن يزعم أنه رأى نشأة الكون أو نشأة الإنسان، وإن من يدعي ذلك فهو لا يقول الحقيقة. ومن الجدير ذكره في هذا الصدد أن يقدم كثير من أنصار التطور على اختلاق وصياغة أفلام وقصص وروايات من وحي التطور، (كأفلام عن الدائصورات، وعن كائنات فضائية تغزو الأرض، وعن مخلوقات أولية ظهرت في مكان ناء) ويسوقونها على أنها تمثيل للحقيقة في نشأة الكون وتطوره، دون أن يوضحوا للرأي العام أنها في أساسها لا تتعدى مجرد المزاعم. يمثل هذا افتراء وتزييف للحقائق.

فالملاحظة إذن، لا يمكن أن تفيد في هذا الموضوع باستثناء ما جاء في الكتب السماوية عن حقيقة الخلق التي تمثل الصواب المطلق. تبقى التجربة العلمية إن أمكن أن تفيد حيث لم يستطع أحد ولا يمكن لأحد إجراء تجربة علمية تبرهن تطور كائن معين إلى كائن آخر. إذن ما تبقى هومناورة من قبل أنصار التطور على الفكرة العلمية والوصول إلى استنباطات و استنتاجات توحى بأن تجربة أو ملاحظة ما، قد دلت على حدوث تطور في ظاهرة معينة، كما فعل الداروينيون الأوائل حين استدلو على مزاعمهم في التطور والانتخاب الطبيعي من خلال الاختلاف في الصفات الشكلية الظاهرة كتطاول عنق الزرافة. معلوم أن هذه المزاعم قد سقطت الآن سقوطا مدويا عند التطوريين قبل غيرهم نظرا لأن

الصفات الشكلية الظاهرة هي منعكس مباشر للخصائص الوراثية على الكروموزوم و التي لا تأثير مباشر للعوامل البيئية الخارجية عليها. لكن مجدداً، أخذ أنصار التطور يتجهون نحو المورثات والحموض النووية من خلال البيولوجيا الجزيئية، خصوصاً وأن هذا العلم هو علم حديث، والغوص فيه صعب. ومن أكثر ما يستدلون به على حدوث التطور، هو التشابه المتواجد في مورثات الكائنات الأكثر شبهاً من الناحية الشكلية. بمعنى أن مورثات القرد والإنسان أكثر شبهاً من مورثات الإنسان والأسماك، وبالتالي فإن هذا يدل لدى التطوريين، على أن الإنسان قد تطور عن القرد. والعامل يتساءل هنا، هل السمكة أكثر شبهاً بالإنسان في شكلها وحركتها وأفعالها أم القرد. أليست المورثات هي من يقرر هذه الصفات الشكلية أم لا. إذن فمن العلم والمنطق أن تكون بعض مورثات القرد أكثر تشابهاً مع مورثات الإنسان، إلا أن يكون التطوريون يريدون أن تكون مورثات الإنسان أكثر شبهاً بمورثات السمكة منها بمورثات القرد حتى ينتفي التطور عندهم. إن المنطق العقلي يقول، إذا كان مخلوق ما، ذو شكل قريب من مخلوق آخر، فإن بعضاً من مكنون مورثاته ينبغي أن تكون أقرب في بنائها لتركيبة مورثات الكائن الآخر. فإذا كانت المورثات أكثر تشابهاً بين المخلوقات الأكثر شبهاً في أشكالها، فهل هذا دليل على أن هذه المورثات قد تطورت وانتقلت بين المخلوقات، بعد أن تطورت هذه المخلوقات عن بعضها، حتى يستند التطوريون بهذا الرأي على حدوث التطور؟

**Similar design might
be evidence that the
same designer made
them.**

لقد وضحت الكشوف في علم الوراثة أن المورثات المتشابهة في بنيتها لا تفضي إلى منح الصفات الشكلية لنفس العضو بين الأنواع المختلفة. فهي في نوع ما تمنح عضوا ما صفة شكلية معينة، وفي نوع آخر تمنح عضوا مختلفا صفة شكلية أخرى. إن التشابه في الصفات الشكلية يؤكد فقط على وجود شبه شكلي لا غير، ولا يمكن أن يدل لا من قريب ولا من بعيد، على تطور المخلوقات بعضها من بعض. إن الانفصال والاستقلالية والاختلاف البين في الصفات الشكلية بين المخلوقات والتي ميزت الكائنات المختلفة بشكل أجناس وأنواع على الرغم من التشابه النسبي في المورثات، فهو الدليل الصارخ على أن هذه المخلوقات قد خلقت خلقا منفصلا. وإلا لكان علينا أن نشهد وفقا للاعتقاد التطوري في انتقال المورثات بين المخلوقات، تدرجا غير منته من الكائنات البينية حية ترتع بين الكائنات الأصول والكائنات الناتجة المزعومة.

مثال بسيط لتوضيح الفكرة: إذا رأى أحدهنا طاولتين متشابهتين في التصميم، إحداهما صغيرة والثانية كبيرة، فهل سيستنتج أن الطاولة الصغيرة

قد كبرت واستحالت إلى الطاولة الكبيرة، أم سيستنتج أن المصمم هو نفس الشخص. ربما يقول المرء أن كلتا الطاولتين قد تمت صناعتهما من نفس الخشب والمواد الأولية لكنه بالتأكيد لن يقول أن هذه الطاولة قد تطورت من الطاولة الأخرى. كذلك الأمر بالنسبة للمخلوقات المتشابهة في الشكل والمختلفة في النوع، فقد تشبه بعضها في الصفات الشكلية وفي البنى الجزيئية لكن بالتأكيد فإن هذا لا يدع المرء يستنتج أن بعضها قد تطور من بعض، وإنما - كما نحن - سنستنتج في حالة الطاولة أن هنالك صانعا قد قام بإنشاء التصميم واعتمد على نفس المواد الأولية في الإنشاء، فإن هنالك خالقا قد قام بإنشاء التصميم الشكلي لهذه المخلوقات المختلفة و عمد في بنائها على تشابه في البنى الجزيئية. لنطور الآن الفكرة قليلا ولننظر إلى مائدة الطعام المؤلفة من طقم مكون من طاولة كبيرة وعدة كراسي مشابهة في زخارفها لزخارف الطاولة. إن الزعم بأن الطاولة قد استحالت في مرحلة لاحقة عن الكرسي بفعل الانتخاب الطبيعي ومحض الصدفة هو زعم باطل. لا يمكن للمرء المتمعن في هذه المجموعة إلا أن يعلن أن الذي قام بتصميم الطاولة والكرسي هو نفس المصمم. فكيف يستنكر التطوريون على من يصف تطور الكرسي إلى الطاولة بفعل الاصطفاء الطبيعي والصدفة منطقاً هذا، ويريدوننا أن نقر لهم بأن ذلك الإنسان وهو ما هو في تعقيداته وبنياته الجزيئية، إنما هو حصيلة تطور من تلك الخلية الحية بعامل الاصطفاء الطبيعي والصدفة. في مثال مائدة الطعام فإن ما يجب لفت النظر إليه حصرياً هو أمران: الأمر الأول هو تصميم المائدة بعناصرها المختلفة أي الطاولة ومجموعة الكراسي. فمن خلال تصميم المائدة والتعقيد الهندسي الذي يميزها، يدرك المشاهد أن هنالك من قام بهذا التصميم البديع. إن ما يميز الكراسي والطاولة هو بناها الهندسية التي تميزها. إن الشكل الهندسي والتناظر في بنية كل من الطاولة والكراسي قد دل أن المائدة قد تم

تصميمها بواسطة مهندس مصمم ذكي. وبالعودة إلى الخلية والإنسان وبنفس صورة الطاولة والكراسي، فإن بنية الخلية بمكثفاتها المختلفة وبهندستها الفائقة لا يمكن ولا يجوز مقارنتها بأي تصميم مهما يكن قد صنعه الإنسان أو سوف يصنعه لاحقا (يمكن العودة إلى ما أورده دانتن حول البنية الجزيئية للخلية في بحث البيولوجيا الجزيئية في هذا الكتاب). وإن قوام الإنسان بما يملكه من تناظر يثير الانبهار، ليدل على أن المصمم الذي صمم الخلية والمصمم الذي صمم الإنسان لا يمكن إلا أن يكون مصمما مقتدرا. أليس من المثير للغرابة أن يستدل في مائدة مكونة من طاولة و مجموعة كراسي بشكل مباشر على المصمم، وأن يتجاهل وينكر أنصار التطور في نظرتهم إلى تصميم الكون بجماداته ومخلوقاته بخلاياه وأناسيه المصمم . هل إن مصمم هذه الخلية ومصمم هذا الإنسان هو من الخفاء بحيث يستثنيه التطوريون بهذا الشكل العجيب من الصورة! هل إن تعقيد هندسة مائدة الطعام أشد من تعقيد بناء الهندسة الجزيئية للخلية وللإنسان، بحيث أدرك التطوريون أن هنالك مصمما لهذه المائدة، ولم يتمكنوا من تمييز خالق الخلية والإنسان! هذه كلها تساؤلات ينبغي على التطوريين أن يجيبوا عليها. الأمر الثاني هو التشابه بين زخارف الطاولة وزخارف الكراسي. فإذا كانت الزخارف متماثلة، فيمكن أن يستنتج مباشرة أن المصمم الذي صمم المائدة بكل مكوناتها هو نفس المصمم. أما إذا كانت الزخارف بين الكراسي والطاولة متنافرة فيمكن الاستنتاج وببساطة أن من قام بتصميم الطاولة شخص يختلف عن الذي صمم الكراسي، أو أن المصمم الذي صمم الطاولة قد قام بإجراء تصميم مختلف على الكراسي. هذا هو الاستنتاج المنطقي، أما الاستنتاج المستغرب الذي هو من وحي استنتاجات أنصار التطور فهو القول بأن هذه الطاولة نظرا لاختلاف زخارفها عن الكرسي، فإن صلة قرابتها بالكرسي بعيدة. إذا تم إسقاط المثال السابق على المخلوقات الحية فإن ما يراه الخلقيون هو

أن التشابه في البنية الجزيئية للخلايا الحية بين المخلوقات أحادية الخلية والمخلوقات متعددة الخلايا يدل بالتأكيد على أن الصانع والخالق الذي خلق الخلية هو الذي خلق الإنسان. أما التطوريون فإنهم يستدلون من خلال وجود التشابه في المستوى الجزيئي على أن الخلية قد تطورت بألية ذاتية، ومن خلال الصدفة والطفرات والانتخاب الطبيعي إلى ذلك الإنسان. فأى الاستدلالاتين هو الاستدلال الصحيح، وأيهما هو الاستدلال الخاطئ؟ بقي في هذا الموضوع أمر صغير لا بد من توضيحه: وهو في حالة التنافر في الزخارف بين الطاولة والكراسي، فقد تم الإشارة إلى أنه، إما أن يكون المصمم مختلفا وإما أنه قد قام بتعديل التصميم. أما بالعودة إلى ملاحظة الانتظام والتشابه في البنية الجزيئية لكامل المخلوقات من الخلية وصولا إلى الإنسان، فإن النتيجة الوحيدة العلمية التي ستأتى، هي الاستدلال بأن الخالق القدير لجميع المخلوقات هو نفس الخالق، وذلك لأن جميع التركيبات الجزيئية في المخلوقات المختلفة متشابهة.

وبالعودة إلى السؤال المقدم فيما إذا خدم التطوريون في أبحاثهم هذه الإنسانية، فيمكن القول، أنهم كانوا من الممكن أن يخدموها فيما لو قدموا دراساتهم المعرفية بحيادية، دون أن يقحموا فلسفاتهم وتصوراتهم وتأملاتهم في مواضعهم المعرفية. أما عند إقحامهم تلك المعتقدات، وعند إصرارهم عليها، فإن ما يؤسف له القول بأنهم أساءوا أكثر مما أنجزوا.

هل للبحث قيمة أخلاقية: إن القيم الأخلاقية للأمم هي التي تحفظ هذه الأمم من الذوبان والزوال. وإن انحدار الأخلاق في أمة ما، هو مؤشر على قرب نهاية هذه الأمة. إن أي بحث علمي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الجانب الأخلاقي ويشجع عليه. أما الدراسات التي تهدف إلى تكريس قيم الإباحية والفساد والعنف والعنصرية والتطرف والانحلال الأخلاقي والكراهية في الأمم والمجتمعات فهي

دراسات وأبحاث لا يمكن أن تكون خادمة أو ذات قيمة أو فائدة للبشرية. وبإسقاط هذا الموضوع على التطور نلاحظ ما يلي:

1 - إن التطور يستثني الخالق كلياً من الوجود مفترضاً أن الكون قد نشأ من تلقاء نفسه. وعليه فهو يستثني معه التعاليم الدينية التي جاءت مع الإيمان، والتي تحض على الأخلاق الحميدة. وبالتالي يصبح كل إنسان هو المقرر لما هو صحيح أو خاطئ وفقاً لميوله الشخصية. والنتيجة التي ستنتج عن ذلك، هي حدوث تسيب اجتماعي وأخلاقي وتفسخ في قوام الأسرة بدأت البشرية تستشعر خطورته.

2 - التطور يتكلم عن الاصطفاء الطبيعي بين الكائنات وأن هنالك دائماً من هو فاضل ومن هو مفضول. ووجهة النظر هذه هي حجة قوية لتكريس الأفكار العرقية المتطرفة التي ترى أن هنالك بين البشرية عرقاً من الأعراق هو الأمتل، وهو الذي ينبغي أن يسود العروق أو الأجناس الأخرى. إن هذا بالتأكيد سيحرض على الأحقاد والكرهيات وتصنيف الأمم على أسس عرقية، مما قد يشجع أفكاراً تتبنى التطهير العرقي في أماكن مختلفة. وهنالك شواهد كثيرة تشير إلى حدوث مثل هذه المآسي خلال السنوات الأخيرة الماضية.

يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق أن العديد من نتائج أبحاث أنصار التطور لم تخدم بشكل فاعل القيم الأخلاقية بين أمم الأرض، بل أدت بشكل غير مباشر في التسبب في التنافر والتباعد والتفرقة والبغضاء وذلك من خلال ما سماه العقاد باللوثة المادية التي أنتجتها والتي تلغي مطامح الروح وتود لو جعلت الإنسان حيواناً بغير دين غير دين المعدات والأجسام 4. ❖

أترك في النهاية كلمة نهائية تختصر لنا هذا الكتاب لواحد من علماء التطور وهو البروفيسور S.Lovtrup وهو من الذين آثروا في النهاية، على أن

يقوموا بتعريف التطور على حقيقته، بعد أن أدركوا تماما سوء المزاعم التي جاءت بها الفرضيات التطورية:

"يمكن للطفرات على المستوى الجزيئي أن تحدث. لكن الافتراض بأن هذه الطفرات وحدها هي التي يمكن اعتمادها في إحداث تبدلات تطورية هو إما تزييف للحقائق، أو أنه حدث حقيقي غير مزيّف. فهو ينبغي أن يكون عندئذ، حدث إعجازي. أزعّم بأن أحدا لن يستنكر سوء الطالع، عندما يجد أن فرعا علميا كاملا قد أصبح مدمنا لنظرية زائفة. لكن هذا بالتحديد هو الذي حصل في البيولوجيا" *3.

مراجع البحث باللغة العربية:

- 1 - قيس القرطاس، نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيهها. مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى 1971.
- 2 - محمد عفيفي. الثورة الجينية الفكرة والإعصار. كتاب الهلال. العدد 597، ص 162 - 163.
- 3 - الدكتور احمد ابوزيد ، مجلة العربي العدد 612 تشرين الثاني 2009 ص32
- 4 - عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، طبعة 1998، ص 126.

مراجع البحث باللغة الإنكليزية:

1- Donald A. Yerxa, Phillip Johnson and the Origins of the Intelligent Design Movement, 1977–1991

Perspectives on Science and Christian Faith. Volume 54, Number 1, March 2002.

2- Wayne Frair. Embryology and Evolution, Volume 36(2): 62-67 September 1999, CRS Quarterly.

3- S. Lovtrup in Evolutionist "Darwinism: The Refutation of a Myth", Croom Helm: London, 1987 p:422

هذه بيانات بمؤلفات طائفة من العلماء الذين انتقدوا المعتقدات الدارونية من خلال كتاباتهم المتنوعة في علوم الحياة:

Bibliographies — Life Sciences

- Barry, J. M.** "Informational DNA: A Useful Concept?" *Trends in Biochemical Sciences* 11 (1986): 317 - 318.
- Behe, Michael J.** *Darwin's Black Box: The Biochemical Challenge to Evolution*. New York: Simon and Schuster, Touchstone Books, 1996.
- Bohlin, Raymond G. and Lane P. Lester.** *The Natural Limits to Biological Change*. Dallas, TX: Probe Books, 1989.
- Broom, Neil.** *How Blind Is the Watchmaker?: Nature's Design & the Limits of Naturalistic Science*, 2d ed. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2001.
- Coleman, William R.** *Biology in the Nineteenth Century*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.
- Collins, Francis S.** *The Language of God: A Scientist Presents Evidence for Belief*. Free Press, 2006.
- Davis, Percival and Dean H. Kenyon.** *Of Pandas and People: The Central Question of Biological Origins*, 2d ed. Richardson, TX: Foundation for Thought and Ethics, 1993.
- Degler, Carl N.** *In Search of Human Nature: The Decline and Revival of Darwinism in American Social Thought*. Oxford: Oxford University Press, 1991.
- DeJager-Seerveld, Tim.** *Greene's Anti-reductionist Ontology: An Inquiry into the Foundations of Biology*. Toronto: Institute for Christian Studies, 1982.
- Desmond, Adrian and James Moore.** *Darwin: The Life of a Tormented Evolutionist*. New York: Warner Books, 1991. Reprint, New York: W. W. Norton & Company, 1994.
- Dembski, William A.** *The Design Inference: Eliminating Chance through Small Probabilities*. New York: Cambridge University Press, 1998.

- Dembski, William A.** *Intelligent Design: The Bridge Between Science & Theology*. Downers Grove: IL: InterVarsity Press, 1999.
- Dembski, William A.** *No Free Lunch: Why Specified Complexity Cannot Be Purchased without Intelligence*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2002.
- Dembski, William A.** *The Design Revolution: Answering the Toughest Questions about Intelligent Design*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2004.
- Dembski, William A.**, ed. *Mere Creation: Science, Faith & Intelligent Design*. With a foreward by Henry F. Schaefer III. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1998.
- Dembski, William A. and James M. Kushiner**, eds. *Signs of Intelligence: Understanding Intelligent Design*. Grand Rapids, MI: Baker Book House, Brazos Press, 2001.
- Dembski, William A. and Michael Ruse**, eds. *Debating Design: From Darwin to DNA*. New York: Cambridge University Press, 2004.
- Denton, Michael.** *Evolution: A Theory in Crisis*. Great Britain: Burnett Books, 1985. Reprint, Chevy Chase, MD: Adler & Adler, 1986.
- Denton, Michael.** *Nature's Destiny*. New York: Free Press, 1998.
- Frye, Roland M.**, ed. *Is God a Creationist? The Religious Case against Creation-Science*. New York: Charles Scribner's Sons, 1983.
- Gilkey, Langdon.** *Creationism on Trial: Evolution and God at Little Rock*. Minneapolis, MN: Winston Press, 1985. Reprint, Charlottesville, VA: University of Virginia Press, 1998.

- Gillespie, Neil C.** *Charles Darwin and the Problem of Creation*. Chicago: University of Chicago Press, 1979.
- Goodwin, B. C.** "What Are the Causes of Morphology?" *BioEssays* 5 (1985): 32-36.
- Goodwin, B. C.** *How the Leopard Changed Its Spots*. Princeton: Princeton University Press, 1994.
- Greene, John C.** *Science, Ideology, and Worldview: Essays in the History of Evolutionary Ideas*. Berkeley, CA: University of California Press, 1981.
- Haas, John W., Jr.** "Arthur Peacocke's New Biology: New Wine in Old Bottles." *Science and Christian Belief* 1 (1989): 161-166.
- Hasker, W.** "Creation/Evolution and Faith." *Christian Scholars Review* XXI (1991): 7-109.
- Hyers, M. Conrad.** *The Meaning of Creation: Genesis and Modern Science*. Atlanta: John Knox Press, 1984.
- Johnson, Phillip E.** *Darwin on Trial*, 2d ed. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1993.
- Johnson, Phillip E.** *Reason in the Balance: The Case against Naturalism in Science, Law & Education*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1995.
- Johnson, Phillip E.** *Defeating Darwinism by Opening Minds*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1997.
- Johnson, Phillip E.** *The Wedge of Truth: Splitting the Foundations of Naturalism*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000.
- Locke, Michael.** "Is There Somatic Inheritance of Intracellular Patterns?" *Journal of Cell Science* 96 (1990): 563 - 567.
- Lumsden, Richard D.** "Not So Blind a Watchmaker." *Creation Research Society Quarterly* 31 (1994): 13-22.

- Maatman, Russell.** *The Impact of Evolutionary Theory: A Christian View.* Sioux City, IA: Dordt College Press, 1993.
- MacKay, Donald M.** *Behind the Eye: 1986 Gifford Lectures.* Cambridge: Basil Blackwell, 1991.
- McGrath, Alister E.** "Old Theology and the New Biology." *Science and Christian Belief* 1 (1989): 167-171.
- Moreland, J. P.** "Conceptual Problems and the Scientific Status of Christian Science." *Perspectives on Science and Christian Faith* 46 (1994): 2-13.
- Moreland, J. P.,** ed. *The Creation Hypothesis: Scientific Evidence for an Intelligent Designer.* With a foreword by Phillip E. Johnson. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1994.
- Moreland, J. P. and John Mark Reynolds,** eds. *Three Views on Creation and Evolution.* Grand Rapids, MI: Zondervan, 1999.
- Moreland, J. P. and David M. Cocchi .** *Christian Perspectives on Being Human.* Grand Rapids: Baker, 1993.
- Moreland, J. P. and Scott B. Rae.** *Body & Soul: Human Nature & the Crisis in Ethics.* Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000.
- Nijhout, H. F.** "Metaphors and the Role of Genes in Development." *BioEssays* 12 (September 1990): 441-446.
- Overman, Dean L.** *A Case against Accident and Self-Organization.* Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 1997.
- Peacocke, Arthur.** *Creation and the World of Science: The Re-Shaping of Belief,* 2d ed. Oxford: Oxford University Press, 2004.
- Peacocke, Arthur.** *God and the New Biology: Were Matter, Life and Humanity Created?* London: J. M. Dent & Sons, 1986.

- Polanyi, Michael.** "Life's Irreducible Structure." *Science* 160 (June 1968): 1308-1312.
- Prehn, Richmond T.** "Cancers Beget Mutations Versus Mutations Beget Cancers." *Cancer Research* 54 (October, 1994): 5296 - 5300.
- Rae, Scott B. and Paul M. Cox.** *Bioethics*. Grand Rapids, MI: Eerdman's Publishing, 1999.
- Ross, Hugh and Fazale Rana.** *Who Was Adam? A Creation Model Approach to the Origin of Man*. Colorado Springs, CO: NavPress, 2005.
- Silvius, John E.** *Biology: Principles and Perspectives*, 4th ed. Dubuque, IA: Kendall/Hunt Publishing, 2001.
- Thaxton, Charles B., Walter L. Bradley, and Roger L. Olsen.** *The Mystery of Life's Origin: Reassessing Current Theories*. With a foreward by Dean H. Kenyon. New York: Philosophical Library, 1984.
- Thurman, L. Duane.** *How to Think about Evolution & Other Bible-Science Controversies*, 2d ed. Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1978.
- Van Till, Howard J., et al.** *Science Held Hostage: What's Wrong with Creation Science and Evolutionism?* Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1988.
- Van Till, Howard J., et al.** *Portraits of Creation: Biblical and Scientific Perspectives on the World's Formation*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1990.
- Wells, Jonathan.** "The History and Limits of Genetic Engineering." *International Journal of the Unity of the Sciences* 5 (Summer 1992): 137-150.
- Wells, Jonathan.** *Icons of Evolution: Science or Myth? Why Much of What We Teach about Evolution Is Wrong*.

Illustrated by Jody F. Sjogren. Washington D.C.: Regnery Publishing, 2000.

Wiester, John. *The Genesis Connection.* Nashville, TN: Thomas Nelson, 1983.

Wolters, Albert. *Creation Regained: Biblical Basis for a Reformational Worldview*, 2d ed. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2005.

Woodward, Thomas. *Doubts about Darwin: A History of Intelligent Design.* Grand Rapids, MI: Baker Book House, Baker Books, 2003.

Wright, Richard T. *Biology Through the Eyes of Faith.* San Francisco: Harper & Row, 1989.

Yockey, H. P. *Information Theory and Molecular Biology.* Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

المحتويات

المقدمة:	3
تعريف بدارون	6
1- الدارونية والتطور الماضي والحاضر	15
2- إشكاليات في فرضية التطور	34
3- النظائر المشعة وقياس أعمار المستحاثات	73
4- الجيولوجيا والتطور:	84
5- نشوء الكون	104
6- نشأة الحياة	118
7- البيولوجيا الجزيئية والتطور	143
8- بحوث ودراسات علمية تخالف التطور	205
9- تطور الكائنات الحية	228
10- تطور الإنسان	242
11- مزاعم التطوريين في حدوث التطور والردود عليها	256
12- هل التطور يمثل حقيقة أم أنه مجرد اعتقاد	274
13- في الختام:	294